المجلة الجزائرية للعلوم

Revue Algérienne des Sciences

جوان 2020

جامعة الشاذلي بن جديد

UNIVERSITE CHADLI BENDJEDID

آداب و علوم إنسانية

Lettre et Sciences Humaines

سلسلة ب

العدد الخامس

تصدرها جامعة الشاذلي بن جديد الطارف تحت إشراف الأستاذ الدكتور . عبد المليك باش خازناجي

Editée par l'Université Chadli BENDJEDID El Tarf sous le haut patronage du Pr. Dr . Abdelmalik Bach khaznadji

آداب وعلوم إنسانية

سلسلة "ب"

مجلة علمية دولية تصدر عن جامعة الشاذلي بن جديد الطارف

العدد 05

جوان 2020

ISSN: 2661-7064
http://univ-eltarf.dz/fr/

revue.ucbet@yahoo.com

المجلة الجزائرية للعلوم – سلسلة ب
آداب وعلوم الإنسانية
ISSN : 2661-7064
http://univ-eltarf.dz/fr/

المدير الشرفي للمجلة
الأستاذ. الدكتور. عبد المليك باش خازناجي

مدير المجلة
الأستاذ. الدكتور. أحمد بن نخلة

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور. رشيد حليم

هيئة التحرير
الأستاذ الدكتور: عبد اللطيف حني، جامعة الشاذلي ين جديد الطارف
الدكتور: مانع خنفر ، جامعة الشاذلي ين جديد الطارف
الدكتور : عبد الحكيم سحايلية ، جامعة الشاذلي ين جديد الطارف
الدكتورة: سارة زويتي ، جامعة الشاذلي ين جديد الطارف
الدكتورة نعيمة بوعقبة جامعة الشاذلي ين جديد الطارف
الاستاذ: ندير قورية ، جامعة الشاذلي ين جديد الطارف

المجلة الجزائرية للعلوم – سلسلة ب
آداب وعلوم الإنسانية
ISSN : 2661-7064
http://univ-eltarf.dz/fr/

الهيئة العلمية

أ.د/ عشوي مصطفى الجامعة العربية المفتوحة. الكويت	أ. د/ حمزة الربابعة.- جامعة الزيتونة - الاردن	أ.د/ على حميداتو. جامعة البليدة
أ.د/ لوكية الهاشمي ، قسنطينة2. الجزائر	أ.د/عمار ساسي. جامعة البليدة	أ.د/ عبد المجيد عيساني –جامعة ورقلة
أ.د/ بن حرز الله مراد- جامعة تندوف ، الجزائر	أ.د/ بورقيبة داود، جامعة الاغواط، الجزائر	أ.د/عبد الرحمان لحرش –جامعة عنابة
أ.د/ بومنقار مراد، جامعة عنابة، الجزائر	أد-عماد بن تروش جامعة الطارف-	أ.د/عبد الوهاب شعلان-جامعة سوق أهراس
أ.د/ صالح جديد جامعة الطارف	أ.د/إلياس شرفة –جامعة الطارف	أ.د/منية غريب-جامعة الطارف
أ.د / بوبكر بحري –جامعة الطارف	أد/علي خفيف –جامعة عنابة	أ.د/عبد الجليل مرتاض-جامعة تلمسان
أ.د/ محمد خان جامعة بسكرة	أد/لحسن عمر جامعة عنابة	أ.د/محمد الصاحي –جامعة سوسة
أ .د/سعاد بسناسي –جامعة وهران	أ.د/الشريف بوشحدان –جامعة عنابة	أ.د/الشاذلي عيساوي-جامعة منوبة
أ.د/ عبد الحليم بن عيسى جامعة وهران	أ.د/صالح مفقودة جامعة بسكرة	أ.د/بلقاسم حمام جامعة الدمام السعودية
أد/وردة معلم جامعة قالمة	أد/عبد الحميد هيمة –جامعة ورقلة	أد/بومعزة رابح –سلطنة عمان
أد/لعيد جلولي جامعة ورقلة	أد/عمار رجال –جامعة عنابة	أد-محمد كراكبي –سلطنة عمان
أ.د/ مشري بن خليفة –جامعة الجزائر	أ.د/ بوبكر حسيني –جامعة ورقلة	أ.د/نعمان بوقرة-جامعة الرياض - السعودية
د/ قابد عادل. جامعة ، تيارت	د/ زليخة بلعباس –جامعة الطارف	أ-د/عبد القادر نطور–جامعة سكيكدة
د / شتوح فاطمة، جامعة ، تبسة	د/ ناجي لتيم، جامعة، سكيكدة	د/ ادريس لعبيدي، جامعة ، الطارف
د/ عمارة بوجمعة ، جامعة برج بوعريريج	د/ شهرة صوام –جامعة الطارف	د/ عبلة تقيدة –جامعة الطارف
د / دفون محمد، جامعة ، الطارف	د / عثمان مريم، جامعة ، الطارف	د-عبد الكريم بليل ، جامعة ،الطارف
د/ توفيق بن زردة- جامعة ام البواقي	د /بوحنيكة ندير، جامعة، الطارف	د/ سامية معاوي، جامعة الطارف
د/ عيادي نادية، جامعة ، الطارف		

المجلة الجزائرية للعلوم – سلسلة ب
آداب وعلوم الإنسانية
ISSN : 2661-7064
http://univ-eltarf.dz/fr/

قواعد النشر في المجلة

تنشر المجلة البحوث العلمية في مجال الادب العربي العلوم الإنسانية والاجتماعية والإدارية والاقتصادية وفق الشروط المنهجية الآتية:

-ألاّ يتجاوز حجم البحث20 صفحة، وألاّ يقل عن 10 صفحات.

-أن يذكر في الورقة الأول من المقال: عنوان المقال، اسم (أسماء) الباحث، الرتبة، المؤسسة التي ينتمي اليها، الكلية، الايمايل، الهاتف.

الملخص:

- يجب أن يكون الملخص مكونا من فقرة واحدة، وألا يتجاوز 9 أسطر، بخط Sakkal Majalla، حجم 14، وبمسافة واحدة بين الأسطر. الكلمات المفتاحية (لا يجب أن تتجاوز 5 كلمات)
- يحتوي البحث على ملخصين عربية ولغة أخرى اجنبية يكون في حدود 9 اسطر ،

نوع الخط:

- اللغة العربية: (Sakkal Majalla، حجم الخط:14، المسافة بين الأسطر: 1)
- اللغة الأجنبية: (Times New Roman, Size 12, with one distance as interline space)
- يراعي الباحث الجدية والخطوات العلمية لكتابة المقال، ويتم التهميش وفق الإشارة داخل البحث إلى APA أي مرجع بذكر: اسم المؤلف وسنة النشر ورقم الصفحة (إذا لزم الأمر) بين قوسين، وترتب في اخر المقال

البريد الالكتروني:revue.ucbet@yahoo.com
الهاتف :0674273015 -

الأبحاث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء كتابها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير.

الفهرس

عنوان المقال	المؤلف	الصفحة
كلمة عدد المقال	رئيس التحرير	أ
1.الاستثناء بعد الجمل المتعاطفة بالواو و أثره في الأحكام الفقهية الفرعية	طالب. د. محمد فارح / ا، د. عبد اللطيف حني(جامعة الشاذلي بن جديد الطارف)	17-8
2.صورة المرأة في شعر علي محمود طه بين الإحساس الجمالي والجمال الحسي	د, وريدة ربعاني (جامعة الشاذلي بن جديد الطارف)	25-18
3.العتبات النصية في الرسالة الديو انية	د. فريدة لعبيدي (جامعة الطارف)	37-26
4.الانعكاسات النفسية لمصادر الضغط المهني لدى عمال شركة التوزيع والغاز بولاية أم البواقي	د. ساسي هادف جبير(جامعة ام البواقي) د. زويتي سارة (جامعة الشاذلي بن جديد الطارف)	53-38
5.أسلوب التسيير السائد بالمؤسسات الصناعية من وجهة نظر القادة (دراسة ميدانية بالمديرية الجهوية الصناعية –سكيكدة-	د. عزوز صونيه، جامعة سكيكدة	62-54
6.مواجهة الاستهداف للحوادث المهنية بين مقاربتي الأمن الصناعي والارغونوميا التصميمية	د. الأزهر عبد المالك، جامعة باجي مختار عنابة	72-63
7.الأقسام التحضيرية في الجز ائر ودورها في التحصيل الدراسي (دراسة ميدانية ببعض المدارس الابتدائية بولاية برج بوعريريج-)	د.عمارة بوجمعة (جامعة برج بوعريريج) د. عثمان مريم(جامعة الشاذلي بن جديد الطارف)	87-73
8. ترشيد الإنفاق بقطاع التربية نحو تنمية مستدامة.	د. بوعالية شهرة زاد(جامعة الطارف) د. علوي نجاة(جامعة محمد لمين دباغين سطيف)	95-88
9. تكريس حق النسيان الرقمي على المستوى الأوروبي: ضمانة جديدة لحماية الحق في الخصوصية	د. أيت قاسي حورية. (جامعة مولود معمري تيزي وزو)	108-96
10.البيئة السليمة شرط للتمتع بحقوق الإنسان	د. بوعقبة نعيمة،/ د. جامل صباح (جامعة الشاذلي بن جديد الطارف)	124-109
11. حقوق الإنسان أثناء حالة الطوارئ الصحية بين الممارسة والتعليق (جائحة كورونا نموذجا)	د. جندلي وريدة(جامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة)	140-125
12. مرجعيات الحركة الطلابية الجز ائرية وظروف نشأتها خلال حرب التحرير	ا. حورية كيحل/ أ. إيمان قماص (جامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة)	157-141
13. Économie circulaire et écoconception : interdépendance pour le développement durable Circular economy and eco-design: interdependence for sustainable development	Dr : KHANFAR Manaa université el tarf	173-158

كلمة العدد 05

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، الذي جعل القلم سلطانا، والمداد برهانا، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين. أما بعد:

فيطيب ذكرا صدور العدد الخامس من مجلتكم العلمية الدولية، الجزائرية للعلوم التي تهتم بالأعمال العلمية في عديد الميادين، العلوم الإنسانية والاجتماعية والإدارية والاقتصادية، وكذا الآداب واللغات، وأصناف المعارف المتصلة بهذه الحقول.

يصدر هذا العدد في عامه الثالث، وقد بدأت هذه المجلة تأخذ مسارا مهما في نشر الأعمال العلمية، رغم الظروف الاستثنائية التي ميزتها جائحة كرونا التي داهمت الأوطان والبلدان، ولم يسلم منها وطننا المفدى، لكن رب ضارة نافعة، فقد كانت إرادة القائمين على هذا المنتوج العلمي في مستوى تحدي هذا الخطر الداهم، إذ تمكنوا بفضل الله تعالى، وتحفيزات رئاسة الجامعة، ممثلة في مديرها، وتشجيعات مدير المجلة، وتصميمنا –جميعا- في إصدار هذا العدد وهو الخامس في عامه الثالث في تاريخه المحدد.

حوى هذا العدد سلسلة من المقالات العلمية بعد أن مرت على السادة الخبراء والمراجعين الذين أجازوها، فالشكر موصول لهم على حسن تعاونهم، وعلى تحملهم قراءة تلك الأعمال وتقييمها في هذه الظروف الاستثنائية التي ألزمتنا التقييد بالحجر ولكن لم تمنعنا جدة التواصل والعمل. كما لا يفوتني إيصال الشكر إلى أعضاء هيئة التحرير الذين صمموا على رفع التحدي وإصدار هذا العدد في موعده، وأخص بالتنويه الدكتورة سارة زويتي التي سهرت على إعداده.

وبالمناسبة، أعيد التذكير أن المجلة مشرعة أبوابها لكل الأقلام **الجادة**، ومنفتحة على الأعمال الجيدة من داخل الوطن وخارجه، وهي تصبو إلى التطور والتميز عسى أن تجد لها موقعا في المنصة الوطنية للمجالات –A-S-J-P في القريب من الزمن إن شاء الله.

ولا يتحقق المراد إلا بفضل تعاونكم –أيها الأساتذة الكرام-ولا يسدد المبتغى إلا بما نلقاه من رعاية من السيد مدير الجامعة الأستاذ الدكتور عبد المليك باش خزناجي، والسيد مدير المجلة الأستاذ الدكتور أحمد بن نخلة.

الله ولي التوفيق

الاستاذ الدكتور: رشيد حليم

المجلة الجزائرية للعلوم – سلسلة ب
آداب وعلوم الإنسانية
ISSN : 2661-7064
http://univ-eltarf.dz/fr/

الاستثناء بعد الجمل المتعاطفة بالواو و أثره في الأحكام الفقهية الفرعية

طالب الدكتوراه : محمد فارح / الأستاذ الدكتور: عبد اللطيف حني

جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف- الجزائر / جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف- الجزائر

مخبر التراث والدراسات اللسانية / مخبر التراث والدراسات اللسانية

ملخص :

يروم هذا المبحث أن يعالج مسألة الاستثناء بعد الجمل المتعاطفة بالواو وقضية رجوعه إلى كل هذه الجمل أم أن الاستثناء يكون مختصا بالجملة الأخيرة، وتعد هذه المسألة من المسائل المهمة وذلك لما لها من أثر على تخريج المسائل الفقهية، والأحكام الشرعية، فاختلف الفقهاء في هذه المواطن تبعا لاختلافهم في تخريج الأصل اللغوي وتعليله، وسنحاول أن نقف على مواطن الاختلاف وننظر إلى تعليلهم لما اختاروه، ونضع أمام القارئ الكريم شواهد لهذه المسألة وتأثيرها في الأحكام الفقهية.

الكلمات المفتاحية: الاستثناء، العطف، المسائل الفقهية، الأحكام الشرعية.

Abstract:

This research tackles the exception issue of the conjunctive sentences of "و" or "w" and how it refers to these sentences also how this exception concerned with the last sentence. This issue is considered as a crucial one in extracting a juristic sentences and legal rules. Many jurists has brought different prespectives about the extraction of the linguistic source and justifying it. We will try to shed the light on the different those prespectives and looking at their reason why they have chosen it and let the reader aware of this issue's justification and its impact on the juristic rules.

Key words : Exception, conjunction, juristic issues, the legal rules

تمهيد:

يعد الاستثناء من المسائل اللغوية التي اهتم بها علماء اللغة والبلاغة باعتبارها أحد المباحث التي تنتمي إلى ميدان اشتغالهم، كما اعتنى بها علماء الفقه والأصول بسبب تعلق كثير من الأحكام بهذا الأصل اللغوي، فكان لابد من دراسته وفهمه وتوضيحه، وبيان ما يتعلق بيه من مسائل فقهية وأحكام شرعية.

ومن أهم مسائل الاستثناء التي اشتغل بها علماؤنا نجد مسألة الاستثناء بعد الجمل المتعاقبة أو المتعاطفة بالواو، ورجوعه إلى جميع تلك الجمل أم لا، وقد اختلف في هذا الموضع كثير من العلماء، تبعا لتصورهم لهذا المبحث، وكيفية فهمه، ورؤيتهم له.

من هذا المنطلق جاء هذا البحث الموسوم بـ: **"الاستثناء بعد الجمل المتعاطفة بالواو وأثره في الأحكام الفقهية الفرعية"** للوقوف على أهم المسائل المتعلقة به، وكذا معرفة أراء المذاهب والعلماء فيه، تعترضنا أسئلة من قبيل: ما الاستثناء؟ وما هي أدواته؟ وهل يعود الاستثناء بعد الجمل المتعاطفة بالواو إلى جميع الجمل؟ أم إلى الجملة الأخيرة منها فقط؟

وقد اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي متكئا على آلية التحليل لاقتضاء طبيعة البحث لهما.

أولا-الاستثناء

عرف القاضي أبو يعلى الاستثناء بأنه: «كلام ذو صيغ محصورة تدل على أن المذكور فيه لم يرد بالقول الأول»[1] كما ذكر ابن اللحام أن الاستثناء هو: «إخراج بعض الجملة بـ "إلا" وهي أم الباب وما قام مقامها وهي غير وليس ولا يكون وحاشا وخلا وعدا وسوى وما عدا وما خلا»[2]، من خلال ما ذكر يمكن أن نقول بأن الاستثناء هو إخراج جزء من الجملة عن إطلاق حكم عام.

ثانيا-جملة الاستثناء

تفيد جملة الاستثناء "إخراج" اسم من حكم اسم آخر، والاسم المخرج هو المستثنى، أما الآخر فهو المستثنى منه.

ويعد النحاة المستثنى نوعا من المفعول به؛ لأنهم يرون أنه -في حالة النصب-منصوب بفعل تدل عليه كلمة الاستثناء، وتقدير هذا الفعل عندهم: أستثني. فكأن قولك: جاء القوم إلا زيدا. معناه: جاء القوم وأستثني زيدا. والحق أن العامل في المستثنى هو كلمة الاستثناء.

وأما أسماء الاستثناء فهي "غير" و"سوى" ويعرب ما بعدها مضافا إليه. أما هما فيعربان إعراب ما بعد "إلا" تبعا لأنواع جملة الاستثناء[3]

وكلمات الاستثناء التي تهمنا في التطبيق النحوي ثلاثة أقسام: حروف، أسماء، أفعال

أ– حرف الاستثناء "إلا": مثل: جاء الطلاب إلا زيدا.[4]

ب– أسماء الاستثناء:

وأما أسماء الاستثناء فهي "غير" و"سوى" ويعرب ما بعدها مضافا إليه. أما هما فيعربان إعراب ما بعد "إلا" تبعا لأنواع جملة الاستثناء في التفصيل السابق، فنقول: حضر الطلاب غير زيد "أو سوى زيد".[5]

ج- أفعال الاستثناء:

يذكر النحاة من أفعال الاستثناء فعلي "ليس"، و "لا يكون". وأما الأفعال: عدا - خلا - حاشا. فستعمل أفعالا إن سبقتها "ما" المصدرية، وينصب المستثنى بعدها باعتباره مفعولا به لها، مثل:

حضر الطلاب ما عدا زيدا.

حضر الطلاب ما خلا زيدا

حضر الطلاب ما حاشا زيدا.[6]

ثالثا- الاستثناء بعد جمل متعاطفة بالواو هل يرجع الاستثناء إلى جميع الجمل؟ أو إلى الأخيرة فقط؟

وقع خلاف في مسألة الاستثناء بعد جمل متعاقبة ومتعاطفة بالواو، هل يرجع هذا الاستثناء إلى جميع الجمل؟ أم يرجع إلى أخر جملة فقط؟ وممن ذكر هذه المسألة نجد:

ابن اللحام حيث يقول: «الاستثناء إذا تعقب جملا عطف بعضها على بعض الواو ويصلح عوده إلى كل واحد منها فإنه يعود إلى جميعها إلى أن يرد دليل بخلافه عند أصحابنا والشافعية والمالكية»[7] ثم أورد رواية عن أحمد «في رواية ابن منصور قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن الرجل الرجل في أهله ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه" قال أرجو أن يكون الاستثناء عائدا على كله» فأحمد في هذه المسألة لا يختلف عن الشافعية والمالكية، غير أن الحنفية ترى عكس هذا، فقال "ابن اللحام" «وقالت الحنفية يعود إلى الأخيرة وقال جماعة من المعتزلة منهم عبد الجبار وأبو الحسين ومعناه قول القاضي في الكفاية إن تبين إضراب عن الأولى فللأخيرة وإلا فللجميع»[8]

وعلل ابن اللحام سبب اختياره فقال «وقولنا في فرض المسألة الاستثناء إذا تعقب جملا وعطف بعضها على بعض بالواو وكذا ذكره القاضي في العدة وأبو الخطاب في التمهيد وغيرهما في بحث المسألة أن واو العطف تجعل الجملة كجملة واحدة وكذا بحثوا في الواو وأنها للجمع المطلق لا ترتيب فيها وأنه هو المعنى الموجب لجعل الجمل كجملة واحدة وبنوا على ذلك أنت طالق وطالق وطالق إلا واحدة هل يصح الاستثناء وأنه لو أتى بالفاء أو بثم لم يصح لأن الترتيب إفراد الأخيرة عما قبلها فاختص بها الاستثناء فلم يصح وكذا فرض المسألة الآمدي وابن الحاجب واستدلال الإمام فخر الدين وأتباعه يقتضيه»[9] فالاستثناء يعود على الجمل المتعاطفة بالواو فقط

ثم نجد الإسنوي يوافق ما ذهبت إليه الحنفية في أن الاستثناء لا يرجع إلا على الجملة الأخيرة « وقال أبو حنيفة يعود إلى الأخيرة خاصة قال في المعالم وهو المختار» ثم بين لنا اقتران ذلك بالمشيئة فقال «وقد وافقنا الحنفية كما قاله في المحصول على عود الشرط والاستثناء بالمشيئة إلى الجميع وكذلك الحال كما صرح به البيضاوي والتقييد بالطرفين فيه كلام يأتي عقب هذا المسألة والصفة كالحال بلا شك والتقييد بالغاية كالتقييد بالصفة صرح به في المحصول وسيأتي الكلام على جميع هذه المسائل مفصلا وإذا قلنا يعود الاستثناء إلى الجميع فقد أطلقه الأصحاب كما قاله الرافعي قال ورأي إمام الحرمين تخصيص ذلك بشرطين أحدهما أن يكون العطف بالواو فإن كان بثم اختصت الصفة والاستثناء بالجملة الأخيرة الثاني أن لا يتخلل بين الجملتين كلام طويل»[10] ولا فرق بين المفردات والجمل بعد الاستثناء حيث يقول في ذلك الإسنوي: «واعلم أن التعبير بالجمل قد وقع على الغالب وإلا فلا فرق بينها وبين المفردات فقد قال الرافعي في كتاب الطلاق إذا قال حفصة وعمرة طالقتان إن شاء الله فإنه من باب الاستثناء عقب الجمل»[11] وحكى أبو المناقب الزنجاني أن «الاستثناء إذا تعقب جملا نسق بعضها على بعض رجع إلى جميع الجمل عند الشافعي رض وأصحابه ولا يختص بالجملة الأخيرة» وبين اختلافهم وأدلتهم فقال:

مثاله أن يقول وقفت داري هذه على بني فلان وخاني هذا على بني فلان إلا الفساق منهم.

المذهب الأول: رجوع الاستثناء إلى جميع الجمل المتعاطفة بالواو

احتجوا في ذلك بأمور ثلاثة:

أحدها أن الإجماع منعقد على الإنسان إذ قال لفلان عليّ خمسة وخمسة إلا سبعة أنه يكون مقرا بثلاثة ولو كان الاستثناء يختص بالجملة الأخيرة لكان مقرا بعشرة لأن الاستثناء حينئذ يختص بالخمسة الثانية ويكون استثناء مستغرقا بل زائد عليه والاستثناء المستغرق باطل وحيث اتفقنا على أنه يكون إقرارا بثلاثة دل أنه انعطف على جميع الجمل[12]

الثاني أنا أجمعنا على أن الاستثناء المعلق بمشيئة الله تعالى والمقيد بالشرط يرجع إلى جميع الجمل كقول القائل نساؤه طوالق وعبيده أحرار وأمواله صدقة إن شاء الله فإنه يرجع إلى الجميع حتى لا يقع شيء من الأحكام وكذا إذا قال عبيده أحرار ونساؤه طوالق إن دخلوا الدار فإن هذا الشرط يرجع إلى الجميع ولا يقتصر على واحدة

الثالث أن الجمل التي سبقت الجملة الأخيرة لا يخلو أما أن يقال إنها منقطعة عن الجملة الأخيرة كالمسكوت عنها أو هي مرتبطة بالجملة الأخيرة إعادة الاستثناء إليها[13]

المذهب الثاني: رجوع الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فقط

وذهب أبو حنيفة رض وأصحابه إلى أن الاستثناء يختص بالجملة الأخيرة دون ما قبلها من الجمل

واحتجوا في ذلك بأمور ثلاثة:

أحدهما أن الاستثناء لو كان يرجع إلى جميع الجمل وجب أن يكون الاستثناء من الاستثناء راجعا إلى الجملتين جميعا الاستثناء والمستثنى منه وقد اتفقنا على أنه لو قال له علي عشرة إلا خمسة إلا درهما كان هذا الاستثناء راجعا إلى الاستثناء الذي تقدمه لا إلى المستثنى منه فليكن في مسألتنا مثله

الثاني أنهم قالوا رجوع الاستثناء إلى الجملة الأخيرة مستيقن ورجوعه إلى ما قبلها من الجمل محتمل مشكوك فيه فلا يثبت بالشك والاحتمال

الثالث أنا لو قلنا يرجع الاستثناء إلى جميع الجمل أدى ذلك إلى اجتماع عاملين في معمول واحد والعاملان لا يجوز اجتماعهما على معمول واحد[14]

كما قدم لنا الأستاذ "عبد الكريم النملة" دراسة لهذه المسألة، وتتبع الخلاف الحاصل فيها، وبين أدلة كل مذهب فقال: وقد اختلف العلماء في الاستثناء الواقع بعد الجمل المتعاطفة بالواو هل يرجع إليها جميعاً، أو يرجع إلى الأخيرة فقط؛ على مذهبين:[15]

المذهب الأول: أنه يرجع إلى جميع الجمل. وهو مذهب جمهور العلماء، وهو الحق؛ لما يلي من الأدلة:

الدليل الأول: اتفاق أهل اللغة على أن تكرار الاستثناء عقيب كل جملة يعتبر نوعاً من العي، والركاكة فيما لو أراد إرجاعه إلى الجميع كما لو قال: " إن شرب زيد الخمر فاضربه إلا أن يتوب، وإن زنا فاضربه إلا أن يتوب "، فإذا ثبت استقباح ذلك: فلم يبق – للتخلص من ذلك - إلا أن يجعل استثناء واحداً في آخر الجمل ويعود إلى جميعها فيقول: " إن شرب زيد الخمر فاضربه، وإن زنا فاضربه إلا أن يتوب"

الدليل الثاني: القياس على الشرط، بيانه: كما أن الشرط إذا تعقب جملاً، فإنه يرجع إلى جميع الجمل، فتقول: " نسائي طوالق، وعبيدي أحرار إن كلمت زيداً " فكذلك الاستثناء فإنه يرجع إلى جميعها، ولا فرق بينهما،

والجامع: أن كلًّا منهما لا يستقل بنفسه وأنهما يتعلقان بغيرهما من الكلام، ولا بد من اتصالهما، فإذا ثبت شيء لأحدهما ثبت في الآخر. اعتراض على ذلك: قال قائل - معترضا - على ذلك: إن قياسكم الاستثناء على الشرط قياس فاسد؛ لأنه قياس مع الفارق، ووجه الفرق: أن رتبة الشرط: أن يتقدم على الجزاء سواء تقدم على اللفظ أو تأخر، فكانه في المثال السابق قال: " إن كلمت زيداً فنسائي طوالق وعبيدي أحرار ". بخلاف الاستثناء فإنه لا يصلح أن يتقدم - كما سبق بيانه -.

المذهب الثاني: أن الاستثناء يرجع إلى الجملة الأخيرة، ولا يرجع إلى جميع الجمل. وهو مذهب أبي حنيفة، وجمهور الحنفية، وبعض الحنابلة كالمجد ابن تيمية، وكثير من الظاهرية. ومن أدلته:

الدليل الأول: أن العموم يثبت في كل صورة وجملة بيقين، وعود الاستثناء إلى جميعها مشكوك فيه، فلا يرفع اليقين بالشك.

الدليل الثاني: أن الجملة الثانية فاصلة بين الاستثناء والجملة الأولى، فلم يرجع الاستثناء إليها، كما لو فصل بينهما بقطع الكلام، وإطالة السكوت، أو بكلام آخر.

وبالرجوع إلى كتب الشافعية نجد أنهم ينقلون أن مذهب إمامهم هو رجوع الاستثناء إلى جميع الجمل المتعاطفة بالواو، وهو ما نقله فخر الدين الرازي في المحصول حيث يقول: « المسألة السابعة الاستثناء المذكور عقيب جمل كثيرة هل يعود إليها باسرها أم لا مذهب الشافعي رضي الله عنه وأصحابه عوده إلى الكل ومذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله عليه وأصحابه اختصاصه بالجملة الأخيرة»[16] وهو ما نقله إمام الحرمين بقوله: « إذا اشتمل الكلام على جمل واستعقب الجملة الآخرة استثناء فالمنقول عن الشافعي رضي الله عنه: أن الاستثناء ينعطف على الجمل كلها ولا يختص بالجملة الآخرة منها»[17]

وهذا ما اختاره المالكية، فنجد أن القرافي ينقل لنا نسبة هذا الأمر للإمام مالك من خلال المازري فيقول: «قال المازري في "شرح البرهان": مذهب مالك عوده إلى جميع الجمل»[18] ومن ذلك ما نقله الباقلاني في التقريب والإرشاد قائلا: «وقد اختلف الناس في حكم هذا الاستثناء المتصل بجمل من الكلام. فقال الدهماء من القائلين بالعموم من المتكلمين والفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة إنه راجع إلى جميع ما تقدم إلا أن يمنع من ذلك دليل فيجب قصره على البعض»[19]

أما كتب الحنابلة فهي الأخرى نقلت هذه المسألة وأن مذهب إمامهم هو رجوع الاستثناء إلى الجمل المتعاطفة جميعها ومن ذلك ما نقله «قال أحمد في قول النبي - صلى الله عليه وسلم -:" لا يؤم الرجل في أهله، ولا يجلس على تكرمته"، قال: أرجو أن يكون الاستثناء على كله. يعني: إلا أن يأذن في الإمامة والجلوس. وبهذا قال أصحاب الشافعي. وقال أصحاب أبي حنيفة، وجماعة من المعتزلة: يعود إلى أقرب الجمل المذكورة»[20] ونجد الإمام أبو الخطاب الكلوذاني يذكر ذلك فيقول: «إذا ذكر جملا عطف بعضها على بعض، ثم عقبها بالاستثناء، رجع استثناؤه إلى جميعها. مثل قوله تعالى: {والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون (4) إلا الذين تابوا}. رجع إلى نفي الفسق وقبول الشهادة عند أصحابنا.

وقد قال أحمد رحمة الله تعالى عليه في رواية ابن منصور (في) قوله عليه السلام "لا يؤم الرجل في أهله ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه" قال: أرجو أن يكون الاستثناء على كله، وبه قال أصحاب الشافعي»[21]

أما مذهب الحنفية فقد ذكره غير واحد ومن ذلك ما نقله السرخسي بقوله: «قال علماؤنا الاستثناء تغيير وتصرف في الكلام فيقتصر على ما يليه خاصة»[22] وبين ذلك الجصاص بقوله: «وأما قوله تعالى: {إلا ما ذكيتم} فإنه معلوم أن الاستثناء راجع إلى بعض المذكور دون جميعه»[23]

رابعا- المسائل الفقهية التي اختلف فيها تبعا للاختلاف في رجوع الاستثناء إلى الجمل المتعاقبة بالواو:

أورد الإسنوي أمثلة حول قضية الاستثناء بعد الجمل فقال: إذا علمت ذلك فمن فروع المسألة:[24]

1 - ما ذكره الماوردي والروياني في البحر لو قال علي ألف درهم ومائة دينار إلا خمسين فإن أراد بالخمسين جنسا غير الدراهم والدنانير قبل منه وكذلك إن أراد عوده إلى الجنسين معا أو إلى أحدهما وإن مات قبل البيان عاد إليهما عندنا خلافا لأبي حنيف لنا أنه يحتمل ذلك والأصل براءة الذمة

وإذا عاد إليهما فهل يعود إلى كل منهما جميع الاستثناء فيسقط خمسون دينارا وخمسون درهما أو يعود إليهما نصفين فيسقط خمسة وعشرون من كل جنس فيه وجهان قال الروياني أصحهما الأول ولم يصحح الماوردي شيئا ويأتي ايضا هذا الكلام فيما إذا قال لفلان علي ألف ولفلان علي ألف إلا خمسين

2 - ومنها ما نقله الرافعي في كتاب الأيمان عن القاضي أبي الطيب أنه لو قال إن شاء الله أنت طالق وعبدي حر فلا يقع الطلاق والعتاق قال وكذا لو حذف الواو لأن حرف العطف قد يحذف مع إرادة العطف قال الرافعي وليكن هذا فيما إذا نوى صرف الاستثناء إليهما فإن أطلق فيشبه أن يجيء في أنه هل ينصرف إليهما أم يختص بالأخيرة

3 - ومنها إذا قال أنت طالق طلقتين وواحدة إلا واحدة والقياس في هذه المسألة أن يعود إلى الجملة الأولى وهي طلقتين وحينئذ فيقع عليه طلقتان لأنه قد تعذر عوده إلى الجملة الثانية لاستغراقه إياها فيتعين الاقتصار على الأولى لأنه إذا عاد إليها مع إمكان اقتصار عوده على ما يليه فمع تعذره بطريق الأولى لكن بنى الرافعي هذه المسألة على أن المفرق هل يجمع فيه وجهان أصحهما عدم الجمع سواء كان مستثنى أو مستثنى منه فإن قلنا بالجمع فكأنه قال أنت طالق ثلاثا إلا واحدة فتقع طلقتان وإن قلنا بالجمع فكأنه قال أنت طالق ثلاثا إلا واحدة فتقع طلقتان وإن قلنا لا يجمع فيكون الاستثناء مستغرقا فتقع الثلاث والذي قاله مشكل لما ذكرناه ثم إنه مهما أمكن حمل الكلام على الصحة كان أولى من إلغائه بالكلية كما تقدم إيضاحه.

كما أورد ابن اللحام أمثلة لهذا الاستثناء فقال:

ومما يتعلق بعود الاستثناء إلى الجميع أو الجملة الأخيرة قوله تعالى: {والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون} [النور:4] تضمنت الآية الكريمة أن القذف يتعلق به ثلاثة أحكام وجوب الجلد ورد الشهادة وثبوت الفسق.

فمن رأى أن الاستثناء يعود إلى الأخيرة فقط وهو أبو حنيفة قال إذا تاب القاذف زال فسقه ولم تقبل شهادته إذا جلد لأن الاستثناء في قوله تعالى: {إلا الذين تابوا} [النور: 5] لم يتعلق بقوله تعالى: {ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا} [النور: 4] فيبقى على عمومه في الزمان. وأما من رأى عوده إلى الجميع فقال جماعة منهم مقتضى هذا الأصل أن يعود إلى الفسق ورد الشهادة والحد لكن منع

من عوده إلى الجلد الإجماع فإن حد القذف لا يسقط بالتوبة بالإجماع فيبقى الباقي على مقتضى الأصل.[25]

أما القاضي أبو بكر بن العربي المعافي المالكي فقد أورد لهذه المسألة أمثلة فقال:

الاستثناء إذا عقب جملا اختلف الناس فيها من قال إنها ترجع إلى الجمل كلها وهم الأكثر ومنهم من قال ترجع إلى آخر جملة وهو أبو حنيفة وأصحابه ويظهر ذلك في مسألتين

أحدهما شهادة القاذف إذا تاب قال الله تعالى (فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا) الآية ثم قال (إلا الذين تابوا) وكذلك أيضا لو قال في الوصية ثلث مالي للفقراء بني بكر وتغلب وزهرة إلا من كان ملحفا في مسألته رجع هذا الاستثناء عندنا إلى الجميع ورجع عنده إلى زهرة خاصة وهي مسألة نحوية لا حظ لغير النحو فيها وذلك إنه لا خلاف أن المعطوف يشرك المعطوف عليه فيما وقع الخبر به عنه وظن أبو حنيفة أن ذلك بمنزلة الضمير الذي يرجع إلى اقرب مذكور فيختص به ومنها ما يحتمل الرجوع إلى ما تقدم فيحكم كذلك به وباب العطف بخلافه لأنه لا احتمال فيه لغير الاشتراك.[26]

أما الأستاذ عبد الكريم النملة فقد قدم أمثلة بعد أن بين أدلة كل مذهب قائلا: والخلاف هنا معنوي؛ حيث إن هذا الخلاف قد أثر في بعض الفروع، ومنها:

1 - قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (4) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا) فإنه بناء على المذهب الأول فإن هذا الاستثناء راجع إلى الجملتين السابقتين معا، وهما الواردتان في قوله تعالى: (ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً) ، وقوله: (وأولئك هم الفاسقون) ، والتقدير: " لا تقبلوا لهم شهادة أبداً إلا الذين تابوا منهم فاقبلوا شهادتهم فيما بعد "، وكذلك يقال: " وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا، فلا يحكم عليهم بفسق ". أي: أنه على المذهب الأول: القاذف إذا تاب تقبل شهادته، وتعود إليه عدالته؛ بناء على أن الاستثناء يرجع إلى الجملتين السابقتين. أما أصحاب المذهب الثاني فإنهم أرجعوا الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فقط، فلذلك قالوا: إن التوبة لا تسقط عدم قبول الشهادة، بل إن شهادته تبقى مردودة، ولكنها - أي: التوبة - ترفع عنه وصف الفسق.

2 - قوله - صلى الله عليه وسلم -: " لا يؤم الرجل في أهله، ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه ". فإن الاستثناء على المذهب الأول يرجع إلى الجملتين السابقتين معا وهما: " لا يؤم الرجل في أهله "، و " لا يجلس على تكرمته ". إذن يكون الإذن في الأمرين، أي: لا يؤم الرجل في أهله إلا بإذنه، ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه. أما على المذهب الثاني، فإن الاستثناء يرجع إلى الجملة الأخيرة فقط، وعلى ذلك يكون الإذن يشترط في جلوسه على تكرمته فقط، دون الإمامة في الصلاة، وهكذا تقول في كل ما يماثل ذلك.[27]

خاتمة

الاستثناء من المسائل التي اهتم بها علماؤنا، وذلك لارتباطه بأحكام فقهية، فجاءت دراستهم لهذا المبحث اللغوي بغية الوقوف على الأحكام الشرعية، ويعد الاستثناء بعد الجمل المتعاطفة وحكم رجوعه عليها جميعا من المسائل التي اختلف فيها العلماء.

ونجد أن هذا الاختلاف مرده إلى التصور العام لهذا النوع من الاستثناء، فالمذهب الأول يرى بأن رجوعه إلى جميع الجمل هو ما يقره علماء اللغة، وأن تكرار الاستثناء بعد كل جملة هو من العي، في حين يرى

أصحاب المذهب الثاني أن الاستثناء راجع إلى الجملة الأخيرة مستيقن ورجوعه إلى ما قبلها من الجمل محتمل مشكوك فيه فلا يثبت بالشك والاحتمال، ورجوع الاستثناء إلى جميع الجمل يؤدي إلى اجتماع عاملين في معمول واحد وهذا غير جائز.

أدى الاختلاف في هذا الموضع إلى وجود اختلاف في بعض المسائل الفقهية الفرعية، فجاء الحكم تبعا للاختلاف في مسألة الأصل اللغوي.

الهوامش والحواشي

[1] أبو الحسن علاء الدين بن محمد بن عباس البعلي الحنبلي المعروف بابن اللحام: القواعد والفوائد الأصولية وما يتبعها من الأحكام الفرعية، تح: عبد الكريم الفضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط01، 1418هـ-1998م، ص: 326.

[2] المرجع نفسه، ص: 325.

[3] عبده الراجحي: التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط02، 1420هـ-2000م، ص: 262.

[4] المرجع نفسه، ص: 264.

[5] المرجع نفسه، ص: 270.

[6] المرجع نفسه، ص: 272.

[7] ابن اللحام: القواعد والفوائد الأصولية وما يتبعها من الأحكام الفرعية، ص: 336، وجمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي: التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، تح: محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط02، 1400هـ-1980م، ص: 398، والقاضي أبو بكر بن العربي المعافي المالكي: المحصول في أصول الفقه، تخريج: حسين على اليدري، تعليق: سعيد عبد اللطيف فودة، دار البيارق، القاهرة، ط01، 1420هـ، 1999م، ص: 85.

[8] ابن اللحام: القواعد والفوائد الأصولية وما يتبعها من الأحكام الفرعية، ص: 336، 337.

[9] المرجع نفسه، ص: 338.

[10] الإسنوي: التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، ص: 398.

[11] المرجع نفسه، ص: 399.

[12] أبو المناقب شهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني: تخريج الفروع على الأصول، تح وتع: محمد أديب صالح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط04، 1402هـ-1982م، ص: 379.

[13] الزنجاني: تخريج الفروع على الأصول، ص: 380.

[14] المرجع نفسه، ص: 381، 382.

[15] عبد الكريم بن على بن محمد النملة: المهذب في علم أصول الفقه المقارن تحرير لمسائله ودراستها دراسة نظرية تطبيقية، مكتبة الشد، الرياض، ط01، 1420هـ، 1999م، مج04، ص: 1693، 1698.

[16] فخر الدين محمد بن عمر الرازي: المحصول في علم الأصول، تح: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ج03، ص: 43.

[17] أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني: البرهان في أصول الفقه، تح وتق: عبد العظيم الديب، (د، م)، ط01، 1399هـ، ج01، ص: 388.

[18] شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمان الصنهاجي المصري، القرافي: نفائس الأصول في شرح المحصول، تح وتع: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، مكتبة مصطفى الباز، ط01، 1416هـ-1995م، ج05، ص: 18.

[19] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني: التقريب والارشاد (الصغير)، تق وتح وتع: عبد الحميد بن علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط01، 1418هـ-1998م، ج03، ص: 146.

[20] أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل: الواضح في أصول الفقه، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط01، 1420هـ-1999م، ج03، ص: 491.

[21] محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني: التمهيد في أصول الفقه، در وتح: مفيد محمد أبو عمشة، ومحمد بن علي بن إبراهيم، مؤسسة الريان، بيروت، والمكتبة المكية، مكة المكرمة، ط02، 1421هـ، 2000م، ج02، ص: 91.

[22] أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهيل السرخسي: أصول السرخسي، تح: أبو الوفا الأفغاني، عنيت بنشره لجنة إحياء المعارف النعمانية، آباد، الهند، (د، ط)، (د، ت)، ج02، ص: 44.

[23] أبو بكر أحمد بن على الرازي الجصاص: أحكام القرآن، تح: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، 1412هـ-1992م، ج03، ص: 299.

[24] الإسنوي: التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، ص: 399، 400.

[25] ابن اللحام: القواعد والفوائد الأصولية وما يتبعها من الأحكام الفرعية، ص: 339.

[26] القاضي أبو بكر بن العربي المعافي المالكي: المحصول في أصول الفقه، ص: 85.

[27] عبد الكريم بن على بن محمد النملة: المهذب في علم أصول الفقه المقارن تحرير لمسائله ودراستها دراسة نظرية تطبيقية، مج04، ص: 1693، 1698.

المجلة الجزائرية للعلوم – سلسلة ب
آداب وعلوم الإنسانية
ISSN : 2661-7064
http://univ-eltarf.dz/fr/

صورة المرأة في شعر علي محمود طه بين الإحساس الجمالي والجمال الحسي

The Image Of The Woman In The Poetry Of Mahmoud Taha Between The Aesthetic Sense And Aesthetic Beauty

الدكتورة: وريدة ربعاني، جامعة الشاذلي بن جديد الطارف

ملخص :

كانت المرأة – ولازالت – عند الشاعر العربي ملهمة للشعر و الإبداع الفني عرفت خطوة خاصة في شعره عبر العصور ، أما عن صورتها فيه ، فقد اتخذت عدة أشكال ، منها الجانب المادي أو الحسي كما يبدو ذلك جليا عند إمام الشعراء ،و قائد المتغزلين ،امرئ القيس الذي أكثر من الحديث عن المرأة ، و عمد إلى وصفها وصفا حسيا ، بل يمكن القول بأنه بالغ في الوقوف على الوصف الحسي للمرأة ،و كانت له نظرة ثاقبة في تحديد مواطن الجمال عندها ،و لنستمتع إليه و هو يصفها .

الكلمات المفتاحية :

صورة المرأة ، الجمال الحسي ، مواطن الجمال ،علي محمود طه ، الشعر الرومانسي ،الوصف .

Abstract:

The woman was - and still is - when the Arab poet inspirational poetry and artistic creativity knew a special step in his poetry through the ages, as for its image in it, has taken several forms, including the physical or sensory aspect as it seems evident at the Imam of poets, Including The Physical Or Sensual Aspect, As It Is Evident In The Imam Of Poets, And The Leader Of The Spindles, The Most Difficult To Talk About Women, And He Described A Description Of The Sense, But It Can Be Said That It Is Too Hard To Stand On The Description Of The Sensual Women, And Had An Insight In Determining The Beauty Of Her Then, And To Enjoy It And He Describes It.

- **صورة المرأة بين الإحساس الجمالي و الجمال الحسي :**

كانت المرأة – ولازالت – عند الشاعر العربي ملهمة للشعر و الإبداع الفني عرفت خطوة خاصة في شعره عبر العصور ، أما عن صورتها فيه ، فقد اتخذت عدة أشكال ، منها الجانب المادي أو الحسي كما يبدو ذلك جليا عند إمام الشعراء ، أمرئ القيس الذي أكثر من الحديث عن المرأة ، و عمد إلى وصفها وصفا حسيا ، بل يمكن القول بأنه بالغ في الوقوف على الوصف الحسي للمرأة ،و كانت له نظرة ثاقبة في تحديد مواطن الجمال عندها ،و لنستمتع إليه و هو يقول:

هصرت بفودي رأسها فتمايلت
علي هضيم الكشح ريا المخلخل
مهفهفة بيضاء غير مفاضة
ترائبها مصقولة كالسجنجل
كبكر المقاناة البياض بصفرة
غداها نمير الماء غير المحلل
وجيد كجيد الريم ليس بفاحش
إذا هي نصته ،ولا بمعطل
وفرع يزين المتن أسود فاحم
أثيث كقنو النخلة المتعثكل
وشح لطيف كالجديل مخصب
وساق كأنبوب السقي المحلل
وتضحي فتيت المسك فوق فراشها
نؤوم الضحى لم تنطق عن تفضل [1]

فالشاعر –كما نستنتج من المقطوعة السالفة الذكر – يتغنى بخصر المرأة ،فيرى جماله في نحافته ،و هي صاحبة بطن ضامر غير مسترخ ،مصقولة الترائب كالمرأة ، ثم يشيد بياضها ، فالعربي يرى أن نصف جمال المرأة يكمن في بياضها و أخاله يعني بذلك المرأة الحرة لأنها عادة ما تكون بيضاء و هي السيدة ،أما الجارية أو الوصيفة فعادة ما تكون سوداء ،و هي الخادمة ،أما جيدها فهو كجيد الظبي ، في دقته و جماله ،و ما زاده جمالا أنه مرصع بالجواهر و الحلي ، ثم يلتفت إلى شعرها فيذكر أن لونه أسودا ليضفي جمالا على لونها الأبيض ، بل أنه كان فاحما ،أي كالفحم لشدة سواده ،و قد كان كثيفا .

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف وجهها فيذكر أنه مشرق و منير ،فهو يضيء ظلام الليل كمصباح راهب في معبد مظلم ،فالمتمعن في هذه الأبيات يدرك أن لسان الشاعر كان ترجمانا لحواسه ،من لمس ،و بصر ،و شم أيضا ، فقد تجاوز امرؤ القيس وصف أعضاء جسد هذه المرأة الجميلة إلى وصف عطرها الذي كان عبقا ،جعل فراشها يتضوع مسكا ،و لا شك أن هذه الأوصاف تحرك العواطف الجامحة التي كانت تقد مضجع الشاعر .

و قد حذا حذو امرئ القيس طرفة بن العبد صاحب اللذات الثلاث و هي (الصيد ،المرأة و الخمرة) ، في ذكر الصفات الحسية للمرأة .

و في العصر الأموي ،برز في هذا المضمار عمر بن أبي ربيعة الذي كان إمام الغزل الماجن في العصر الأموي، فقد كانت أشعاره مضمخة بالعبارات الماجنة قال عنها طه حسين : " و لنختصر حكمنا في عمر بن أبي ربيعة كان هذا الحب حسيا صادقا ناجما عن طبع شديد التأثير بالنساء حتى الفتنة ،و قد فتن عمر النساء و تيمهن ، فأخذن طريقه ،و تهالكن عليه ..." [2]

و نجد في العصر العباسي من كان له باع طويل في التغزل الماجن بالمرأة ووصفها وصفا حسيا ماجنا كأبي نواس ،و بشار بن برد و غيرهما ممن يذكر جمال المرأة ووصف محاسنها كما يقول العقاد : " و العرب أصح ذوقا من المحترفين في العصر الحاضر لأنهم يصفون المرأة الجميلة كما ينبغي أن تكون " [3]

و إذا كان الأمر كذلك عند القدامى ، فان *المحدثين من شعرائنا قد أولوا هذا الموضوع عناية أيضا ، و نجد ذلك حتى عند المترفين منهم* الذين لم يكتفوا بمتع الدنيا الكثيرة و ملذاتها، بل جعلوا المرأة هي المحور الرئيسي الذي تدور حوله هذه المتع و الملذات كنزار قباني ،و علي محمود طه...

أدت المرأة دورا بارزا في حياة علي محمود طه ،و كانت له المحرك الأساس لقول الشعر ،و يبدو ذلك واضحا في قوله :

بعينيك ما يلهم الخاطرا

و يجعل كل فتى شاعرا ([1])

إنه اعترف صراحة بأن المرأة هي التي تلهمه الشعر ،فشاعرنا كان من الشعراء الذين انغمسوا في بحر الحب و القصص الغرامية ،و كان يجنح كثيرا إلى وصف الجوانب الحسية للمرأة ،و ربما يكون ذلك – باعتبار رومانسيته – نوعا من الهروب من الواقع المعيش الذي كان الشاعر يحاول التملص منه بوساطة الرحلات التي كانت تقوده إلى العالم الغربي ،و إلى أوروبا تحديدا ،حيث المتعة و العيش الموفور ،فالهروب إلى عالم الخيال و المرأة يبعد الهموم و الأحزان ،و الاضطراب ،و يمكنه من الراحة ،و أما عن نزعة الحب عند جماعة أبولو – و علي محمود طه أحدهم – يقول بوجمعة بوبعيو :" و الواقع أن جماعة أبو قد أعطت هذه النزعة جل عنايتها ،و ربما أكثر مما تستحق ،ذلك أن مختلف أشعار هذه الجماعة تدور حول محور الحب و الشكوى ،و ما سببه عذاب الهوى ،و آلام الفراق من آسى و حرقة و إحساس بالحرمان نتيجة الجفاء حينا أو عدم تكافؤ المشاعر حينا آخر ، لاسيما أن معظم شعراء هذه الجماعة من الشباب " ([2])

و لو تصفحنا دواوين علي محمود طه الشعرية ،واستقرأناها بنوع من التمحيص ،و إمعان النظر لوجدنا العفة و الابتعاد عن طلب الناحية الحسية للمرأة في أول دواوينه ،و الذي بعنوان (الملاح التائه) .([3])

و أما عن باقي دواوينه فقد تلاشت النظرة العذرية ،و حلت محلها الإباحية ،و الحديث عن مغامرات الهوى و أيام اللهو ،وساعات اللقاء ،و لو بحثنا عن مكمن السر في ذلك لقلنا أو لاستنتجنا أن الشاعر كان في – بداية شبابه – يعاني الكبت بسبب عدم وجود حرية التعبير ، لذلك كان يبحث عنه في عالم سام عفيف ،أما بعد ما مكنته الظروف من مغادرة مصر ،و بعد أن فتحت له الدنيا ذراعيها ،و ابتسمت ، اتجه في شعره الاتجاه الإباحي لإشباع الرغبات ،و التمتع بساعات الحياة ،ليس مع امرأة واحدة ، كما يفعل العشاق ،بل مع كثيرات .

إذ يقول :

تسائلني : و هل أحببت مثلي

وكم معشوقة لك أو خليلة

فقلت لها وقد همت بكأسي

إلى شفتي راحتها النحيلة

نسيت و ما أرى أحببت يوما

كحبك لا، ولم أعرف مثيله

فقالت لي: جوابك لم يدع لي

إلى إظهار ما تخفيه حيله

فقلت أجل عرفت هوى الغواني

لكل غاية ،ولها وسيلة ([4])

و لا شك أن شاعرنا قد سبق إلى ذلك ،في هذا المجال ،و إن جاز لنا التعبير قلنا إنه حذا حذ السابقين من شعراء العرب أو الغرب (كلامارتين) الذي ترجم له (البحيرة) ،و إن حاولنا الاجتهاد قلنا إنه يمكن تشبيهه بشخصية الشاعر عمر بن أبي

ربيعة صاحب المغامرات الدنجوانية ، فقد أخذ حديثه عن الجانب الحسي للمرأة مكانا رحبا في شعره حيث تحدث عن مغامراته ،و رسم فيه أهواءه و رغباته ،فتعرض لجمال المرأة و زينتها ،و رصد بدقة ما كان يدور بينه و بينها مبينا عن عواطفه المتأججة خلال هذه اللقاءات إنه يقول :

وداعبت نسمة من العطر
على محياك خصلة الشعر.
حسوتها قبلة من الجمر
جن جنوني لها و ما أدري
أي معاني الفتون و السحر

ثغرك أوحى بها إلى ثغري ([1])

فالشاعر يتفنن في وصف عملية التقبيل حيث يذكر أنه يحتسيها ،و لا يخفي على أحد أن الحساء تكمن نكهته في أخذه حارا ،و الشاعر كان مشتاقا إلى ذلك ،بل متعطشا ،و هي أبيات تذكرنا – لا ريب – بغزل عمر بن أبي ربيعة و بامرئ القيس الذي يقول :

و قبلتها تسعا و تسعين قبلة
وواحدة أخرى و كنت على عجل

ويقول في قصيدة له بعنوان (أحلام عاشقة):

يا للعذوبة يا حبيبي حين أهبط للنهر
كي استحم ،و أنت تمعن في مفاتني النظر
لوددت لو أني أمامك قد جلوت محاسني
بغلالة مبتلة كشفت جميع مفاتني([2])

فالشاعر يتحدث عن عاشقة تمنت من عشيقها أن يمعن النظر في مفاتنها حينما تهبط للنهر ،و ربما يكون علي محمود قد اقتبس ممن سبقه في مضمار الغزل الماجن كامرئ القيس الذي تحدث عن عنيزة حينما نزلت إلى النهر هي وصويحباتها تسلل هو إلى ملابسهن و أخفاها حتى اضطرهن إلى مغادرة الماء دونها ،و بالتالي أشفى غليله من مفاتنهن ،لكن الفرق بين هذا و ذاك أن فاتنة علي محمود طه هي التي تراود فتاها و تعرض أمامه مفاتنها ،و تتمنى حضوره ليعب منها عبا ،و ليمتع ناظريه بما حباها الله من جمال ،و هذا دليل على اعتزاز علي محمود طه بنفسه في ضوء ما يحققه بين الحين و الآخر من مغامرات في مجال الهوى ،و إثبات لمغامراته الدنجوانية ، و هو القائل أيضا :

تسائلني حلوة المبسم
متى أنت قبلتني في فم ؟
تحدثت عني ،و عن قنبلة
فيالك من كاذب ملهم
فقلت أعابثها : بل نسيت
و في الثغر كانت ،و في المعصم
فإن تنكريها فما حياتي
وها هي ذي شعلة في دمي
سلي شفتيك بما حستاه
من شفتي شاعر معرم
فإن شئت أرجعنها ثانيا
مضاعفة للفم المنعم ([3])

فهذا الحوار دار بينه و بين إحدى المفتونات به في شأن قبلة ، فسألته عن الوقت الذي قبلها فيه ،و لا شك أن هذه المساءلة ،و هذا الحوار يدلان على رغبة ملحة – من هذه العاشقة – في معاودة قصة الغرام ،و يبدو أن شاعرنا كان هو الأخر على أتم الاستعداد للدخول في مغامرة الحب تلك ،و لكنه أخفى مراده وراء أمنية هذه العاشقة ،و هذا دليل نرجسيته .

كان شعر علي محمود طه – باعتباره شاعرا – صدى لنفسه المحترقة ،و نفسيته القلقة ، لذلك كان يطلق على نفسه (الملاح التائه) نتيجة لما كان يعانيه من التيه و الاضطراب ،أليس هو القائل :

فإذا الليل روعة و جلال
و إذا الفقر غارق في سبات

غير ذاك الغريب في تيهه النا
تي كثيب الفؤاد والنظريات
أرقته صبابة حملتها
نفسه من ربوعه النائيات (1)

فمن البديهي –إذن –أن يبحث علي محمود عن بديل يزيل عنه ما كان يعانيه ،و لا شك أنه وجد ذلك من جهة في عالم الخيال ،و الأحلام (2)، حيث يتم التحليق في عالم المرأة و الحديث عنها ،فالحب كما نعلم ،من المواضيع البارزة في الأدب الرومانسي عموما ،و في شعر علي محمود بوجه خاص ،و لو تأملنا ديواني علي محمود طه (هي و هو ، زهر ،و خمر) ،و لو تمعنا هذه الأشعار لوجدنا أن غرض الغزل هو الذي أخذ الحظ الأوفر من إنتاجه ،و من جهة أخرى يمكن القول إن تهالكه على مجالس الأنس – التي غالبا ما يكون موطنها أوروبا – و حديثه المسهب عن علاقاته الغرامية يعود إلى ذلك التباين الشاسع بين الآمال و الأحلام من جهة ،و بين الواقع المرير و المتردي من جهة ثانية ،و هو الذي أجاب سائله قائلا :

فقالت ما حياتك ؟ قلت : حلم
من الأشواق أوثر أن أطيله
حياتي قصة بدأت بكأس
لها غنيت ،و امرأة جميلة (3)

و يصرح علي محمود طه بأنه قد عرف الغواني ،و خبر غرامهن و رأى أن ودهن لا يلبى منه إلا القليل ،و هو الذي جعل حياته متوقفة على الخمرة ،و المرأة كما ذكرنا سالفا ،فهو يقول :

فقلت: أجل عرفت هوى الغواني لكل غاية و لها وسيلة
خبرت غرامهن قلى ووصلا
كثير الوعد لم يدرك قليله
قلوب قاسيات قنعتها وجوه شاعريات نبيلة(4)

و قد يصف الشاعر المحبوبة بأنها تشتهي مغازلته ،و تتمنى وصاله مرة ،و مرة أخرى يقدمها للسامع في صورة المرأة القاسية المتمنعة حيث يقول :

وكم في الرجال سعار الوحو ش إذ المسوا الجثة الدافئة
فلا تذكري فن هذا الفتى
بل الحيوانية الخاسئة
رأى جسم حواء فاشتاقه
فهاجت به النزوة المسكرة
سبي روحها فاشتهى جسمها
فثارت بعزة مستكبرة
سما جسمها و تأبى عليه
فجرد في وجهها خنجره
وهم بها فالتوى قصده
فأرسل صيحته المنكرة (5)

فهو يقر بأن الرجل همه من المرأة جسدها ،و إذا منعته تحول وحشا ضاربا ، و قلب عيشتها ضنكا .

يجنح علي محمود طه إلى المجون ،و الإباحية في غزله أكثر من العفة و ذلك في أغلب قصائده كقوله :

فضمى جسمك العاري وصوني ذلك الحسنا
رقيق اللمس عربيد بكل مليحة يعنى
على خديك خمر صبابة أفراغها دنا
وفي نهديك طلسمان في حلهما إفتنا(6)

فالملاحظة أنه لا يتورع في ذكر مفاتن المرأة ، بل و حتى النفاذ إلى المواطن ، و أكثرها سترا و استخفاء ، كالنهدين مثلا و هو القائل أيضا :

وقد قربت فمها من فمي
كشقين من قبس مستعر

أشـــم بأنفاسهـــا رغبـــة

ويهتف بى جفنها المنكسر

تبينت في صدرها مصرعـــي

وآخـرة العاشق المنتحـــر

هو الحب؟ لا بل نداء الحياة

تلبيـــة أجسادنا الظامئـة

أرى ...ما أرى ؟جسدا عاريا تضج به الشهوة

الجائعـــة [1]

فهـو –كمـا نستشـف مـن هـذه الأبيـات –يقـر بـأن الحـب عنـده هـو إشـباع الغرائـز لا غيـر ،و قـد يعـزى هـذا الاتجـاه الإبـاحي إلـى ورود الشـاعر مجـالس اللهـو و الأنـس في أوروبـا ، و مـا يصـحب هـذه المجـالس مـن شـرب و قيـان و غـوان جعلـن الشـاعر لا يتـورع في ذكـر تلـك العلاقـات الإنسـانية التي يطغى عليهـا الجانـب الحسـي مـع مـن شـكل معهـن علاقـات حـب في كثير مـن البقـاع التي وطأتهـا قدماه .

فلـو تسـاءلنا عـن هـذه النظـرة الماديـة الصـرفة للمـرأة مـن قبـل الشـاعر العربي نجـد أنهـا ضـاربة جـذورها في القـدم بـدءا بـأول مـن قصـد القصـائد و هـو الملـك الضـليل الـذي كانـت إباحيـة مـن أسـباب خلعـة مـن القبيلة ، لكنه لم يحد عن ذلك وهو القائل :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة قالت لك الويلات إنك مرجلي

فقلت لها سيري وأرخي زمامه ولا تبعديني عن جناك المعلل

و انتهـاء بشـاعرنا على محمـود طـه الـذي كـان يعتني بتصـوير مفـاتن المـرأة ،و الحـديث عمـا تثيـره هـذه المفـاتن مـن لـذة جنسـية عارمـة ، و قـد نجـد لهـذا الأخير مبررا في المبالغـة في الفحـش ،و ذلـك بحكـم أن مـن مـارس معهـن علي محمـود طـه الغـرام كـن – فـي الأغلـب الأعـم – أوربيـات ،و قـد كـن يجـزن للشـاعر كـل مـا يحلـو لـه ،و لكـن يقضـين و طـره دون شـرط أو قيـد بحكـم عـدم وجـود الـوازع الـذي يـردعهن عـن ذلـك ، لـذلك لـم يجـد علـي محمـود حرجـا في تصـوير هـذه اللقـاءات ،و الحـديث عنهـا بإسـهاب ،و كـذلك عـن فاتناتـه و مفـاتنهن ،و لنسـمع إليه و هو يقول:

أرى ما أرى شفتي غـادة ترفان بالقبلـة الخادعـة

تساقطـني ثمـرا مـا أرى؟ أرى حية الجنـة الضائعـة

أخمرو نار؟ لقد ضاق بي كياني و أوشك أن أختنق

أرى ...ما أرى ؟ بل أشمر ائحـة الجسد المحتـرق

فيا لك أفعـى تشتهيهـا ويا لى من أفعوان نـزق [2]

فـلا يخفـي علينـا مـا في هـذه الأشـعار مـن ذاتيـة مفرطـة ، و هـو لـيس مـن الشـعراء الـذين يشخصـون الظـواهر الخاصـة بـالمرأة بـل يكتفـي بـذكر مغـامرة الحـب ، و تصـوير تجربتـه الشخصـية حتى قيل عنه إنه كان دنجوانيا[3].

و يـذهب أحـد الدراسـيين إلى أن مفهـوم الحـب قـد تغيـر بحكـم الظـروف التي تغيـرت ، و بحكـم تغيـر البيئـات ، و العقليـات . و أن نظـرة الرجـل عمومـا ، و الشـاعر خصوصـا –إلى المـرأة –قـد تبـدلت خاصـة و أن هـذه الأخيـرة أصـحب لهـا مكانـة مرموقـة بـين الرجـال بعـد أن أفتكـت حريتهـا ،و أعـادت مـا سـلب منهـا مـن تميز و اعتبـار ، فأصـبحت عنصـرا خلافـا في المجتمع لا وسيلة إنجاب فقط [4].

فالشـاعر العربـي لـم ينظـر إلى المـرأة تلـك النظـرة السـامية ،و لـم تعـد – بالنسـبة لـه –المخلـوق المقـدس الـذي يسـتلهم منـه مـا تضـمن بـه ينـابيع الوجـود ،إنـه أغفـل ذلـك القلـب النقـي الـذي يعـد

منبعا لأنبل العواطف ، فهي في الشعر إذن : " حسد يمس و جمال يحس " . [1]

و الشاعر إذا تحدث عن المرأة ، اهتم بجسدها لا بروحها ذاكرا ما جذبه إليها كالخصر ،و الردف و نحوهما ، فهو كما يقول أحدهم : "إذا تحدث عن هذا الجمال تحدث عما يوزن بالرطل و القنطار من الشحم و اللحم "[2]

فالمرأة – كما يبدو لي – عند الشاعر العربي عموما ، و علي محمود خصوصا ليست عنصرا بشريا فعالا يحمل معاني سامية و عميقة و هي أيضا ليست رمزا للطهر و النبل ، بل وسيلة للمتعة و اللهو و هو القائل :

أرى ما أرى ؟ جسدا عاريا

تضج به الشهوة الجائعة [3]

و يرى البعض أن المرأة هي "ذلك الينبوع السحرى المتفجر من قلب الحياة " [4] ، ففيها وجد الشاعر ما يروي ظمأ قلبه إلى الجمال ،و هي ذلك المخلوق الجميل الذي يحمل في قلبه رحيق الوجود ،و هي ذلك الطيف السماوي الذي يعلم البشرية طهارة النفس ، لذلك كان الشاعر لا يتواني في استهلال قصائده بمناجاتها ، و الحديث إلى ديارها و ربوعها [5] ، و يبدوا أن حضورها القوي في مقدمات القصائد ليس دليلا على تقديس المرأة أو سموها ،بل تعويضا عما كان يعانيه الشاعر من وحشية الصحراء و قفارها قديما ، و ما كان يعانيه من فقدان الحرية ،و اضطراب النفس بحكم الظروف حديثا ،لقد وجد هذا البديل في الخمرة ، التي تذهب الأحزان ،و تجلب المسرات ،و في المرأة التي وجد عندها الشاعر متعة الجسد باعتبار أنها منبع الشهوات .

الرجل العربي لا يبوئ المرأة المكانة السامية فهي لم تكن تستشار في الحل و العقد ،و كان يفرض عليها الرأي فرضا ، بل ليس لها حق في الرد عليه ،أو بمجرد إبداء عدم الرضا أحيانا ، لقد كان الرجل هو الذي يسطر لها كل ما يخص حياتها و ما عليها هي إلا التنفيذ و السمع و الطاعة و الإذعان للأوامر فقط ، فعدم مشاركة المرأة العربية في الحياة العامة و سلبها حقوقها جميعا لا يدل على مكانة معتبرة بين الرجال ،و أما عن كثرة التغني بها في الأشعار فيفهم منه أنها بالنسبة للشاعر العربي –كغيره من الرجال – جسد يشتهى ،و متعة من متع العيش ([6])و كلما فاز الرجل بكم من قلوب النساء كلما أحس بالرجولية ،و فاخر غيره كونه استطاع أن يأسر هذه القلوب كلها .

فالمرأة عنصر للهو و المتعة لا مشاركة فعالة في المصير و الحياة .

أما نظرة الحب و الإجلال و التقديس إلى حد العبادة –كآلهة الشعر و الجمال و الحب ...) – المرأة عند اليونانيين لو فنشنا عنها عند العرب لوجدناها تنعدم أو تكاد [7].

و علي محمود طه عاش المدنية الغربية بكل ما تحمل من فجور و فسق ، لأن المدنية ما تفشت إلا و تفشي معها الفسق و توافرت أسباب اللهو و المجون ،و علي محمود كان يرتاد مجالس اللهو في أوربا فيصف القيان ، و المغنيات ، الراقصات و الموسيقيات ، لذلك كان شعر الغزل عنده بعيدا عن العفة موسوما بالإباحية .

قائمة المصادر و المراجع :

1- الزوزني ، شرح المعلقات ، دار الجيل ،الطبعة الثانية ، ص 45 .

2- خالد الزواوي ،الصورة الفنية عند النابغة الذبياني ، ص 183 .

3- عباس محمود ، العقاد ،اللغة الشاعرة ، ص 43 .
4- علي محمود طه ، الديوان ، ص 8 .
5- بوجمعة بوبعيو ،الموازنة بين الشعراء المهجر الشمالي و جماعة أبو لو ، ص 155 .
6- المرجع نفسه ، ص 169 ،170 .
7- علي محمد طه ، الديوان ،ص 567، 568 .
8- علي محمود طه ، الديوان ، ص 258 .
9- المصدر نفسه ، ص 579 .
10- الديوان ، علي محمود طه الديوان دار العودة ،بيروت ،1972 . ص 491
11- علي محمود طه ، الديوان ، ص 117
12- عبد المنعم خفاجي ،رائد الشعر الحديث ، الطبعة الثامنة ،ص 56 ،57 .
13- المصدر نفسه ،ص 569 .
14- الديوان ، ص 231 .
15- المصدر نفسه ،ص 407 ،من قصيدة (المرأة و الفن) .
16- الديوان ، ص 231.
17- المصدر نفسه ،ص 402
18- الديوان ، ص 404 ، 405
19- بوبعيو ، الموازنة ، ص 169 ، 170
20- المرجع السابق ، ص 171.
21- أبو القاسم الشابي ، الخيال الشعري عند العرب ، ص 78
22- المرجع نفسه ، ص 78
23- الديوان ، ص 401
24- لشابي ، الخيال الشعري ،ص 79
25- المرجع نفسه ، ص 78
26- الشابي ، الخيال الشعري ،ص 98
27- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

المجلة الجزائرية للعلوم – سلسلة ب
آداب وعلوم الإنسانية
ISSN : 2661-7064
http://univ-eltarf.dz/fr/

العتبات النصية في الرسالة الديوانية

الدكتورة : فريدة لعبيدي
جامعة الشاذلي بن جديد-الطارف

ملخص:

يعد نظام العتبات النصية خطابا تداوليا ،تبليغيا ،استباقيا ،ابتدائيا تمهيديا، تعريفيا للنص المتن ، ويمكن عده موقعا تداوليا يوثق الصلة بين الكاتب وقارئه ويحقق في الوقت نفسه تميزه عن باقي النصوص وهذا ما سنحاول الوقوف عليه من خلال تعيين العتبات النصية في الخطاب الرسائلي الديواني وما مدى فاعليتها في التعريف به.

الكلمات المفتاحية:

العتبات –النص- الرسالة الديوانية –العنوان – المقدمة- الدعاء والسلام- التأريخ –الختم –العلامة السلطانية.

Abstract:

The text threshold system is a pragmatic discourse, Informational, proactive, preliminary, preparatory, define the body of the text, it can be considered as a linguistic perspective which informs the link between the author and his reader and at the same time realizes its distinction from the rest of the texts, this is what we will try to rely on by setting the text thresholds in the discourse of the Diwaniya letter and how effective it is in introducing it.

Key words: Thresholds - Text – Diwaniya letters - Address - Introduction - Supplication and Peace - History - Stamp - Royal Sign

توطئة:

عرفت الدراسات اللسانية المعاصرة اهتماما واسعا بمكونات الخطاب، يتضح ذلك من خلال تنوع الأبحاث وتعددها. وهذه الترسانة الكبيرة من المصطلحات (استراتيجيات، عتبات (*) بني نصية، هوامش النص، العنوان بصفة عامة، أو النص الموازي، عناصر الخطاب..) و التي تنم عن معالجات متباينة لسانية سيمائية، تداولية، سردية، نقدية لموضوع العتبات

ولقد جاء في تعريفها منذ "دومنيك مونقانو" النص المصاحب للمتن باصطلاحات "بأنّها الملفوظات التي تحيط بالنص" العنوان، العنوان الفرعي ،التقديم، الضمنية ،فهرس الموضوعات ..إلخ" و هو تعريف لا يختلف فيه بعيدا عن تحديدات منهجية[1] أخرى، و من ذلك ما ورد عند "جون ديبوا" (**) ،و يبدو أن العناية فهذه الظاهرة مرتبطة بتطور الأفاق التداولية و تحليل الخطاب و العتبات تتحدد جوهريا بكونها خطاب واصفا متميزا يقوم بوظيفة البعد التداولي للعمل الأدبي من جهة و وظيفة التأثير على المتلقى من جهة ثانية بحيث يثير أسئلة تتناول الشكل و الحدث و الموقع، و الزمان، و المرسل و المستقبل و من خصوصياته:

1- تنظيم و عرض البراهين و الحجج لإبراز مكامن الشعرية في العمل الأدبي
2- من سمات الخطاب المقدماتي تعيين السؤال
3- يحايك فن الاقناع في الخطاب المقدماتي
4- انطلاقه من عقيدة مسبقة وسعيه إلى الاقتناع بها.
5- تحوله غالبا إلى خطاب سجالي[1]

- وعليه فإن نظام العتبات هو خطاب تداولي، تبليغي، استباقي، ابتدائي، تمهيدي، تعريفي، إضافي للنص المتن، ويمكن عده موقعا تداوليا يوثق الصلة بين الكاتب و القارئ.

1) **العنوان:** العنوان هو العتبة الأولى التي يصطدم القارئ وهو مركز الاهتمام الأساسي الذي يمكن أن يأسر المتلقي كما يمكن أن ينفره من عملية القراءة وله حسب "جيرار جينات ":ثلاث وظائف رئيسية هي تعيين الأثر وضبط محتواه أو نوعه أوكلهما معا وترغيب الجمهور المستهدف فيه" [2] ويمثل العنوان أهم عناصر الخطاب المقدماتي لكونه مدخلا أساسيا في قراءة النص، و من الجلي أنّه العتبة الأولى التي تواجه المتلقى في سيرة إلى عالم النص الأساسين فهو أول إشارة لغوية يتلقاها في التواصل و التفاعل معه، و بالوقوف عند ما ورد في معاجم اللغة العربية من دلالات معجمية لكلمة العنوان، يمكن إعادتها إلى مادة "عنن"[(**)] و تقسيم إلى دلالات لغوية، تحوي الكلمات "القصد و الإرادة" و "الظهور و الاعتراض" و "الرسم" و "الأثر" دلالات اصطلاحية وردت على شكل جمل كلمات استدلت بشئ تظهر على غيره فهو عنوان له "أو العنوان بسمة الكتاب"

2) يعتبر العنوان أحد أهم مكونات مقدمة الرسالة و هو يختلف باختلاف الأزمنة، ففي الماضي كانوا لايزيدون على قولهم من فلان، وفي الكتاب العزيز"إنّه من سليمان"[3]ثم زاد و يعد ذلك من فلان إلى فلان و بهذا يجاب لكتب عن نبينا الأمي –صلى الله عليه وسلم- و يكتب إليه، ثم فننوا بعد ذلك و تعمقوا[4]، و قال الجهشياري مبينا سنة العرب في البدء بأنفسم إلى المكتوب إليه، "و كتب فلان إلى فلان"[5].و كان الرسول –صلى الله عليه و سلم- يكتب إلى أصحابه و أمراء جنوده، من رسول الله إلى فلان [6] و كذا شأنه في مكاتبة زعماء الدول الاخرى و ستمر نفس النهج على عهد الدعوة الاسلامية و تلاها، فصار سنة متبع

لامحيد عن اقتفائها اللهم بعض الحالات الشاذة أذ نلفي من يقدم معاوية بن أبي سفيان و هو المرسل إليه على المرسل و هو عبد الله بن عمر،إذ أدار هذا الأخير أن يكتب إلى معاوية فأشار ولده أن يبدأ به في الكتاب ،فكتب : إلى معاوية بن أبي سفيان من عبد الله بن عمر"[7] أما عن تسمية هذا المكون بالعنوان فيقول "ابن عبد الغفور الكلاعي "ويحتمل أن سمى عنوان الكتاب عنوانا لوجهين: أحدهما أنه يدل على غرض الكتاب، فإن عنونت بقولك: (الواجد لوجوده) أزاح الله أرزاءه فلان) دل ذلك على أنه في تعزية و اذا عنونت بقولك (رهين شكره اللهج بتطنيب ذكره- فلان)دل على أنه في شكر و الوجه الأخر أنه سمي عنوانا لأنّه يدل على الكتاب ممن هو و إلى من هو"[8]

و العنوان للكتاب كالاسم للشيء، به يعرف و به يتداول، و بالنسبة للدلالات اللغوية فإن" محمد فكري الجزار" يعتبرها حافة ذات علاقة بالدلالات الاصطلاحية فإن القصد و الارادة يرتبطان عندما يكون المرسل ينطلق من مقاصده في إرساله العنوان للمتلقي و هذا العنوان يحمل "المراسلة" في دلاليته، و هذا الحمل هو قصد المرسل و إرادته، أما الظهور و الاعتراض فيختصان بالمستقبل، لأنّ العنوان هو ما يظهر له و يعترضه من العمل ففي الرسالة الديوانية يتمثل العنوان في تحديد نوع الرسالة و مرسلها و إلى من مرسلة، و هو أول ما يظهر في الرسالة لدى المستقبل و لها تأثير كبير عليه خاصة لحظة إدراكه للمرسل و سلطته، فالعنوان هنا يحدد موقف المستقبل و مدى تأثره بها، و هو عادة يكون شديد الاختصار و الوضوح والدقة على الصعيد اللغوي فتحديد المعارف الخلفية للعمل الإرسالي فنجد مثلا:

- رسالة مروان إلى ابن هبيرة لما وصلته رسالة نصره الأخيرة[9]
- نداء المأمون ضد معاوية[10]
- خطبة المهدي لما مات أبوه و أصبح خليفة[11]

و يؤكد الوسم و الأثر على استقلال الوسم انطولوجيا عما يسمه أي استقلال العنوان عن نصه بالرغم من نستبه إلى عمله أو نسبة عمله إليهو في المعرفة اللسانية الحديثة برز الاهتمام بالعنوان كإجراء لغويا منهجيا منذ عقود و عدا من المألوف البحث في قضايا "علم العنوان" "TIROLOGIE"[*] و لقد لقى هذا النسق المعرفي اللساني الاهتمام الواسع ضمن الدراسات التداولية و السيمائية و السردية و من هنا فإن مقاربة العنوان تأتي في سياق المعالجة التداولية لأنّها تهتم بتحليل مختلف إجراءات التلفظ و التواصل الأدبي و غير الأدبي من زاوية التلقي و دور القارئ. ولدراسة العنوان نسأل:

1- لماذا هذا العنوان بذات؟
2- هل تم اختباره عن تقعيد؟
3- هل جاء تصوره عفويا؟
4- هل تشارك مع النص ومضمونه ومعناه؟
5- ما الصلات التي تربط العنوان بالسلوك اللغوي العام؟

مثال: ورد هذا العنوان في رسالة الرشيد إلى ملك الروم "من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم"

ولدراسة هذا العنوان نجيب على الأسئلة السابقة الذكر

1- لماذا هذا العنوان بالذات؟ الخليفة هارون الرشيد اعتمد هذا العنوان أثري تلقيه رسالة تهديدية من نقفور مللك الروم،
2- هل تم اختياره عن تقعيد؟: بطبع لان كل كلمة فيه مختارة بغرض في نفس المتكلم، فهارون الرشيد عرف قوته و سلطته العالية و وزن كبير في ذلك الوقت و كان لا يظاهيه ملك و اختيار العنوان بكل دقة و قناعة
3- هل جاء بصورة عفوية؟ لم يكن بصورة عفوية فقد قصد الملك كل حرف أورده في العنوان،

فكيف يتجرأ نقفور و هو في موقف ضعف من تحدي الخليفة هارون الرشيد خليفة زمانه .

4- هل تشارك مع النص في مضمونه و مهناه؟ بالتأكيد قد تتطابق العنوان مع ما ورد في النص من معاني التهديد و الوعيد و الاهانات المبعوثة و المبثوثة في ثنايا الرسالة و مع اختصارها فقد اوصلت كل ما أراد الخليفة أن يؤكده لدى المتلقى.

5- ما الصلات التي تربط العنوان بالسلوك اللغوي العام؟: الخليفة في سياق رد لاذع و قوي لملك الروم باختيار من قاموس اللغوي العنفي ما أراد حتى يوصل غضبه الشديد إلى ملك الروم المنهزم في فجنح الروم إلى السلم على أثرها مع المسلمين في عهد الرشيد الحصيف الشهم الحكيم.

تحليل العنوان لسانيات و نحويا: يعرف العنوان على أنّه "تعبير عن جزء من كل، و يسمح التحدث به باستحضار هذا الكل، و هذا المعنى يفترض في العنوان حكم الاشتمال على عناصر الخطاب المكني عنه، يبتدئ النص الأساسي جوابا عن الأسئلة، في مفرادات جملة العنوان، و تشغيلها بما يتضمن عدم إرباك العلائق الوظيفية بين المكنى و المكن عنه"[12]

إذن فدلالة العنوان تؤشر على جانبين اثنين:

1- البعد التواصلي من خلال المفردات الأولى التي تكتنز خلفها معطى تداولي كبير في ثقافة و تكوين المرسل فيسعى إلى التفاعل الإيجابي و التأثير هو الذي دعاه إلى هذا الاختيار الأسلوبي دون سواه و هذا يعني حضور خاصية الطابع الحجاجي له؟ مادامت هناك قصدية الاستمالة و التأثير في المتلقى أو القارئ. إن المفردات الأولى في الخطاب الرسائلي الديواني عادة هي المحددة لطبيعة الرسالة فيدرك القارئ ما بيده أو ما بصدر قراءته أو الاستماع إليه. فيعرف أنه خطة أو رسالة أو نص بيعة أو مرسوم، أو عهد أو وصية أو غيرها و الوثائق السياسية و الإدارية في الادارة العباسية آن ذاك.

2- لهذا العنوان دلالة خاصة لأنّه يمثل مجموع النص:

أي يحاول أن يحمل كل علائقه و يعبر عن كل مكوناته، و يلخص محمل موضوعاته؟ فالعنوان تجل صريح و إضاءة لغوية للنص المتن قبل الولوج إليه ما من شك في أن الكاتب يتعمد ذلك و يعتمد غالبا على الاقتصاد اللغوي، إذ ليس من حاجة إلى التصريح و تحقيق العناصر الإشارة في بنائه و تركيبه اللغوي مما يعني أن هناك افتراضا مسبقا بين المرسل و المرسل عليه هو الذي يؤسس للعناصر المضمرة في سياق المتخاطب، و يتم التأسيس للعناصر الغائبة غير المحققة، بالاعتماد على الكفائتين اللغوية و التداولية. ومن هنا نتساءل ما الذي يخلق من تعالق العناصر الظاهرة المتحققة؟ ثم ما وجه الحذف والإضمار في العنوان، وبشكل أدق ما هي العناصر المضمرة؟ وما دلالات ذلك في الاستعمال اللغوي؟ ثم بعد ذلك كله ما القوة الانجازية الأدبية التي يمكن أن يحملها العنوان؟

مثال: رسالة أبي داود إلى أبي مسلم[13]

نعرف من خلال هذا العنوان أن هناك خطاب يبعث من أبي داود (المرسل) إلى أبي مسلم (المرسل إليه) و قد حققت لنا الجملة المتكونة من: مبتدأ (الرسالة) + المضاف إليه أبي داود) + حرف الجر (إلى) + الاسم المجرور (أبي) + المضاف إليه (مسلم) المعنى الشامل الذي حققه تعالق كل هذه العناصر الظاهرة.

لكن الشيء المضمر هو: موضوع الرسالة، مكان كتابة الرسالة، زمن كتابة الرسالة، سبب كتابة الرسالة، نوع السياق الذي كتبت في الرسالة

إذن فالعنوان ما هو إلا تلخيص شديد للنص المتن لكنه يشكل عتبته الأساسية، اذ يكفي أن نعرف أن هذا المكتوب قد كتبه إلى داود و أرسله إلى أبي مسلم و الذي تثيره الفضول فليدخل بوابة النص الأصلي ليتمكن من معرفة كل مقتضيات الموضوع،و قد جاء العنوان على شكل مركب اسمي يخلو من المكونات الأدائية المنجزة

التي لا تطفو إلى السطح و لكن تبدو في قصدية المرسل/الكاتب و تستلزم حوار بينه و بين المتلقى، و حاجة إلى التصريح و المكونات الاشارية المشخصة و المحددة للخطاب و تحديده زمانيا و مكانيا و هي عناصر تتلخص في: (الأنا، الهنا، الأن)

و يتم إدراك هذا الفعل الإنجازي غير المباشر بالاعتماد على ما يسميه "سورل" استراتيجية الاستنتاج "Inference Strategy" و بالنظر إلى الإشاريات نلاحظ أن كفاية المتكلم تحتفظ بها، لأنّها لا تسمح بالتكرار كما لا تسمح إلا بإنجاز ما هو ضروري للقيام بعملية التواصل، فهناك إشاريات صريحة هي التي تظهر في الملفوظ و هذه نجدها في متن الرسالة الديوانية خاصة في بدايتها واضحة جلية أين يكثر الفعل الإنجازي المباشر، و الإشاريات الضمنية تحتفظ لها مضمرة في الكفاية البلاغية بين المتخاطبين.

و النسبة لخصائص العنوان في الرسائل الديوانية فهي كثيرة و من ذلك :

1- الوضوح 2-ارتباط العنوان بالنص مباشرة 3- الاشتمال على مكونات العمل و دلالاته و مقاصده4- تكثيف المعنى في كلمات محدود 5- الطابع الإقناعي الحجاجي 6 -الاثارة و جلب الانتباه

7-التلخيص الاستباقي

أما وظائفه فيمكن تحديدها اختصارا في:

1- التعيين2-الوصف الدقيق3-الايحاء

و لهذا فإن العنوان بصورة إجمالية جزءا من المبنى الاستراتيجي للنص الذي استطاع المرسل أن يمارس به سلطته الخطابية من خلال حدث الارتباط التفاعلي بينه وبين النص المتن ،اذ يشكل علامة لغوية تداولية مركزية في خطابه و تجدر الإشارة إلى أنّ العنوان في الخطاب الاداري الديواني ظهر على صورتين فأحيانا نجد العنوان يحمل الفعل الإنجازي المباشر خاصة إذا كان صريحا و على لسان باعثه مثل: من خليفة المؤمنين إلى نقفور كلب الروم. لكن إذا وجد هذا الخطاب منقولا في أمهات الكتب القديمة بصورة: رسالة أمير المؤمنين هارون الرشيد إلى نقفور ملك الروم هنا يفقد العنوان الإنجازية المباشرة فيه و يصبح فعل إنجازي غير مباشر، فالنص في جوهره توال من الحال المعلوماتية.

عادة ما تسبق البسملة العنوان مثل:«بسم الله الرحمان الرحيم من أمير المؤمنين إلى نقفوركلب الروم»[14] و لنا مواقف أخرى للحديث عن قيمة البسملة في الخطاب الديواني الرسائلي في العصر العباسي.

❷**المقدمة**: "Préface" ترد كلمة مقدمة في المعاجم العربية ضمن مادة "قـدِم" بمعنى أول الشيء و صدره؛ و هي إلي ذلك متداخلة مع مصطلحات أخرى؛ و التي لا تجد فروق حاسمة بينها، فيما عدا بعض الاستعمالات التي تبدو و كأنّها مختصة بحقل معرفي ما، و حين تعرضها لتعريف المقدمة تفرّق المعاجم العربي الاصطلاحية[**] بين مستويين في المقدمة، مقدمة يمكن تسميتها بمقدمة علم و أخرى نسميها مقدمة تأليف و في المعرفة المعاصرة بدا أنّ المقدمة هي جزء من نظام معرفي عام تعرفنا إليه في البدء لـ"عتبات النص" "فجيرار جينات" يعد المقدمة كل نص تمهيدي يسبق النص، يتميز بطبيعته الزمنية المزدوجة يتسم بالاستباقية و الاستعادية في الآن نفسه، و هي استباقية لأنّها تسبق كتابة النص المزمع قراءته واستعادية لأنّها تعيد قراءة النص المكتوب وتتلخص المهام الكبرى أو الوظائف التي تضطلع بها المقدمات في ما يسميه "جرار جينات" "القراءة الجديدة للنص" كقاعدة أساس يعترف إزاءها بتعقدها على الرغم من بساطتها الظاهرة، إذ يمكن تقسيمها إلى قسمين:

«ضمان قراءة النص أولاً، و تأمين أن تكون هذه القراءة جيدة ثانيًا، و لا يقف التقسيم من هذا الحد إذ يمكن تشطير هاتين الوظيفيتين إلى وظائف صغرى تطلع بالمهام التالية: حماية النص من سوء الفهم، و قيادة المتلقي نحو القراءة المؤدية إلى الفهم السليم، إقصاء التأويلات البعيدة و غير الملائمة ...».[15]

المقدمة إذا من الوحدات الدالة تواصليًا، و المشكلة لتداولية الخطاب خاصة إذا أخذنا بمبدأ الإبراز التداولي الذي يأخذ بالصياغة التالية:« تتموقع المكونات الحاملة لوظائف تداولية خاصة (محور، بؤرة) في مواقع خاصة تشتمل على الأقل الموقع الصدر، و يقتضي المبدأ أن تحتل المكونات مواقع أخرى غير مواقعها العادية لأسباب تداولية ...».[16]

و الرسائل الديوانية عادة ما تقدم بالبسملة كاستفتاح للرسائل أو صدور الرسائل، فقد روى "ابن عبد ربه" عن "إبراهيم بن محمد البستاني" إن الرسائل العربية لم تزل تستفتح بـ(باسمك اللّهم)، حتى أنزلت سورة هود و فيها: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾[17] فكتب باسم الله ثم نزلت سورة الإسراء: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللَّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ﴾[18]و كتب باسم الله الرحمان، ثم نزلت سورة النمل: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[4]، فاستفتح بها رسول الله –صلى الله عليه وسلم- و صارت سنّة[19]. و قد حاولت الرسائل الديوانية العربية الإسلامية تدريجيًا أن تسير على نهج واحد في جعل الصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم- رديفة البسملة في صدر الكتاب، إذ وجب الامتثال لقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم-:«لا تجعلوني في إعجاز كتبكم كقدح الراكب»[20]، و من جهة أخرى أورد "الكلاعي" في بعض الألفاظ التي تستعمل في الصلاة على النبي–صلى الله عليه وسلم- و بيّن خصائص كل منها في علاقتها بالبسملة، و من هذه الخصائص أن يكون لفظ الصلاة على النبي معادلة في الوزن و السجع، و غير ذلك[*] و بعد البسملة و الصلاة على النبي الكريم ستحسن العبور إلى الموضوع بواسطة عبارة "أما بعد"، التي استعملتها العرب منذ القديم في رسائلهم و خطبهم و لازالت تضطلع بنفس الأهمية و الدور إلى يومنا هذا[21]، يمكن ربطها بالتحميد و شكر الله، و يمكن اعتبارها قناة موصلة إلى صلب الموضوع مباشرة، كما يمكن الجمع بين تحية المرسل إليه و حمد الله، كالاستفتاح بقولهم:«سلام عليك أني أحمد الله إليك» [22] و "الكلاعي" نظرًا لاطلاعه الواسع على ما كتب قبله في هذا الباب و انطلاقًا من تمرسه بالكتابة و معرفته بأسرارها يبين بعض الخصائص التي ينبغي أن تتسم بها صدور (مقدمة) الرسائل السلطانية من ذلك قوله: « فما يكتب عن الأمراء إلى من مرق عن الطاعة، و شق العصا: أما بعد، أحسن الله توفيقك، و نهج إلى الرشد طريقك، و ما يستفتح به عنهم إلى زعماء الروم: سلام على من اتبع الهدى و تجنب سبل الضلالة و الهوى، و تمسك من طاعة الله و رسوله بالعروة الوثقى، و مما يكتب به عنهم إلى القضاة الفضلاء و الفقهاء و العلماء: أمدك الله أيها الولي الأخص و الخليل الأخلص بالتقوى، و فسح لك التقوى، و جمع لك بين الآخرة و الأولى».[3]و يستحسن أن يشير الكاتب إلى الغرض في صدر كتابه بطريقة فنية مناسبة، قال ابن جني:«إذا كان المرسل حاذقًا أشار في حميده إلى ما جاء بالرسالة من أجله»[23].

و من النقاد من ذهب إلى أن تخص التحميدات في الرسائل السلطانية دون غيرها "كابن الأثير" الذي يقول في هذا الصدد:«من الحذاقة في هذا الباب أن تجعل التحميدات في أوائل الكتب السلطانية مناسبة لمعاني تلك الكتب، و أنّها خصت الكتب السلطانية دون غيرها لأنّ التحميدات لا تصدر في غيرها، فإنّها تكون قد تضمنت أمورًا لائقة بالتحميد كفتح مقفل أو هزيمة جيش أو ما جرى هذا المجرى» [24]

إنّ المقدمة بموقعها في المنظور التداولي حاملة لوظائف تداولية؟؛ وتعد نوعًا من التعاقد الضمني بين المؤلف و القارئ الذي ينشأ بينهما منطلق حرص المرسل على فهم قصدية خطابه، و ممارسة المحاججة و الإقناع به؛ و تطلع إلى التفاعل معه بصورة جيدة. و إذا كان العنوان مثلاً موجه إلى عموم الجمهور المتلقين، و كافة القراء فإنّ المقدمة تقصد المتلقي الراغب في الاقتراب أكثر من

النص المتن (المركزي)؛ ذلك أنّها أول ما يجب أن يطالعه و إذا كان هناك بعض القراء يقصدون النص المركزي مباشرة على أساس أنّه الأهم، فان هذا التجاوز غير مبرر.[25]

فالمقدمة صرح يحتل موقعًا استراتيجيًا لتشييد علاقة متينة من التواصل والتفاعل مع الخطاب لأجل ذلك كان اهتمام العلماء العرب بالمقدمات و حسن تدبيجها؛ فلا يخلو مؤلف من مؤلفات الكتاب من دقة التعبير وحسن و جمال الصياغة.

فالمقدمة هي:

1- فك شفرات النصوص الغامضة.
2- عالم مصغر ممثل للنص.
3- علاقتها بالنص علاقة إجمال و تكامل.

و إذا كان المرسل الذي يدفعه البعد الوظيفي للاشتغال باللغة و استعمالها بصورة لائقة و مناسبة فان للرسالة وظيفة تواصلية، تفاعلية تملي التقديم اللائق تحديدا، و تصورا و إستراتيجية خاصة.

أمثلـة:

1) رسالة محمد بن عبد الله بن ظاهر إلى عماله بتولية أخيه عبيد الله مكانه وذلك قبيل وفاته زمن المعتز سنة 253هـ:«أما بعد: فان الله -عزّ وجل جعل الموت حقا لا مقضيًا جاريًا على الباقين من خلقه حسبما جرى على الماضين، و حقيق على من أعطى حظا من توفيق الله ن يكون على استعداد لحلول ما لابد منه و لا محيص عنه في كل الأحوال و كتابي هذا ....."[26]

2) رسالة إلى المقتدر بالله من صاحب بريد اليدنور أن بغلة ولدت فلوة:«بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله الموقظ بعبره قلوب الغافلين و المرشد بآياته باب العارفين، الخالق ما يشاء بلا مثال ذلك الله البارئ المصور في الأرحام ما يشاء-و إن الموكل الطواف.....».[27]

3) كتاب الرشيد إلى عماله من أجل ولاية العهد: «بسم الله الرحمان الرحيم فإن الله ولي أمير المؤمنين و ولي ما ولاه و الحافظ لما استرعاه و أكرمه به من خلافته و سلطانه و الصانع لما فيه تقدم و أخّر من أموره، و المنعم عليه بالنصر و التأييد في مشارق الأرض و مغاربها، و الكالي و الحافظ و الكافي من جميع خلقه، و هو المحمود على جميع آلائه و المسؤول تمام حسن ما أمضى من قضائه لأمير المؤمنين و عاداته الجميلة عنده و الهام ما يرضى به و يوجب له أحسن المزيد من فضله....».[28]

و الأمثلة الثلاث ناطقة بكل ما أقررناه حول قيمة المقدمة بالنسبة للخطاب الرسائلي الديواني، فقد ركزت كلها على الجانب الديني عملا بالمعمول به منذ ظهور الرسائل الديوانية عند العرب من ذكر الله و الثناء عليه و حمده وشكر، ولكن لكل مبدع أو كاتب للرسالة طريقة في استخدام ما يساعده من اللّغة العربية للتعبير عن ذلك، و يكون في نفس الوقت مناسبا لمحتوى الرسالة أو قريب منه. حتى يتماشى المستفتح به و الموضوع المراد طرحه في الرسالة و لا يكون تشويش على المتلقي فتحافظ الرسالة على نفس مستوى التفاعل و التواصل بينها وبين متلقيها.

3-الدعـاء و السـلام: يستهل عبد الحميد الكاتب هذا الفصل، بالتأكيد على الإكثار من الدعاء في الرسائل بصفة عامة-من أبهر الدلائل على ضعف البضاعة في الصناعة».[2] لكنه ما فتئ يؤكد أن الإطناب في الدعاء لدى مخاطبة الملوك و الأمراء مستحسن بشرط أن يتحرى الكاتب في دعائه الألفاظ الراقية، و المعاني الرائقة مع توخيه ما يناسب الحال، و يشاكل المعنى و يوافق المخاطب[3]، و ذكر "ابن الغفور" ما يستحسن من اللفظ في الدعاء مثل قولهم:«أدام الله توفيقك، و زاد في علو قدرك»[4]، و قد استطرد عرض الألفاظ و

المعاني المستكرهة و الملاحظ بخصوص الرسائل الصادرة عن الخلفاء و الملوك هو عدم الإكثار من الدعاء للمرسل إليه، و أحيانًا خلوها منه، حين يكون المرسل إليه مأمورًا.

و يختم مضمون الرسالة بالسلام، كقول الكاتب:« و السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته» و غير ذلك [29] و قبل السلام عليكم يمكن أن يختم الكاتب رسالته إمّا بالتذكير بموضوع الرسالة، و إمّا بآية قرآنية أو حديث شريف أو غير ذلك مما سنكتشفه من خلال الأمثلة:

1) خطبة المهدي:«... إن أحسن الحديث و أبلغ الموعظة كتاب الله، يقول الله تبارك و تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة الأعراف الآية 204)، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمان الرحيم: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ* ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ أوصيكم عباد الله بما أوصاكم الله به، و أنهاكم عما نهاكم الله عنه، و أرضى لكم طاعة الله، و أستغفر الله لي و لكم». [30] فالمهدي ختم رسالته بالنص القرآني وبالوصية وبالدعاء لأنّه مدرك لتأثير ذلك على الرعية.

2) رسالة من عبد السلام الشكري إلى المهدي، حيث ختم رسالته بما يلي: «... أيّها الطاغية! أفمن بعد هذا حياة؟ فانظر لنفسك فما عيني عنك بنائمة تصادق من يصدقك، و تبقى من يقتلك و ما أنا بالعازم، الفتح بيد الله يحكم ما أحب، و إنّما أنا عبد من عباده لا استطيع منه امتناعا و لا عن نفسي دفاعًا ولا حول و لا قوة إلا بالله». [31]

و قد ختمت هذه الرسالة بتهديد و وعيد و تسليم لله - عز وجل- عسى من المتلقي "المهدي" أن يراجع نفسه و يتقي الله.

4-**التـأريخ:** يقول ابن عبد ربه في بيان أهمية توثيق تاريخ كتابة الرسالة:«لابد من تأريخ الكتاب لأنّه لا يدل على تحقيق الأخبار و قرب عهد الكاتب و بعده إلاّ بالتأريخ فإذا أردت أن تؤرخ كتابك بالنظر إلى ما مضى الشهر ، و ما بقي منه فإن كان ما بقي أكثر من نصف الشهر كتب كـذا و كذا ليلة مضت من شهر؛ و إن كان الباقي من النصف مكان مضت بقيت». [32]

و وردت روايات متعددة حول التأريخ عند العرب خصوصا قبل الهجرة النبوية، فقد كانوا يؤرخون بالنجوم أو بحدث مشهور في سنة معينة، و غير ذلك إلى حين ظهور الإسلام حيث اعتمد بالدرجة الأولى على التأريخ بعام الفيل، و لم يستقر العرب على تأريخ ثابت إلاّ بما أقرّ على يد الخليفة "عمر بن الخطاب" فقد أورد "الجهشياري" الخبر التالي:«و كان عمر أول من قرّر التأريخ من الهجرة، لأنّ أبا مسلم كتب إليه: أنّه يأتينا منك كتب ليس لها تأريخ ، و كانت العرب تؤرخ بعام الفيل- فجمع بعضهم بمهاجرة؛ فقال بعضهم أرخوا بمبعث النبي، و قال بعضهم بمهاجرته فقال عمر: لا بل بمـهاجرة الرسول

-صلى الله عليه وسلم، فان مهاجرة فرقت بين الحق و الباطل، و كان ذلك في سنة سبع عشر أو ثماني عشرة من الهجرة، و لما أجمعوا على ذلك قالوا: بأي شهر نبدأ؟ فقال بعضهم من شهر رمضان، قال عمر: بل من محرم، فهو منصرف الناس من حجهم؛ و هو شهر حـرام، فأجمعوا على محرم»[33]، فعمدت العرب التأريخ الهجري إلى يومنا هذا، مرورا بالعصر العباسي فقد وردت بعض الرسائل مؤرخة بالفترة التي حكم فيها كل خليفة أو سلطان.

أمثلـة:

1- ".....و كتب "اسماعيل بن صبيح" يوم السبت لسبع ليال باقين من المحرم سنة ست و

ثمانينو مائة.[كتاب الرشيد إلى عماله من أجل ولاية العهد]. [34]

2- ".....و كتب "معاوية بن عبيد الله" سنة 159هـ.[رسالة من المهدي إلى عماله على البصرة برد آل زياد إلى نسبهم و إبطال نسبتهم إلى أبي سفيان][35]

3- «... و كتب في صفر سنة 160هـ و ختم عيسى بن موسى».[العهد الذي خلع بموجبه عيسى بن موسى نفسه من ولاية العهد بشكل كتاب موجه منه إلى المهدي و إبنه موسى]. [36]

4- «... و كتب يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة من ذي الحجة سنة إحدى وثمانين و مائتين» [مرسوم المعتضد إلى جميع ولاة و عمال مملكته بتأخير إفتتاح الخراج و جعله يفتتح في حزيران من كل عام]. [37]

5-**الختم:** و يعني وضع خاتم السلطان على الرسائل السلطانية الصادرة عنه، و هو عند بني العباس – يقول إبن خلدون- طابع منقوش فيه إسم السلطان أو شارته و يغمس في طين أحمر مذاب بالماء، و يسمى طين الختم، و يطبع به على طرف السجل عند طيه، و الصاقه، و ذلك حتى تثبت صحة صدور الكتاب عن صاحبه و حتى لا يطلع عليه أحد، و لا يتعرض للتزوير و قد روى أنّه أشير إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم- بجعل خاتم في رسائله فقيل له يا رسول الله أن الملوك لا يقرؤون كتابًا إلاّ مختومًا، فاتخذ الرسول –صلى الله عليه وسلم- يومئذ خاتًما من فضة نصف منه نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله، و ختم به»[1]، و كان معاوية أول من اتخذ ديوان الخاتم، مهمته ختم الرسائل السلطانية كيفما كان موضوعها، و حدث ذلك بعد أن اكتشف تزويرًا ماليًا في إحدى الوثائق، يقول "الجهشياري" «و كان سبب ذلك أنّه – أي معاوية- كتب لعمرو بن الزبير لمائة ألف درهم إلى زيد و هو عامله بالعراق، ففض عمرو الكتاب وجعلها مائتي ألف درهم فلما رفع زياد حسابه، قال معاوية ما كتبت له إلاّ بمائة ألف درهم و كتب إلى زيد بذلك، و أمره أن يأخذ المائة ألف منه فحاسبه بها، فاتخذ معاوية ديوان الخاتم و قلّده "عبد الله بن الحميري"، و كان قاضيًا ...». [38]

و إذا كانت البوادر الأولى لنشأة ديوان الخاتم قد ظهرت منذ الرسول –صلى الله عليه وسلم- الذي عيّن لختم الخطابات مسؤولاً و هو "معقيب بن أبي فاطمة"»[39] ، فإنّه ابتداءً من معاوية سيعرف الختم قفزة نوعية جعلت الختم واحدًا من مسؤوليات الدولة التي نظمت داخل الإدارة عُرفت بالديوان، كسائر الدواوين فعندما: يعلق الخليفة بتوقيعه رأي يرده على كتاب تنقل نسخة من التوقيع في ديوان الختم، ثم يحزم الأصل بخيط و يختم بالشمع فأخيرا يختم بخاتم صاحب الديوان». [40]

و استمر الحال في العصر العباسي و ظهرت توقيعات السلاطين بأنواعها و كانت تحضى باهتمام مسؤولي الديوان الخاص بالخواتيم، و إضافة إلى الختم هناك العلامة السلطانية التي تميز كل سلطان عن أخر فما هي العلامة السلطانية؟.

❺**العلامة السلطانية**: تشكل العلامة السلطانية إحدى العتبات الهامة في الرسالة السلطانية، و يقول ابن الأحمر صاحب كتاب "مستودع العلامة و مستبدع العلامة" في تعريفه للعلامة:«إنّها شارة في الكتب كالشهادة الشرعية في العقود»[1] و يؤكد "ابن خلدون" إنّ السجلات منذ عهد العباسيين صارت تصدر باسم السلطان؛ يصنع الكتاب فيها علامته أولاً أو أخرًا على حسب الاختيار في محلها و لفظها[41] و من هنا فالعلامة ذات أهمية خاصة في الكتب و الرسائل السلطانية التي لا تصير نافذة إلاّ بوجود العلامة، و هي بمثابة الطابع المدّور الرسمي بالإدارات في زمننا الحاضر، و هذه الأخيرة يتولى وضعها شخص أمين، موضع ثقة السلطان أي أنّها خطة سامية «تسند لكاتب من كبراء الدولة وذوي الرأي و المكانة [العالية] منهم، و يكون له اعتبار الوزراء» [42] و أحيانًا يختص السلطان بنفسه بوضعها على الكتب و الرسائل إذا كان مستبدًا بأمره، قائمًا على

نفسه، فيرسم الأمر للكاتب ليضع العلامة[4]، لكن الغالب هو أن يختص بها شخص بعينه، يعينه السلطان يسمى صاحب العلامة يقوم بهذه المهمة من موقع أهميتها و قيمتها إذ:«الأمير نفسه لا يقدر على تنفيذ الأوامر إلا بوضع العلامة من كاتبها، بصك الأمر، فلا غروى أن يكون هذا الكاتب المشارك في سياسة الدولة وتدبير شؤونها أكبر اعتبارًا و أسمى منزلة بين أكابر الدولة و زعمائها، و أن يكون كفؤ للمهمة الخطيرة الموكلة له، و أن يكون من المجلس بالمعارف الغـزيرة و براعة التحرير و إتقـان التعبير، على طريقة تسمح له بكتب العـلامة بصـورة لا يمكن تقليدها.[43]

أما عن موقعها فالغالب أن تذيل بها الرسائل فتجعل في خاتمة الكلام، لكن هذا يثن البعض عن تغيير هذا العرف إذ "يضع الكاتب علامته أولاً و آخرًا على حسب الاختيار [44]، و قد جعلها بعضهم في أول المرهق بعد البسملة و جعل بعضها في آخر عند ختم الكلام يقول "ابن الأحمر:«و قد اختلفت آراء الملوك فيها فبعضهم يصغها بيده في الصك، بحبر و لم يتخذ لها كاتبا، كملوك الموحدين (...) إلاّ أن كل سلطان منهم يكتب علامتـه بخط يده و بعض الملوك يكتبها رئيس كتبته، و ربما شارك بعضهم في كتابة العلامة كاتبه المقدم عليها ...»[45]

كانت هذه مجموعة العتبات التي تقيم كيان الرسالة الديوانية سواء من حيث البناء أو اللّغة و هي خصائص فنية، تستدلها من خلال ما في رسالة "عبد الحميد الكاتب" و نصائحه الموجه إلى الكتاب من نواقص و ثغرات و مهما يكن فان "عبد الحميد الكاتب" يشكل حلقة فريدة و رائدة في تاريخ الكتابة الإنشائية العربية، من خلال تثبيته لأصول و قواعد الكتابة، و استمد ذلك من ثقافته التي قامت على أسس قوامها تبحره في الثقافة العـربية الإسلامية المتأثرة بالثقافتين الفارسية واليونانية، ومن ثم ترك أثرًا بارزًا في الكتابة الإنشائية بعده، خصوصًا خلال العصر العباسي الذي عرف ظهور كتّاب آخرون كان لهم أثرهم الخاص، من بينهم و الذي حمل المشعل بعد "عبد الحميد" "ابن المقفع" الذي عمل كاتبا في دواوين الحكام و الأمراء، و اهتم بالترجمة، فكان له أسلوبه الخاص الذي يعكس في أعماله كالأدب الكبير، و الأدب الصغير، مؤسسًـا بذلك مذهبًا سمي بالترسل الصناعي، الذي قام أساسًا على تجنب الإكثار من البديع مع اعتماد الإيجاز والإرسال في الكلام بأساليب بلاغية متميزة و بليغة، و منهم الجاحظ الذي اهتم بالبيان و الجدل، و كتب كتبًا و رسائل في موضوعات كثيرة و متنوعة، بل أنّه اهتم بالرسائل السلطانية و جمع العديد منها و علق عليها في ثنايا أعماله، بأساليب متوازنة بين اللفظ و المعنى ، كما عرف القرن الرابع للهجرة ظهور مذهب الصنعة من خلال التأنق و العناية بالبديع، أو ما عرف بالصناعة البديعية المطبوعة التي تعتمد التروي في انتقاء العبارة و الاهتمام بعودة السبك دون الوصول بالضرورة إلى درجة التكلف و المبالغة في البديع و لنا ما يشفى شغفنا الدراسي من رسائل الخلفاء و الحكام في العصر العباسي فنجد:

*مرسوم أصدره القائم بأمر الله بتعيين فخر الدولة بن جهير وزيرا سنة 472هـ من إنشاء العلاء بن موصلايا:

1) «ثم إنّه يرى من إقرار الحقوق في نصابها، و إمرار حبال التوفيق في جانبها من الممتدة إلى اغتصابها ما يعرب إلى الإهداء إلى طرق الرشد، والاقتداء بمن وجد ضالة المراد حين تشد و يقصد من تجديد العوارف عند كل عالم بقدرها في الزمان عارف، ما يحلو جني ثمره في كل أوان و يحدو انتشار خبره على إعانة كل فكر في وصفه عنوان. فيتناقل الرواة ذكر ذلك غورًا و نجدًا، و تلقى الهمم العلية ادخار الجمال به انفع من كل قنية و أجدى استمرارًا على شاكلة تحلت بالكرم، و حلت من الجلال في القلل و القمم، و حلتْ آثارها في إبلاء نفيس المنح و جزيل القسم».[46]
2) تعيين الخليفة المسترشد "علي بن طراد" نائبًا للوزير: «محلك يا نقيب النقباء من شريف

الآباء، و موضعك الحالي بالاختصاص و الاختيار ما يقتضيه إخلاصك المحمود اختباره الزاكية أثاره، فوجب التعويل عليك وتنفيذ المهام و الرجوع إلى استصوابك في النيابة التي يحسن بها القيام ...». (47)

و تنم كلتا الرسالتين عن ما آلت إليه الكتابة النثرية الفنية بصورة عامة و كتابة الرسائل بصورة خاصة أين غلب طابع التصنع و التكلف في التركيب اللغوي.

و قد تربع على عرش هذا الاتجاه كل من "الصاحب بن عبّاد" و "ابن العمير" أساس و قد بلغ التصنيع ذروته بعد هذا القرن على يد "ابن أبي الشحناء"، ثم "القاضي الفاضل"، هذا الذي تقيد بالسجع و الأساليب المنمقة بالبديع إلى حد لزوم مالا يلزم حيث يمثل اتجاها انتقل مع الترسل إلى التصنع و التكلف و التعقيد. (48)

الهوامش

(*)عبد الرزاق بلال: مدخل إلى عتبات النص-دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، افريقيا الشرق الدار البيضاء، ط،200، ص30

1- المصطلحات المفتاحية لتحليل الخطاب، مرجع سايق ص 84

(**) Dictionnaire de linguistique mp34عبد الرزاق بلال: المرجع السابق ص 32

2 Gerard genette ,seuils ,paris , editions du seuil, 1987,pp73.77.

(**) محمد فكري الزار: العنوان و سمية طيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر،ط1، 1998، ص15

3-الجهشياري: الوزراء و الكتاب، تحقيق مصطفى السقا و إبراهيم الأبيارس، و عبد الحفيظ شلبي، مصر، ط2،ص25

4- العقد لفريد ج5،ص241

5- الجهشياري المرجع السابق، ص25 و قال الكلاعي"و الذي اختار أن يكتب عن الأمر إلى المأمور، من الأمير إلى فلان أعزه الله" أحكام صنعة الكلام ص53

6- الكلاعي: المرجع السابق، ص52

7- الوثاق: ص 80، ج1

8-الوثاق: ص 310 ، ج1

9- الوثاق: ص 80، ج1

(*) هوك ليون "Leo Hoek" يعد من خلال كتابه "LaMarque du Titre" أحد مؤسسي هذا العلم لكن بين و تأثره الشديد بجيرار جنات الذي أحرز السبق دون سواه في معالجة نظام العتبات، و ذلك مع كثرة مؤلفاته و من أبرزها"العتبات" "Seuils" "أطراس" "Palinpesetes" وللتوسع ينظر: جميل حمداوي مجلة علم الفكر، مج25،ع3، يناير، مارس، 1997، الكويت.

10-جميل حمداوي، مرجع سابق، ص 106

11- الوثائق،مج2،ص 168

12 الوثائق: ج1، ص52.

(**) محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،دارالمعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،(دط)، 2002،ص52.

13 عبد الجليل الأزدي: مقدمات نظرية عن خطاب المقماتي، مجلة فضاءات مستقبلية، ع4، ماي1997، الدار البيضاء، المغرب، ص19.

14- عبد الجليل الازدي: المرجع السابق، ص20 و ما بعدها.

15- سورة هود الآية :41.

16- سورة الإسراء الآية: 110.

17 سورة النمل الآية: 30.

18- العقد الفريد: 240/4، الوزراء و الكتاب، ص14، أحكام صنعة الكلام، ص55.

19 أحكام صنعة الكلام، ص64.

20- نفسه ص 58.

21- نفسه ص59.

22-أحكام صنعة الكلام، ص64 و ما يليها.

23 نفسه ص66.

24- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تح: احمد الحوفي، ط 1، مصر، 1959، عبد الله بن

حمد المنصور، ط، أضواء السلف، الرياض 1997، ج2، ص237.

25-عبد الجليل الازدي: مقدمات نظرية في الخطاب ألمقدماتي، مرجع سابق، ص18.

26 الوثائق: ص219 مج2.

27الوثائق: ص224 مج2.

28-الوثائق، مج1، ص190.

29-أحكام صنعة الكلام، ص72.

30-- أحكام صنعة الكلام، ص79 و ما يليها.

31- الوثائق: مج1، ص160.

32-الوثائق: مج1، ص167.

33- ابن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق: الرجيني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط3، 1978، ص242.

34- الوزراء و الكتاب، ص20.

35- الوثائق: مج1، ص192.

36-الوثائق: مج1، ص169.

37- الصولي، أدب الكاتب، تح: محمد بهجت الأثري، المطبعة السلفية مصر، 1431هـ، ص139.

38- الوزراء و الكتاب، ص24-25.

39 مصطفى حركات،السياسة و المجتمع في العصر الأموي، ص155..

40- ابن خلدون: المقدم، ص193.

41- مستودع العلامة، المقدمة ص7.

42 ابن خلدون:المقدمة، ص193 -194.

43- المزيد من الاطلاع، ينظر: مستدوع العلامة، المقدمة، ص8.

44 ابن الأحمر، ص21.

45- صبح الأعشى، ج7، ط4، 1941.

46- الوثائق: مج2، ص140.

47- الوثائق: مج2، ص149.

48 ينظر من اجل المزيد في المعرفة حول أسباب ظهور هذا الاتجاه: الفن و مذاهبه في النثر العربي الشرقي، ص191-225.

المجلة الجزائرية للعلوم – سلسلة ب
آداب وعلوم الإنسانية
ISSN : 2661-7064
http://univ-eltarf.dz/fr/

الانعكاسات النفسية لمصادرالضغط المهني لدى عمال شركة التوزيع والغاز بولاية ام البواقي

الدكتور: ساسي هادف جبير/ الدكتورة: زويتي سارة

جامعة ام البواقي / جامعة الشاذلي بن جديد الطارف

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن الانعكاسات النفسية التي يعاني منها العمال كنتيجة لتعرض لضغوط العمل، و في هذا الصدد وقع الاختيار على احدى الشركات الوطنية التي تحظى بمكانة مهمة في الاقتصاد الجزائري ألا و هي شركة توزيع الغاز و الكهرباء سونلغاز فرع أم البواقي- و لتحقيق أهداف البحث تم تصميم استمارة تم توزيع 70 منها على العمال بذات الشركة ، و بعد عملية الجمع تم تحليل بيانات الدراسة و اختبار فرضياتها باستخدام التحليل الوصفي و الاستدلالي **(spss)** . أين توصلنا إلى معاناة العمال من القلق والاكتئاب كنتيجة لتعرضهم لضغوط العمل.

الكلمات المفتاحية:

مصار ضغوط العمل ، الانعكاسات النفسية -مؤسسة سونلغاز

Résumé

Le but de cette étude est de définir les différentes sources du stress au travail.

Pour cela nous avons choisis l'une des sociétés nationales d'un rang important dans l'économie du pays : il s'agit sonelgaz. Pour les besoins de cette étude, on a établi des questionnaires pour 70 fonctionnaires de ladite société. À leur analyse et la contrainte à l'utilisation de la méthode spss, nous sommes arrivés à identifier les conditions de stress vécues par l'ensembles des travailleurs, lesquelles sont relatives et au profil personnel des travailleurs ce qui nous démonterons à travers cette étude.

مقدمة :

تعتبر الصحة النفسية من أهم العناصر المساعدة على تحقيق النمو والتقدم الوظيفي داخل المؤسسات والشركات، كيف لا وأن الاستقرار النفسي هدف تسعى إلى تحقيقه اغلب المؤسسات والشركات لما يكتسيه من أهمية بالغة تعود بالإيجاب والفائدة عليها. فكلما تمتع العامل بصحة نفسية جيدة زاد نشاطه و حيويته أثناء تأدية عمله و هذا ما يزيد في قدرات إنتاجيته من جهة ومن جهة أخرى تجعله يؤدي عمله بصور صحيحة وسليمة و لعل هذه الحقيقة العلمية هي التي حثت مكتب العمل الدولي على أن ينص في إحدى اتفاقياته الدولية على ضرورة العناية بصحة العمال النفسية، من خلال الحد من مختلف الاضطرابات و الأمراض النفسية ،و نقصد هنا بالأمراض النفسية تلك الانحرافات التي تنجم عن اختلال بدني أو عضوي أو تلف في المخ ،و تأخذ هذه الانحرافات العديد من المظاهر النفسية و لعل أكثر هذه المظاهر شيوعا في أوساط العمال مظهري القلق والاكتئاب.

كما بينت الدراسات الحديثة أن الأمراض النفسية بصورة عامة ذات صلة كبيرة بمعظم السلوكات السلبية للعامل كالغياب والتراخي في العمل وعدم بذل العمال للجهد في العمل، وعدم التركيز في العمل وكثرة الخلافات والصراعات داخل المؤسسات. وهذا ما جعل الكثير من التنظيمات العمالية تعيش في وسط مليء بالصراعات والمشاكل والخلافات بين العمال وعدم الاستقرار. مما نجم عنه زيادة حوادث العمل.

وبالرجوع إلى أهم هذه الأمراض النفسية المعرقلة للسير الحسن للمؤسسات العمالية نذكر على سبيل المثال كل من القلق والاكتئاب. حيث تشير منظمة الصحة العالمية أن ما يقارب 8%و 10 %من سكان العام يعانون من الاكتئاب و القلق وبذالك نستطيع القول أن أي من العمال قد يمتلك في وقت من الأوقات شعور بالحزن أو الضيق أو القلق .

ولقد أفاد بحث بريطاني جديد أن الوظائف التي يتطلب القيام بها جهد ذهني وبدني كبير قد تزيد من خطر الإصابة بالكآبة والقلق عند البالغين، ويشير البحث التي تضمن 1000 فرد في بداية بالثلاثينات أن حوالي 45 بالمائة من حالات الإصابة بالقلق والكآبة يكون لها علاقة بالمهن التي يتطلب القيام بها العمل ساعات طويلة أو مواعيد محددة لإنهائها. كما أوضح أن 10 بالمائة من الرجال و14 بالمائة من السيدات الذين قد شاركوا في البحث قد عانوا من أول حالة من الكآبة أو من قلق في خلال هذه الفترة، وأوضح أيضاً أن هذه الحالة قد تفاقمت بالذين يتعرضون للضغط في العمل أكثر من غيرهم.

ونسعى من خلال هذا الفصل إلى التطرق لأهم الجوانب المتعلقة بهذين المرضين من خلال التعريف بهم وصولا الى غاية اقتراح بعض السبل التي قد تساعد في الحد منهما والتخفيف من حدتهما.

حدتهما.

مشكلة الدراسة:

- ما هي الانعكاسات النفسية الناتجة عن الضغوط المهنية التي يعاني منها العمال؟
- هل توجد علاقة بين مصادر الضغوط المختلفة والقلق لدى عينة البحث؟
- هل توجد علاقة بين مصادر الضغوط المختلفة والاكتئاب لدى عينة البحث؟

فرضيات الدراسة:

تنطلق الدراسة من الفرضيات التالية:

- يعاني العمال من القلق والاكتئاب نتيجة الضغوط المهنية.
- توجد علاقة بين مصادر الضغوط المختلفة والقلق والاكتئاب لدى عينة البحث..
- توجد اختلافات في الجوانب النفسية (القلق و الاكتئاب) بين العمال ترجع إلى العوامل الديمغرافية (السن، الحالة العائلية، المستوى الإداري، طبيعة العمل، الأقدمية) .

1. أهمية الدراسة: تكمن أهمية اختيار هذه الدراسة في أنها تعالج النفسية لمصادر الضغط المهني على العمال و التي عرفت في الآونة الأخيرة شيوعا كبيرا في أوساط

العمال حيث تفشت الكثير من الأمراض النفسية وسط التنظيمات العمالية و اصبح العمال يعانون من القلق و الاكتئاب مما استدعى ضرورة الاهتمام بالصحة النفسية للعمال و محاولة التقليل و التخفيف من حدة المشاكل النفسية التي يعاني منها هؤلاء العمال .

أ- مصادر الضغوط المهنية: يقصد بها تلك العوامل المتعلقة بالمهنة أو الشخص والتي تتسبب في إحساس الفرد بالضغط النفسي، وغالبا ما توجد مصادر الضغوط المهنية أو مسبباتها في بيئة العمل بينما توجد الضغوط داخل الفرد. والمتمثلة في عبئ الدور، صراع الدور، غموض الدور، بيئة العمل المادية، عدم ملائمة الدور، العوامل الشخصية.

ب- تعريف الانعكاسات النفسية:(1)

هي تلك الآثار المرتبطة بالضغوط والتوتر الناتجة عن المتطلبات أو التغيرات التي تستلزم نوعا من إعادة التوافق وما ينتج عن ذلك من آثار جسمية ولقد عرف " مصطفى فهمي" أن الآثار النفسية الناتجة عن ظروف العمل وأنظمته التي يمكن اعتبارها كعوامل ضاغطة من شأنها أن تؤدي إلى عدم التوافق النفسي وعدم تقبل الفرد لذاته وللآخرين، بحيث يترتب عن هذا كله عدم الشعور بالراحة النفسية.

05. الاطار النظري للدراسة:

أ- مفهوم الضغط :

للتعرف على الاشتقاق اللغوي لكلمة ضغط بالرجوع إلى المعاجم اللغوية نجد تعريف للضغط منسوبا إلى ضغط الدم الذي يحدثه تيار الدم على جدر الأوعية أما مفهومه الهندسي فهوة القوة الواقعة على وحدة المساحات في الاتجاه العمودي عليها، وتعتبر ضغوط العمل من الموضوعات الحديثة التي تطورت في المجتمعات الغربية والعربية ونأمل أن تأخذ دورها من البحث والدراسة في المجتمع السعودي. وكلمة الضغط من الكلمات المعروفة في اللغة العربية وذكر "مجد الدين الفيروز أبادي (2)(ضغطه) عصره وغمره إلى شيء، ومنه ضغط القبر، والضاغط الرقيب، والضغطة بالضم الضيق والإكراه والشدة والضغوط أيضاً من الكلمات الشائعة في اللغة الإنجليزية.

و يعرف ***"هانزسيلي"*** الضغط على انه مجموعة أعراض تتزامن لموقف ضاغط ينتج عن عوامل في البيئة الخارجية أوفي الفرد نفسه. (3)

أما **"لازروس"** فيعرف الضغط على أنه ظرف خارجي يضع على الفرد أعباء ومتطلبات فائقة تهدده وتعرضه للخطر(4). بمعنى آخر فالضغط مصدره يكون خارجي مرتبط بأحداث الحياة الضاغطة بحيث يصعب على الفرد التوافق معها كاستجابة حتمية لسوء التوافق الناتج عن ذلك نجد مجموعة متنوعة من الاستجابات النفسية، الفيزيولوجية، الاجتماعية والعقلية.

ب- مفهوم ضغوط العمل:

من الصعب الوصول إلى صورة شاملة وواضحة للضغوط بصفة عامة وضغوط العمل على وجه التحديد، حيث أن الكثير من الناس يستخدمون مصطلح الضغوط في الحياة العامة و يعجزون عن تحديد القصد منه بشكل قاطع و الكيفية التي يصفون بها واقع الضغوط و مسبباتها و نتائجها. (5)

إلا أن ذلك لم يمنع الباحثين من التركيز على هذا المفهوم في العديد من المجالات مثل علم النفس وعلم الاجتماع والطب والإدارة والسلوك وغيرها من العلوم. وقد أدى هذا إلى تعدد أوجه النظر في تعريف هذا المفهوم ودراسته واستخدامه

من هنا سنحاول التطرق إلى تعريف ومفهوم ضغوط العمل لمجموعة من الكتاب والباحثين.

فهناك العديد من التعريفات الإجرائية لمفهوم ضغوط العمل: حيث عرفها عبد الباقي (6) أنها مجموعة من المثيرات التي تتواجد في بيئة عمل الأفراد والتي ينتج عنها مجموعة من ردود الأفعال التي تظهر في سلوك الأفراد في العمل، أو في حالتهم النفسية والجسمية، أو في أدائهم لأعمالهم نتيجة تفاعل الأفراد مع بيئة عملهم التي تحتوي الضغوط.

بينما عرف ماهر: (7) ضغوط العمل بأنها حالة من عدم الاتزان النفسي و الجسمي ، و تنشا عادة من عوامل

تكون موجودة في العمل او البيئة المحيطة ،و محصلتها هو عدم الاتزان النفسي و الجسمي الذي يظهر في العديد من مظاهر الاختلال في أداء العمل.

وعرف كابلانو آخرون ضغط العمل بأنه أية خصائص موجودة في بيئة العمل تخلق تهديدا للفرد، وفقا لتعريف كوبر و مارشال يقصد بالضغوط الوظيفية مجموعة العوامل السلبية مثل : غموض الدور، صراع الدور، و أحوال العمل السيئة و الأعباء الزائدة و التي لها علاقة بأداء عمل معين (8).

وعرف جينبرج جيرالد و آخرون الضغط بأنه نمط معقد من حالة عاطفية ووجدانية وردود أفعال فسيولوجية استجابة لمجموعة من الضواغط الخارجية، أما الإجهاد فهو التأثير المتجمع للضغوط، والذي يتمثل بشكل رئيسي في الانحراف عن الحالة المعتادة بسبب التعرض للحوادث الضاغطة(9) .

يعرفها عبد الرحمان هيجان مثلا على أنها "تجربة ذاتية للفرد، تحدث نتيجة لعوامل في الفرد أو البيئة التي يعمل فيها، بما في ذلك المنظمة، يترتب على هذه العوامل حدوث أثار، أو نتائج جسمية، أو نفسية آو سلوكية على الفرد تؤثر بدورها على أدائه للعمل، مما يستلزم معالجة هذه الآثار وإدارتها بطريقة سليمة". (10)

ج. القلق : يعتبر القلق من بين الإضطرابات النفسية التي تعيق تكيف الفرد مع البيئة التي يعيش فيها وممارسة حياته بشكل عادي فيسبب مشاكل نفسية ويفسد علاقات الفرد في البيئة الاجتماعية مع من يعيشون معه في محيط واحد وتتعدى للبيئة المهنية وتؤثر على علاقات العمل وعلى أداء الفرد في عمله ويتراجع من الجيد إلى السيئ ولتفادي ذلك يجب تفادي الأسباب المؤدية إليه.

1.مفهوم القلق:

أ. المعنى اللغوي للقلق : قلق ,قلقا أي لم يستقر في مكان واحد أو لم يستقر على حال و قلق أي اضطرب وانزعج وأقلق الهم فلان أي أزعجه ,و المقلاق هو الشديد القلق. (11)

ب. المعني الاصطلاحي للقلق: توجد عدة تعريفات للقلق، و في ما يلي تعريف بعض علماء النفس

تعريف هورني : القلق استجابة انفعالية لخطر يكون موجه إلى المكونات الأساسية للشخصية (12)

تعريف ثاني للقلق : وشعور عام بالخشية أو أن هناك مصيبة وشيكة الوقوع وتهديد مصدره غير معلوم مع شعور بالتوتر وخوف لا مسوغ له من الناحية الموضوعية وغالبا ما يتعلق بالمستقبل والمجهول .(13)

وبناءا على ما سبق نعطي تعريف شامل للقلق:

تعريف شامل للقلق: في الأخير يمكن القول عن القلق بأنه خبرة انفعالية مركبة من الخوف والضيق وتهديد واقع أو يخشى وقوعه دون أن يستطيع تحديده بدقة ووضوح موجه نحو الشخصية بكاملها ويمكن أن يكون الخوف من فقدان منصب العمل في المستقبل سببا للقلق لدى الفرد.

2.نظريات القلق: تعددت النظريات المفسرة للقلق بتعدد أصحابها و أرائهم وتفسيراتهم التي سنتطرق لها بالمختصر المفيد:

2-1.النظرية الفرويدية: اعتبر فرويد أن القلق رد فعل لحالة خطر يواجه الفرد وأن أول حالة خطر يواجهها (صدمة الميلاد).(14)

2-2.نظرية كيسين و ماندر: أشارا إلى آن الأطفال المصابين بهذا الاضطراب يطورون أنواع من القلق و يقولان انه من الصعب أن ندافع عن فكرة أن كل أنواع القلق تحدث نتيجة صدمة مؤلمة و قد اقترحا مصطلح الضيق الأساسي (Fundamental distres) في إطار نظريتهما عن أصل القلق و هده النظرية اشمل من نظرية الألم. (15)

2-3.نظرية روبرت ماموم: نظريته عن القلق بوصفه تنبها زائد على أساس هذا الافتراض أن القلق الإكلينيكي المرضي يعد مرضا خالصا بزيادة التنبه والإثارة والتعرض والزائد زمن طويلا للتنبيه المنشط يؤدي إلى

تغيرات جوهرية في قدرة الفرد على كف التنشيط مع عودة إلى حالة سكون.(16)

لقد فسرت كل نظرية على حدي القلق وأوعز كل باحث أسبابه وتناقضت فيما بينها بالنسبة لمصدر القلق لكن كلها تتفق على انه استجابة لمثير مهدد بالخطر يمر به الفرد ولعل تفسير فرويد للقلق باعتباره رد فعل لحالة خطر يواجهها الفرد وأن أول خطر يواجهه هو صدمة الميلاد لكن هذا التفسير يمتد إلى مراحل أخرى في حياته ويواجه أخطار أخرى تهدده ولعل خوف الفرد على مستقبله المهني يعد خطرا بالنسبة للعامل خاصة أولئك الذين يعملون بعقد عمل محدد المدة.

[3]**أعراض القلق:** للقلق أعراض مختلفة يمكن ملاحظتها على سلوكات المصاب وهي:

[1]**.الأعراض الجسمية:** التي تَظهر على الشخص المصاب بالقلق(17)

- تمتمات لا شعورية
- زيادة نبضات القلب
- زيادة الإفرازات الغدة الكظرية لهرمون الأدرنالين
- زيادة لإفرازات الغدة العرقية
- الشعور بالغثيان والتوتر العضلي الإصابة بالأمراض السيكوسوماتية

2.الأعراض النفسية للقلق: (18)

- حساسية اتجاه بعض المثيرات
- التردد وصعوبة إتحاد القرار وتزاحم الأفكار المزعجة
- النرفزة والشرود.
- عدم الاستقرار.
- توقع الشر والمصائب.
- الشعور بالعجز والشعور بالعزلة والانفراد والضيق.
- سوء الظن والتشاؤم وأحيانا اضطرابات في المحالات والتصميم.

إن لظهور هذه الأعراض دلالة على وجود حالة عدم الاستقرار للوظائف النفسية والبدنية مما يعود بالضرر على الصحة النفسية والجسمية للفرد وتؤدي هذه الاضطرابات إلى الإصابة بأنواع عديدة من القلق سنبينها فيما يلي:

4.أنواع القلق:

1.قلق عـادي(سوي):

وهو القلق العام الذي يمر به كل الناس خلال حياتهم اليومية مثل قلق الأم نحو مرض ولدها وقلق الشخص الذي يتوقع مقابلة معه في وظيفة أو دراسة و قلق الطالب قبل الامتحان و هدا القلق يكون موضوعي وسوي ويعزى إلى موقف معين يحدث في زمن خاص أو كرد فعل سوي لمواقف تسبب القلق بشكل حقيقي لمعظم الناس مثل قلق الشخص قبل المحاضرة التي يتوقع إلقاؤها أمام جمهور من الحضور(19)

2.**القلق المرضي العصابي (Anxienty neurosi):**

أو عصاب القلق و هو الخوف المزمن دون مبرر موضوعي يطبع الشخص بطابعه مع وجود أعراض نفسية و جسمية شديدة و متنوعة وسماه بعضهم القلق الهائم أو الطليق(free floawting anxienty) (20)

3.القلق الشرطي : يمتاز بأنه قلق دعمته تجربة سابقة و لهدا فهو قلق مبالغ فيه و هدا النوع من القلق قد يكون نوعيا مرتبط بموضوع معين و قد يكون عاما فإذا كان القلق الموضوعي نوعيا فإنه يرتبط بموقف معين مصدره مجهول لصاحبه مما يجعله يقف مكتوف اليدين .(21)

4. **القلق الخلقي أو الذاتي:** (Moral Anxiety): يحدث نتيجة الصراع داخل الشخص وليس صراع بين الشخص و العالم الخارجي أي أنه ناتج من ضمير الشخص و خوفه منه عند قيامه بسلوكيات تخالف عادات و تقاليد و أعراف المجتمع الذي يعيش فيه و القلق الخلقي كامن داخل تركيبة الشخص و عادة ما

يظهر أعقاب حالات الإحباط المرتبطة بالأنا الأعلى لدى الفرد (الأنا المثالية) التي تنسجم مع القيم الاجتماعية.(22)

مفهوم الاكتئاب:

أ. التعريف اللغوي للاكتئاب: اكتأب اكتئابا أي حزن واغتم وانكسر فهو كئيب.(23)

ب. التعريف الاصطلاحي للاكتئاب:هو اضطراب انفعالي يتميز صاحبه بالحزن و السوداوية و الخمول و فقدان النشاط وقلة الكلام و الحركة و الشعور بالوحدة و الميل للعزلة والشعور بالذنب و فقدان الشهية للطعام و اضطراب النوم . (24)

تعريف آخر للاكتئاب: وهي حالة من سوء الحال والانكسار وفقدان الأمل تصاحب الإنسان في حالة التعرض المستمر للضغوط إن الفرد المصاب بالاكتئاب يجد صعوبة في اتخاذ القرارات السليمة وفي إنجاز الأعمال في الأوقات المحددة. (25)

ومنه يمكن القول أن الاكتئاب اضطراب انفعالي وصراع سيكولوجي يصاب به الفرد في مرحلة ما من عمره يشمل جميع مشاعر الكئابة والحزن والضيق و الأسى وفقدان الأمل وذالك يعود لأسباب عديدة منها مثل فقدان عزي أوفقدان منصب عمل.

2.نظريـات الاكتئاب:

2-1.نظرية التحليل النفسي:(26)

ينظر إلى الاكتئاب على أنه نتاج للتفاعل أو الصراع بين الدوافع أو الرغبات والجوانب الوجدانية، بما فيها مشاعر الذنب. وقد عبر "أبراهام Abraham" وهو أحد رواد التحليل النفسي ممن اهتموا بتطبيقات هذه النظرية في مجال الأمراض العقلية والذهان، عبر عن هذه النظرة التحليلية للاكتئاب وفق نظريته

التي تتبلور حول العلاقة لموضوعات حبنا، فعندما لا يجد الشخص تلبية مبكرة لإرضاء رغباته الجنسية، وإشباع حاجته للحب فإنه يشعر بالغضب والكراهية والعداء نحو موضوع الحب، لكن ذلك الغضب والكراهية يتحولان بفعل مشاعر الذنب إلى الداخل أي نحو الذات وهذا هو الاكتئاب، لذلك نجد أن الاكتئاب لدى النظرية التحليلية ما هو إلى غضب بسبب الإحباط وخيبة الأمل في إشباع الحاجة إلى الحب، ولكنه غضب يتحول بسبب الآليات الدفاعية اللاشعورية التي يقوم بها الفرد للدفاع عن الذات عند وجود أي تهديد يتربص بها وكأن الشخص يقول لموضوع الحب إنك لا تشبع حاجتي لك أو لحبي فيك والنتيجة الشعورية هي: ما دمت لا تحبني فأنا أكرهك ولكنني لا أستطيع أن أصرح بذلك أو حتى أعترف بكراهيتي لك (بفعل الإحساس بالذنب، الصرامة في بناء

الأنا الأعلى)، وإذن " فإنني أنا الجدير بالكراهية، واستحق الكراهية والعقاب بسبب عيوبي وأوجه قصوري".

2-2.نظرية فرويد:(27)

يرى سيجموند فرويد: أن العصاب ينشأ نتيجة لصدمة نفسية خلال السنوات الأولى من حياة الإنسان وهو أساس الصراع الاوديبي بين الطفل وأحد الوالدين من الجنس الآخر و يعبر عن الصراع الشديد , بين مكونات الشخصية الهو, والأنا الأعلى وافترض أن الاكتئاب يشبه الحزن ويختلف عن السوداوية في مسألة اتهام الذات حيث ينقلب العدوان في الحالات التي تقدم على الانتحار إلى الذات ,و قد ارجع حالة النكوص في السوداوية إلى المرحلة إذ يرتد المريض في مرحلة الطفولة إلى المدة التي لا يستطيع فيها أن يفرق بين نفسه و بين البيئة, وبسبب التناقض الوجداني يتحرر جزء من طاقة اللبيدو لتعزيز العدوان الموجه نحو الذات و أشار إلى مظاهر الاكتئاب مثل فقدان الاهتمام بالعالم والتناقض في القدرة على الحب والميل لإيلام الذات, مع توقعات هذائية بالعقاب و عدها مظاهر أساسية في حالات الحزن والسوداوية لا شعوريا عكس حالة الحزن التي يكون الفقد فيها على مستوى شعوري, لذا ينبغي جعل الحزن شعوريا باستعادة الخبرات المصاحبة للموضوع الفاقد إلى الذات، لخسارة شخص، مهنة أو علاقة .

2-3.نظرية التعلم الاجتماعي: (28)

إن المساهمات الرئيسية في تفسير الاكتئاب وفق نظرية التعلم الاجتماعي تتمثل في مجموعة من النقاط هي:

- يؤدي الشعور بالاكتئاب إلى خفض مستوى الطاقة والنشاط وبذلك تقل مصادر التدعيم.
- يؤدي انخفاض مستوى فعالية التدعيم بدوره إلى خفض النشاط تدريجيا.

تتوقف نسبة التدعيم الإيجابي على ثلاثة مصادر رئيسية هي:

- التدعيمات الممكنة انطلاقا من خصائص شخصية الفرد مثل العمل، مستوى الجاذبية والانتماءات.
- التدعيمات التي يمكن أن تتاح للفرد انطلاقا من البيئة، كأن ينشأ في أسرة غنية، بدلا من أن ينشأ في بيئة فقيرة.
- التدعيمات الناتجة عن الرصيد السلوكي، بما في ذلك المهارات الاجتماعية والمهنية. فالشخص المتقن لمهارات عديدة في مجال التفاعل الاجتماعي مع الآخرين ويحتل في الوقت نفسه وضعا مهنيا يحقق رضاه يكون أقل عرضة للاكتئاب.

* إن وجهة النظر التي تبنتها نظرية التعلم الاجتماعي (الاكتساب) تختلف نسبيا عما تبنته نظريتا التحليل النفسي، ومع ذلك هناك تشابه في تفسير كل منهما للاكتئاب، فوجهة النظر الفرويدية ترى أن الاكتئاب ما هو إلا نتيجة مباشرة لفقدان الحب في المراحل المبكرة من العمر، والتي يمكن صياغتها وفق نظرية التعلم بأن افتقاد مصادر الدعم والاهتمام بسبب فقدان موضوع الحب من شأنه أن يحرم الشخص من مجموعة مصادر هائلة للدعم النفسي، ما يجعله مستهدف لليأس والاكتئاب، بل ويعرضه كذلك للألم المستمر الذي يكفي إلى خلق اليأس.

إن الفرق بين نظريتي التعلم الاجتماعي والتحليل النفسي هو أن الأولى لا تحصر الفقدان في موت موضوع الحب فقط، بل يمتد ليشمل فقدان أي موضوع سواء كان شخصيا أو مجالا من مجالات النشاط المهني، والاجتماعي، لذلك فنظرية التعلم ترى أن الاكتئاب ما هو إلا نتيجة مباشرة لخسارة شخص، مهنة أو علاقة اجتماعية كانت من قبل مصدرا للاهتمام والتدعيم.

4.نظرية سلجمان: (29)

يرى أن تعرض الفرد لأحداث غير سارة ،فإنه يتعلم عدم مواجهتها انطلاقا من اعتقاده بعدم وجود طائل من الاستجابة ،أو عدم مواجهتها انطلاقا من اعتقاده أو عدم قدرته على تغيير الأحداث، وعندما تصبح هذه الأحداث شديدة ،فإن قلق الفرد وخوفه يمهد لظهور الاكتئاب كعجز متعلم ، وانتهى إلى أن اللإكتئاب يرتبط بأنواع الخلل تشمل : خلل دافعي، وخلل معرفي، وخلل في مفهوم الذات ،والنوع الرابع يحدث نتيجة لتوقع النتائج السلبية للأحداث فعندما يعتقد الأفراد بأن النتائج المرغوبة غير محتملة أو غير متوقعة وأن ليس بالإمكان تعديلها فإن العجز المتعلم يحدث مؤديا للاكتئاب .

5.نظرية بيك beck: (30)

تمثل وجهة نظر بيك واحدة من أهم النظريات المفسرة للاكتئاب من وجهة نظر معرفية ،حيث يرى إجمالا أن طريقة التفكير الخاطئ هي في الأصل نمو للاكتئاب إذ تبين من دراسته الأولى ارتباط الاكتئاب بخطأ في إدراك الأمور وفي أسلوب التفكير فيها وأن المكتئبين يرون أن فشلهم يرجع إلى أخطاء فيهم ويضخمون ذلك إلى درجة الاكتئاب وقد طور بيك نظريته المعرفية في الاكتئاب في ،وقت لاحق اعتمادا على نتائج الأبحاث الميدانية مرجعا إياه إلى ثلاثة عناصر شملت الطرق السلبية ،لإدراك الفرد لذاته والميل إلى الخبرات الحالية ،بطرق سلبية، والنظرة السلبية للمستقبل.

ومع إن الفرق بين نظريتي التعلم الاجتماعي والتحليل النفسي هو أن الأولى لا تحصر الفقدان فهناك تشابه في تفسير كل منهما للاكتئاب، فوجهة النظر الفرويدية ترى أن

الاكتئاب ما هو إلا نتيجة مباشرة لفقدان الحب في المراحل المبكرة من العمر، كما يرى سلجمان أن تعرض الفرد لأحداث غير سارة، وعدم مواجهتها، هدا ما يخلق

خوف يمتد لأن يصبح اكتئاب وعجز متعلم، كما يرى بيك، أن طريقة التفكير الخاطئ هي الأصل في نمو الاكتئاب.

وبناءا على ما سبق نستنتج أن الاكتئاب ناتج عن التدعيمات الأساسية في الحياة كالحب خاصة في المراحل الأولى من العمر لكن فقدان عزيز آو منصب عمل من شأنه أن يكون سبب في الحزن الشديد وبلوغ الكئابة كذلك طريقة التفكير الخاطئة لإدراك الأمور والتعرض لأحداث غير سارة أثناء مراحل الحياة.

3.الأعراض العامة للاكتئاب.

للاكتئاب أعراض يمكن ملاحظتها من الشكل الخارجي للمصاب منها ما يلي:

1.الأعراض الانفعالية: تتمثل في القلق والخوف و فقدان الاهتمام و الطموح والبكاء و الشعور بالذنب وفقدان الثقة و الخوف من الجنون . (31)

2.**الأعراض النفسية:** و هي اضطراب الانتباه و الذاكرة و الإعياء النفسي و العقلي فأثناء الاكتئاب يصعب كل نشاط و يلاحظ تعب بعد الاستيقاظ مباشرة و يكون المريض في بعض الأحيان صامتا متألما ويبقى في الفراش وجالسا ووجهه جامدا.(32)

ونستخلص من مضى أن للاكتئاب عدة أعراض وظهورها يعني خلل في الصحة النفسية للفرد وتطورها ينتج عنه مرض أو اضطراب طويل المدى يصعب السيطرة وظهور حالات مرضية وتصنف حسب الأشكال الموالية:

4.**أنواع الاكتئاب**: أي كان أي اضطراب فإنه يظهر بشكل طفيف وبسيط في الأول لكنه يزداد حدة لأن يصبح اضطراب مزمن ما لم يتم معالجته مبكرا.

1.**الاكتئاب البسيط:** وفيه يشعر المريض ببطيء في نشاطه ويزداد لوم الذات وذلك كله بدرجة تفوق ما هو عند الإنسان السوي والطبيعي. (33)

2.**الاكتئاب الحاد:** وفيه يشتد الحزن والخمول وفقدان النشاط ويزداد لوم الذات واحتقارها. (34)

3.**الاكتئاب الهائج:** حيث يبلغ الحزن درجاته القصوى و ينعزل المريض وحيدا بدون طعام ويزرع غرفته جيئة و ذهاب و يضرب نفسه و يوجه لها التهم و في هده المرحلة تكون توهمات و هلوسات وكثيرا ما ينفذ المريض في هده المرحلة عملية الانتحار. (35)

5.**أسباب الاكتئاب في العمل: (36)**

هناك أسباب عديدة للاكتئاب نذكر البعض منها خاصة تلك المرتبطة بالعمل كونه يمثل الجزء الأساسي ومهم في حياة الفرد. التعرض الدائم للضغط والتوتر ظروف العمل التي تؤدي إلى الإحساس بأن المجهودات غير مجدية وغير فعالة مما يؤدي إلى انخفاض الدافعية والروح المعنوية. العمل بدوام لأكثر من 8 ساعات يسبب التعب ويؤدي للاكتئاب.

قلة فرص الترقية وعدم مرونة اللوائح والإجراءات مما يجعل الموظف يشعر أنه يعمل في ظل نظام غير عادل مما يجعله ينظر إلى عمله بعين الاكتئاب وعدم الرضا.

هناك عامل آخر وهو العلاقة المتبادلة بين الرئيس والمرؤوسين حيث لوحظ أن للموظفين الدين يعانون من إهمال الرؤساء أعلى معدلات الإصابة بالاكتئاب.

هناك أسباب كثيرة للاكتئاب وظروف العمل من بين هذه الأسباب ظروف العمل التي تصادف العامل في بيئة عمله كما سبق ذكرها ويمكن تفاديها بتغيير الظروف المحيطة واهتمام الرؤساء بحماية العاملين والاهتمام بمشاكلهم.

06.الإجراءات المنهجية للدراسة:

أ-المنهج المستخدم :

انطلاقا من طبيعة البحث و المعلومات المراد الحصول عليها قصد التعرف على الانعكاسات النفسية لمصادر الضغط المهني على عمال الشركة الوطنية للغاز و الكهرباء بولاية أم البواقي، فقد استخدم الباحث المنهج الوصفي و الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد على الواقع و يهتم بوصفها وصفا دقيقا و يعبر عنها تعبيرا كميا و كيفيا، فالتعبير الكمي يعطينا وصفا رقميا و يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها و درجات ارتباطها مع الظواهر الأخرى. (37)

كما لا يكتفي هذا المنهج بجمعه المعلومات المتعلقة بالظاهرة فحسب من اجل استقصاء مظاهرها وعلاقتها

المختلفة بل يتعداه الى التحليل والربط والتفسير بغرض الوصول باستنتاجات يبنى عليها التصور.

ب- وصف مجتمع الدراسة والعينة:

ج - وصف مجتمع الدراسة:

يتكون مجتمع دراستنا من عمال الشركة الوطنية للغاز والكهرباء لولاية أم البواقي حيث يعمل بها 485 مقسمين إلى عمال تقنيين وعمال إداريين، فالعمال التقنيين توكل إليهم مهمة إصلاح المهام التقنية وبالمقابل العمال الإداريين مكلفون بأعمال إدارية.، حيث يتميز مجتمع الدراسة بما يلي:

جدول رقم 1يوضح توزيع أفراد <u>المجتمع</u> حسب المتغيرات:

المتغير	الحالة	التكرار	النسبة المئوية
طبيعة العمل	تقني	**285**	**%58.7**
	إداري	**200**	**%41.3**
الأقدمية	01 سنة إلى 05 سنوات	**145**	**%29.9**
	06 سنوات إلى 10 سنوات	**155**	**31.9%**
	11 سنةفأكثر	**185**	**38.2%**
المستوى الاداري	عامل تنفيذ	**245**	**50.5%**
	عامل تحكم	**130**	**26.8%**
	عاملإطار	**110**	**%22.7**

د- وصف العينة:

بما أن مجتمع الدراسة مكون من طبقات فان عينة البحث تكون من النوع الطبقية العشوائية، والتي تم اختيارها على أساس تقسيم مجتمع الدراسة إلى طبقات بحسب طبيعة العمل (إداري، تقني) وحسب المستوى الإداري (عامل تنفيذ، عامل تحكم، عامل إطار)وأخذنا نسبة14.4% من المجتمع وكان حجم العينة 70 فرد بعد أن تم استبعاد العينة التي اجري عليها الثبات و المقدر عددها ب 10 أفراد.وفيما يلي توضيح لخصائص العينة حسب المتغيرات

.أهم ما يمكن ملاحظته على عينة البحث هو أنه:

- هناك اختلاف كبير في توزيع العينة من حيث عامل السن حيث أن هناك 58 فردا تتراوح أعمارهم من 30 سنة فأكثر بنسبة مئوية 82.9%، و12 فردا تتراوح أعمارهم بين 21 - 29 سنة. بنسبة17.1%.

جدول رقم 2يوضح توزيع أفراد <u>العينة</u> حسب المتغيرات:

المتغير	الحالة	التكرار	النسبة المئوية
طبيعة العمل	تقني	34	48.6%
	اداري	36	51.4%
الأقدمية	01 سنة الى 05 سنوات	27	38.6%
	06 سنوات الى 10 سنوات	16	22.9%
	11 سنة فأكثر	27	38.6%
المستوى الاداري	عامل تنفيذ	22	31.4%
	عامل تحكم	24	34.3%
	عامل إطار	24	34.3%

أهم ما يمكن ملاحظته على العينة من حيث طبيعة العمل هو وجود تقارب كبير بين أفراد العينة من صنفي العمال الإداريين والتقنيين فالعمال الاداريين قدر عددهم 36 فردا بنسبة مئوية قدرت 51.4 %، بينما نجد أن عدد التقنيين قدر 34 فردا أي بنسبة 48.6%.

أما فيما يخص الأقدمية فنجد أن أفراد العينة التي تتراوح أقدميتهم ما بين 1-5 سنوات يتراوح عددهم 27 فردا أي ما يعادل نسبة 38.6 %، في حين نجد 16 فرد

تتراوح أقدميتهم ما بين 6-10 سنة أي بنسبة22.9%، أما عدد الأفراد الذين تتجاوز أقدميتهم 11 سنة فعددهم 27 فردا ما يعادل نسبة 38.6%

- أهم ما يمكن ملاحظته على عينة أفراد الدراسة من حيث متغير المستوى الإداري هو التساوي في عدد أفراد العينتين من عمال التحكم والاطارات حيث قدر عدد عمال التنفيذ بـ 22 فرد ويمثلون نسبة 34.3 %من أفراد العينة، في حين نجد عمال التحكم قدر عددهم بـ 22 فرد ويمثلون نسبة 34.3 %من العينة، كما نلمس تقارب كبير بين هذين الفئتين من العينة والفئة الاخرى من العمال وهي عمال التنفيذ حيث قدر غددهم ب 22 فرد ممثلين بنسبة 31.4.%.

4- وصف أدوات جمع البيانات: يعتبر المنهج العلمي السبيل الذي يتبعه الباحث من أجل الوصول إلى تعميمات أو نتائج بطرق علمية دقيقة، وكذلك هو مجموعة القواعد العامة التي توجه الباحث للوصول إلى الحقيقة العلمية **(38)**

وتماشيا مع طبيعة وأهداف موضوع الدراسة تم استخدام المنهج الوصفي للكشف عن مصادر ضغوط العمل لدى عمال المؤسسة الوطنية لتوزيع الغاز والكهرباء (سونلغاز)لولاية أم البواقي.

أ- **الاستمارة:** هي عبارة عن أداة من أدوات جمع المعلومات تضم مجموعة من البنود أو العبارات، تعطى إلى أفراد العينة المراد دراستها ، بحيث يقدم هؤلاء الأفراد بيانات ومعلومات حول الظاهرة المراد دراستها وذلك عن طريق إجابتهم. (39)

وانطلاقا من مشكلة البحث المطروحة سابقا تم تصميم استمارة، مقسمة إلى شقين، الشق الأول والذي يضم المتغيرات أو البيانات الديمغرافية كالسن، الحالة الاجتماعية، والأقدمية في العمل، وطبيعة العمل، والرتبة إضافة والشق الثاني يهدف إلى قياس الانعكاسات النفسية لمصادر الضغط المهني لدى عمال الشركة الوطنية لتوزيع الغاز والكهرباء (سونلغاز) لولاية أم البواقي.، ويتكون من 42بندا، مقسمة الى محورين و هما كما يلي:

المحور الأول : يقيس القلق ويتمثل في البنود من 1- 7

المحور الثاني : يقيس الاكتئاب ويتمثل في البنود: من 08 -16 .

ب- صدق الاستمارة: قصد التحقق من صدق الاستمارة تم تقديمها إلى مجموعة من الأساتذة بغرض توجيهنا، وبعد الاطلاع عليها تم إلغاء وتعديل بعض العبارات ،حيث تم تعديل و حذف بعض العبارات المتعلقة بالعوامل الديمغرافية ،و على مستوى المحور الأول أين تم إعادة صياغة البند السادس، أما فيما يخص المحور الثاني فقد أعيد صياغة البند الرابع عشر وكل هذا استنادا إلى رأي الأستاذ المشرف وأراء الأساتذة المحكمين وضعت الاستمارة في شكلها النهائي.، وكل هذا استنادا إلى رأي الأستاذ المشرف وأراء الأساتذة المحكمين** وضعت الاستمارة في شكلها النهائي.

ج- **الثبات: قبل** أن تعرض الاستمارة على عينة البحث الأصلية لابد من التحقق من مدى توافرها على شرط الثبات، لذلك تم حساب معامل الثبات بطريقة التطبيق وإعادة التطبيق حيث يحسب مدى الارتباط بين الدرجات المتحصل عليها عند تطبيقها لأول مرة، والدرجات المتحصل عليها عند إعادة التطبيق، ومن ثمة فقد تم اختيار عينة تتكون من 10 أفراد تم توزيع الاستمارة عليهم، بعد مدة 07 أيام أعيد توزيعها عليهم، بحساب معامل الارتباط **برسون** حصلنا على معامل قدر بـ:0.94 وهو معامل ارتباط يشير لعلاقة موجبة وقوية.

5- أساليب المعالجة الإحصائية:

لقد اعتمدنا في بحثنا على الأساليب الكمية نظرا لطبيعة البيانات وتمثلت فيما يلي:

معامل الارتباط برسون عند قياس ثبات الاستمارة، من خلال تطبيق القانون التالي:

---

*- الأساتذة المحكمون هم: د .كربوش رمضان، د. لعرط بشير، جامعة عنابة ، أ. لرقم عزالدين، جامعة عنابة. بوعطيط سفيان جامعة سكيكدة- مطاطلة موسى جامعة سكيكدة- شريبط محمد الشريف –جامعة عنابة

$$ر = \frac{ن \cdot مج\ س ص - (مج\ س)(مج\ ص)}{\sqrt{[ن \cdot مج\ س^2 - (مج\ س)^2][ن \cdot صمج^2 - (مج\ ص)^2]}}$$

ر= معامل الارتباط.

س= درجات الأفراد في استبيان ضغوط العمل.

ص= درجات الأفراد عند استبيان الانعكاسات النفسية.

ن: عدد أفراد العينة.

أ- مناقشة النتائج على ضوء الفرضيات:

- **الفرضية الأولى: نتائج استجابات مفردات العينة حول القلق:**

جدول رقم (03) يوضح استجابات مفردات العينة لمحتوى البنود المعبرة عن محور القلق.

الأبعاد	البند	دائما		غالبا		نادرا		أبدا		المتوسط الحسابي
		ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	
القلق	9- أجد صعوبة كبيرة في النوم و الاستغراق فيه	8	11.4	24	34.3	25	35.7	13	18.6	2.39
	10- اشعر بالقلق و التوتر و الغضب لأتفه الأسباب	7	10.0	41	58.6	18	25.7	4	5.7	2.73
	11- أجد نفسي دائما شارد الذهن	4	5.7	40	57.1	21	30.0	5	7.1	2.61
	12- أصاب بالملل في معظم الأوقات	4	5.7	43	61.4	17	24.3	6	8.6	2.64
	13- أعاني من الخوف المفاجئ في جل الأوقات	4	5.7	23	32.9	23	32.9	20	28.6	2.16
	14- أعاني من الأحلام المزعجة و الكوابيس في الليل	1	1.4	13	18.6	31	44.3	25	35.7	1.86
	15- افقد التركيز في كثير من الأحيان أثناء تأدية عملي	2	2.9	29	41.4	33	47.1	6	8.6	2.39

يوضح الجدول أعلاه (03) استجابة مفردات العينة على محتوى البنود المعبرة عن القلق لدى أفراد العينة من الشركة الوطنية لتوزيع الغاز والكهرباء لولاية أم البواقي حيث نلاحظ من خلال البند الأول والمتعلق بصعوبة النوم لدى العمال والاستغراق فيه أن نسبة 54.3 % من أفراد العينة عبرت عن نفيها لهذا الطرح إذ أجاب 35.7% بنادرا بينما أجاب 18.6% من أفراد هذه العينة بأبدا وبالمقابل أقر 45.7% من أفراد العينة بمعاناتهم من صعوبات في النوم والاستغراق فيه. هذا و قد أعرب 68.6% من أفراد العينة عن شعورهم بالقلق و الغضب وذلك عند إجابتهم عن البند المتعلق بشعور العمال بالغضب و التوتر و القلق لأتفه الأسباب حيث أجاب 58.6% من أفراد العينة ب غالبا بينما أجاب 10% ب دائما، كما عبر 64.7% من أفراد العينة عن إصابتهم بالشرود الذهني في كثير من الأحيان .و الملاحظ أيضا من خلال إجابات أفراد العينة حول البند المتعلق بمدى شعورهم بالملل هو موافقة 66.1% من أفراد العينة هدا الطرح و يبرز ذلك عند إجابة 61.4 % من أفراد العينة حول هذا الطرح غالبا في حين أجاب 05.07% من أفراد هذه العينة ب دائما و هذا ما يوحي ب معانات عمال المؤسسة الوطنية للغاز و الكهرباء من الملل كنتيجة لعدم التداول على المهام و التكرار اليومي لنفس الأعمال. هذا و قد عبر 60.5% من أفراد العينة عن عدم خوفهم من الموت المفاجئ في الكثير من الأحيان انطلاقا من إجابة 32.9% من نفس العينة بنادرا بينما أجاب 28.6% من أفراد هذه العينة ب أبدا و بالمقابل نجد نسبة معتبرة من أفراد العينة أقرت بخوفها من الموت المفاجئ و هي نسبة 38.6% و هم غالبيتهم العمال التقنيين المكلفين بإصلاح الأعطاب مما يجعلهم عرضة لخطر الإصابة بالصعقات الكهربائية و كما سبق ذلك يرجع إلى طبيعة المهام المكلفون بها داخل الشركة. هذا وقد عبر جل أفراد العينة بنسبة مئوية قدرت 80% عن عدم معاناتهم من الكوابيس والأحلام المزعجة في الليل فأجاب ب أبدا 35.7% من أفراد هذه العينة بينما أجاب بنادرا 44.3%. كما نلاحظ انقسام في بين أفراد العينة في

إجاباتهم حول البند المتعلق بفقدان التركيز في كثير من الأحيان أثناء تأدية العمال مهامهم. إذ وافق 55.7 % من أفراد العينة هذا الرأي بينما عارض مثل هذا الطرح 44.3% من أفراد العينة مؤكدين عدم معاناتهم من الكوابيس والأحلام المزعجة أثناء نومهم.

وفي الأخير إن أهم ما يمكن قوله أن عمال المؤسسة الوطنية لتوزيع الغاز و الكهرباء لولاية أم البواقي يعانون من القلق و يبرز ذلك من خلال إجابات أفراد العينة حول البنود المعبرة عن القلق حيث عبرت غالبية أفراد عينة الدراسة من الشركة الوطنية لتوزيع الغاز والكهرباء لام البواقي عن شعورهم بالقلق و التوتر و الغضب لأتفه الأسباب مع إحساسهم بالملل في معظم الأحيان، و كذا الشرود الذهني.

جدول رقم (04) يوضح استجابات مفردات العينة لمحتوى البنود المعبرة عن محور الاكتئاب :

البعد	البند	دائما		غالبا		نادرا		أبدا		المتوسط الحسابي
		ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	
الاكتئاب	16- اشعر بالكآبة من مدون معرفة السبب وراء ذلك	5	7.1	36	51.4	24	34.3	5	7.1	2.59
	17- لا أرغب في العمل في كثير من الأحيان	8	11.4	26	37.1	31	44.3	5	7.1	2.53
	18- يراودني شعور بعدم ثقة المسؤولين بقدراتي.	6	8.6	23	32.9	22	31.4	19	27.1	2.23
	19- أشعر بعدم الثقة بالزملاء و المسؤولين في كثير من الأحيان	4	5.7	25	35.7	16	22.9	25	35.7	2.11
	20- أشعر بالإحباط لان عملي لا يحقق طموحاتي	7	10.0	21	30.0	21	30.0	21	30.0	2.20
	21- غاليا ما أحب العزلة عن باقي زملائي في العمل	3	4.3	23	32.9	29	41.4	15	21.4	2.20
	22- أشعر بحساسية مفرطة أثناء انتقادي من طرف المسؤولين و الزملاء	7	10.0	27	38.6	22	31.4	14	20.0	2.39
	23- أشعر بعد القدرة في التكيف مع العمل المكلف به	5	7.1	16	22.9	31	44.3	18	25.7	2.11
	24- اشعر بفقدان الثقة في النفس	1	1.4	12	17.1	20	28.6	37	52.9	1.67

يوضح الجدول أعلاه (04) استجابة مفردات العينة على محتوى البنود المعبرة عن الاكتئاب لدى عمال المؤسسة الوطنية لتوزيع الغاز والكهرباء لولاية أم البواقي حيث عبر 58.5 % من أفراد العينة عن معاناتهم من الكآبة من دون معرفة السبب وراء ذلك إذ أجاب 51.4% من أفراد العينة بغالبا في حين أجاب 7.1% من أفراد نفس العينة بدائما. كما نلاحظ وجود انقسام في إجابات أفراد العينة حول البند المتعلق بعدم رغبتهم في العمل في كثير من الأحيان حيث وافق 48.5% من أفراد العينة هذا الرأي، في حين نجد نسبة 51.5 % من باقي

أفراد العينة نفوا شعورهم بعدم الرغبة في العمل. كما أعرب 58.5 % من أفراد العينة عن ثقتهم بالزملاء والمسؤولين في كثير من الأحيان ويظهر ذلك من عند إجابات أفراد العينة حول هذا البند، حيث أجاب 35.7 % من أفراد العينة بأبدا في حين أجاب 22.9% من باقي أفراد العينة بنادرا. وبالإضافة إلى ذلك فقد عبر 60% من أفراد العينة عن عدم شعورهم بالإحباط انطلاقا من إجابتهم على البند المتعلق بشعور العمال بالإحباط لكون العمل المتحصل لا يلبي طموحاتهم حيث أجاب بنادرا 30% في حين أجاب 30% بأبدا و هذا مرده الظروف المادية و الاجتماعية الجيدة التي يعمل بها عمال الشركة الوطنية لتوزيع الغاز و الكهرباء آم البواقي.

إن عمال المؤسسة الوطنية لتوزيع الغاز و الكهرباء لولاية أم البواقي يولون أهمية كبيرة للعلاقات الاجتماعية داخل مكان العمل و يبرز ذلك عند إجابة أفراد العينة عن البند المتعلق بمدى حب أفراد العينة للعزلة عن الزملاء أثناء العمل ،فقد عارض هذا الطرح أغلبية أفراد العينة بنسبة مئوية قدرت ب 62.8% انطلاقا من إجابة 41.3% حول هذا البند بنادرا في حين 21.4% من أفراد العينة أجابوا بأبدا و هذا ما يعكس مكانة العلاقات الاجتماعية لذا عمال الشركة. وبالمقابل نجد وجود انقسام بين إجابات أفراد العينة عن البند المتعلق بشعور العمال بحساسية مفرطة أثناء انتقادهم من المسؤولين و الزملاء فاختلفت الإجابات بين أفراد العينة بين مؤيد و معارض لهدا الطرح ، فنجد أن نسبة 51.4% من هذه العينة عبرت عن عدم وجود حساسية بين المسؤولين و الزملاء عند توجيه الانتقادات لهم بينما أعرب 48.4% من باقي أفراد العينة عن موافقتهم لهذا الطرح مؤكدين وجود حساسية من طرف الزملاء و المسؤولين أثناء انتقادهم. وبخصوص مدى قدرة عمال المؤسسة الوطنية لتوزيع الغاز والكهرباء على التكيف مع الأعمال الموجهة إليهم فقد عبر 70% من مجمل أفراد العينة عن قدرتهم على التكيف مع الأعمال الموجهة إليهم وهذا كما سبق الإشارة إليه دليل على نوعية التدريب والتكوين الجيد لعمال الشركة استغلال الجيد للعمال في ألاماكن التي تتوافق مع ما يملكونه من قدرات وإمكانات مما يجعلهم يقومون بالأعمال المكلفون بها بسهولة وإتقان. وأخيرا لقد عبر جل أفراد العينة عن ثقتهم بأنفسهم ويبرز ذلك أثناء إجابتهم عن البند المتعلق بإحساسهم بفقدان الثقة في النفس إذ عارض هذا الرأي 81.4 % من أفراد العينة انطلاقا من إجابة 52.9%حول هذا الطرح بأبدا وإجابة 28.6% من باقي أفراد العينة بنادرا وهذا ينبأ بتمكن العمال من الوظائف التي يشغلونها وامتلاكهم للمؤهلات والقدرات اللازمة والتي تسهل عليهم القيام بعملهم بصورة متقنة وسهلة، وسريعة. مما يعزز من الشعور بالثقة في أنفسهم. وبالرغم من هذه المؤشرات الايجابية على الجانب النفسي لعمال الشركة الوطنية لتوزيع الغاز والكهرباء لا يمكن إخفاء معانات عمال هذه الشركة من الاكتئاب. ويبرز ذلك من إجابات أفراد العينة على البنود المتعلقة بإحساس العمال بالاكتئاب أثناء العمل حيث عبر اغلب أفراد العينة عن شعورهم بالكآبة في الكثير من الأحيان دون معرفة السبب وراء ذلك، و منه يمكن اعتبار الاكتئاب كأحد الأعراض النفسية الت يعاني منها عمال الشركة الوطنية لتوزيع الغاز و الكهرباء و ذلك كنتيجة لتعرض عمال هذه المؤسسة إلى جملة من مصادر الضغط المهني :

ب- عرض النتائج العامة:

من خلال استجابات مفردات العينة على أبعاد الانعكاسات النفسية لمصادر الضغط المهني فنلاحظ أن تعبيرهم عن شعورهم القلق قد شمل أغلب البنود حيث أعرب جل أفراد العينة عن شعورهم بالقلق داخل الشركة عند إجاباتهم على البنود المتعلقة بالقلق أين عبر مجمل أفراد العينة غن شعورهم بالقلق ،و التوتر ،و الغضب لأتفه الأسباب ،و معاناتهم من الملل الدائم بالإضافة إلى ذلك معاناتهم من الشرود الذهني، و هذه مؤشرات تصب في خانة معانات أفراد العينة من القلق كنتيجة لمصادر الضغط المهني ،و التي تؤثر بصورة مباشرة و غير مباشرة على الصحة النفسية للعمال ،و

هذا ما يعزز الطرح القائم حول معانات العمال من القلق كنتيجة للضغوط المهنية . وبالموازاة عن ذلك نلاحظ معانات جل أفراد العينة من الاكتئاب داخل الشركة انطلاقا من إجاباتهم عن البنود المتعلقة بالاكتئاب حيث عبر معظم أفراد العينة عن شعورهم بالاكتئاب داخل الشركة وهذا كنتيجة لمصادر الضغط المهني.

لقد كان الهدف الرئيسي من خلال هذه الدراسة هو محاولة التعرف على الانعكاسات النفسية لمصادر الضغط المهني على عمال الشركة الوطنية لتوزيع الغاز والكهرباء لولاية أم البواقي، وذلك من خلال تصميم استبيان يقيس الانعكاسات النفسية لمصادر الضغط المهني ممثلة في عنصري القلق والاكتئاب.

وبعد إتباع كل الخطوات المنهجية في البحث وبعد تفريغ البيانات واختبارها بالأساليب الإحصائية المناسبة تم التوصل إلى النتائج التالية:

- يعاني العمال من القلق نتيجة الضغوط المهنية.
- يعاني العمال من الاكتئاب نتيجة الضغوط المهنية

الخاتمة:

القلق والاكتئاب من أهم و أكثر الانعكاسات النفسية المؤثرة على الحالة النفسية والجسمية للفرد العامل والإصابة بهما مرده العديد من العوامل و الأسباب المباشرة و الغير مباشرة ، فالمصاب بالقلق و الاكتئاب تطرأ عليه العديد من التغيرات و الاضطرابات النفسية و السلوكية مما يسبب له صراعات داخلية تجعله يعيش في دوامة من المشاكل و المتاعب النفسية ، لمن هنا لابد من إيجاد السبل الكفيلة بتدارك هذين الاضطرابين في المراحل الأولى من ظهوره و ذلك بالتشخيص المبكر قبل إن يتطور ويصبح حالة مرضية مستقرة مما يزيد في صعوبات علاجه، وبالرجوع إلى الحالة الأصلية كذلك يجب تفادي الأسباب المؤدية إلى مثل هده الاضطرابات والوقاية منهما بشتى الوسائل والطرق المتاحة من خلال توفير المناخ الملائم للعمل.

التوصيات:

قد تحيط بنا في العمل ظروف تسبب القلق والضغط مما ينعكس علينا سلبا ولتفادي ذلك نذكر بعض الأساليب التي تفيد في تخفيف ذلك.

- تصميم برامج التدريب على الاسترخاء للتعرف على الشد الذي يصيب العضلات والتخلص منه وتشمل حصص تدريبية على الاستلقاء والتفكير بالأمور والانتقال
- الاستراحة من وقت لآخر في العمل وفائدة هذه الاستراحات إنها تسمح للجسم بالراحة والاسترخاء وتبعد قليلا عن جو العمل المشحون بالضغط وتساعد الأحاديث الاجتماعية بين العاملين التي تحدث أثناء هذه الاستراحات على التخلص من الضغط والقلق، وتوفير فرصة لتبادل المعارف والمشاكل المشتركة بين الزملاء وتساعد على دعم العمال لبعضهم البعض
- الاسترخاء بعد العمل الشاق طوال اليوم ومن المهم للعامل إن يجد وقت للراحة في المساء من خلال العودة إلى المنزل والاستحمام وممارسة الهوايات والاستمتاع بالطعام والاسترخاء يساعد على السيطرة على الأعصاب والمشاعر.
- الاستمتاع بعد العمل والخروج للنزهة والمسرح وتخصيص العامل وقت لنفسه للاستمتاع مع الأصدقاء
- الاستمتاع بالحياة الشخصية.
- ممارسة رياضة المشي والسباحة تساعد الجسم على الاسترخاء.

المراجع والهوامش:

1- فهمي مصطفى: الصحة النفسية، دراسات سيكولوجية التكيف، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1978. ص،11.

2- مجد الدين الفيروز آبادي . القاموس المحيط . بيروت: درا الجيل د . ت .

3 –عبد الستار إبراهيم: الاكتئاب اضطراب العصر الحديث فهمه،

أساليبه وعلاجه عالم المعرفة، 1989،ص155.

4 رمضان محمد القذافي: الصحة النفسية والتوافق،ط3،المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية ،مصر 1999، ص110.

5 عبد الرحمن هيجان : ضغوط العمل و مصادرها و نتائجها و كيفية إدراكها – السعودية(الرياض)، معهد الإدارة العامة- مركز البحوث(1479 ص14)

6 صلاح الدين محمد عبد الباقي : السلوك التنظيمي في المنظمات الدار الجامعية للطباعة و النشر – الإسكندرية – القاهرة 2005 ص 284

7 ماهر احمد : إدارة الموارد البشرية- مصر الإسكندرية- الدار الجامعية .2004، ص :383

8 محمود سليمان العميان: السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال ، دار وائل للنشر ، ط3 الأردن عمان 2005 ص 160

9 جينبرج جيرالد و بارون روبرت ، تعريب رفاعي و بسيوني :إدارة السلوك في المنظمات ، السعودية، الرياض دار المريخ للنشر 2004.

10 - عبد الرحمن بن أحمد هيجان: ضغوط العمل، مصادرها ونتائجها وكيفية إدارتها، معهد الإدارة العامة، الرياض، 1998، ص23.

11 - محمد قاسم عبد الله، مدخل إلى الصحة النفسية، دار الفكر عمان، طبعة 2004،2 ،ص169

12 - نفس المرجع ،ص169.

13 -عبد الخالق أحمد أصول الصحة النفسية ،دار المعرفة الجامعية، مصر ،دط، 1993 .

14 - محمد قاسم عبد الله ،مرجع سابق ،ص 177

15 - نفس المرجع ،ص178

16 - نفس المرجع ،ص 178

17 - حسن منسي ،الصحة النفسية،نفس المرجع ص ص 44،45.

18 – محمد قاسم عبد الله مدخل إلى الصحة النفسية ، نفس المرجع، ص176.

19 - زهران حامد عبد السلام ، الصحة النفسية والعلاج النفسي ،عالم الكتب ،القاهرة ، دط، 1997،ص 44-45.

20 -زهران حامد عبد السلام ، نفس المرجع، ص44.

21 - نور الهدى محمد الجاموس ،الإضطرابات النفسية والجسمية ، دار اليازوري للنشر والتوزيع ،دط،2004 ص 121.

22 - حسن منسي الصحة النفسية نفس المرجع ، ص62.

23 - الموسوعة العربية العالمية،2، 1997

24 - لطفي الشربيني ،الاكتئاب المرض والعلاج ،دار المنشأة المعارف بالإسكندرية ،دط، دون سنة الطبع،ص-17.

25 أحمد عبد الوهاب السلوك التنظيمي ،دراسة السلوك الأفراد والجماعات داخل المنظمات الأعمال مكتبة الأشعار للطباعة والنشر والتوزيع ،دط، ودون سنة الطبع ،ص-88.

26 لعريط بشير الانعكاسات النفسية والسلوكية لنظام العمل بالمناوبة 3*8

،شهادة الدكتوراه تحت إشراف لوكيا الهاشمي علم النفس عمل وتنظيم جامعة قسنطينة،سنة2007،.ص64.

27 - لعريط بشير ،مرجع سابق ،ص-64.

28 - لعريط بشير ،المرجع نفسه ،ص-64.

29 - عديلة حسن طاهر تونسي ،القلق والاكتئاب لدى عينة من المطلقات وغير المطلقات شهادة ماجستير،تحت

30 إشراف :حسين عبد الفتاح الغامدي ،قسم علم النفس تخصص إرشاد،جامعة أم القرى ،مكة المكرمة،سنة-2002.ص،141.

31 - نفس المرجع،ص،141

32 - نور الهدى الجاموس، الاضطرابات النفسية والجسدية، مرجع سبق ذكره،ص-131.

33 - نفس المرجع ،ص-132

34 - نفس المرجع، ص-133.

35 - نفس المرجع، ص133.

36 -نور الهدى الجاموس مرجع سبق ذكره، ص-134.

37 -محمد سعيد أنور سلطان، السلوك التنظيمي قسم إدارة الأعمال كلية التجارة دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، دط، سنة-2004، ص، ص-268-269 .

38 عبيدات، ذوقان، وآخرون (2001م)، البحث العلمي مفهومه وأدواته، وأساليبه، ط7، عمّان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

39 علي شتا، المنهج العلمي والعلوم الاجتماعية، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، 1997. ص269.

المجلة الجزائرية للعلوم – سلسلة ب
آداب وعلوم الإنسانية
ISSN : 2661-7064
http://univ-eltarf.dz/fr/

أسلوب التسيير السائد بالمؤسسات الصناعية من وجهة نظر القادة
(دراسة ميدانية بالمديرية الجهوية الصناعية -سكيكدة-)
The dominant management style in industrial enterprises from the viewpoint of leaders
(A field study at the industrial regional directorate – skikda-)

الدكتورة : عزوز صونية ، جامعة سكيكدة

ملخص: يعتبر أسلوب التسيير المتبع بالمؤسسات الصناعية من بين الإستراتيجيات التي تعمل الدول المتطورة على تجسيدها، فهو بمثابة الدرع الواقي لحماية اقتصادها، وهذا ما يتطلب إكساب القادة المهارات اللازمة لمواجهة التحديات وخاصة التكنولوجية منها، وذلك من خلال تدريبهم على أهم الأساليب الفعالة في تطوير الأنشطة التنموية للمنظمات الصناعية وكيفية استخدامها بطريقة تضمن الكفاءة في منظومتها الإدارية، لهذا جاءت هذه الورقة البحثية لمحاولة استقصاء أسلوب التسيير السائد بالمديرية الجهوية الصناعية لولاية سكيكدة من وجهة نظر القادة.

الكلمات المفتاحية: أسلوب التسيير، القادة، المؤسسات الصناعية.

Abstract : the management style of industrial enterprises it is considered among developed countries to embody it, it is a protective shield to protect their economy, this requires providing leaders with the skills needed to meet the challenge especially technological, by training them on the most effective style in developing development activities of industrial organizations, and use it by method that includes efficiency in its management system, this research came to investigate the management style in industrial regional directorate of skikda from the viewpoint of leaders.

Key words : management style, leaders, industrial enterprises

1: الإطار النظري للدراسة:

1.1- الإشكالية: أهتم الكثير من الباحثين في ميدان السلوك التنظيمي وعلوم الإدارة بموضوع القيادة سواء من حيث أساليب التسيير وعلاقة ذلك ببعض المتغيرات أو من حيث وضع نظريات أو مداخل لتفسيرها و الوصول إلى النموذج الفعال لها، وقد جاء هذا الاهتمام نتيجة قناعتهم النظرية ودراساتهم التطبيقية بأن الذي يحدث الفرق في مجال فاعلية المنظمات هو قيادتها، ومن هنا نجد القيادة الإدارية جزءا أساسيا في العملية الإدارية و قلبها النابض ويعد أسلوب التسيير أحد العوامل الرئيسية التي تسهم في تشكيل طابع العلاقات الوظيفية الإدارية داخل منظمات العمل المختلفة.

إن أسلوب التسيير الذي يتبعه القائد يعد بمثابة البوتقة التي تنصهر فيها أهداف التنظيم لتعطي نتائج إيجابية أو سلبية، فالقائد يجد أمامه عدة أساليب يختار أي منها لتسيير الموقف الإداري الذي يتواجد ضمنه، ولتحقيقه ذلك يتطلب منه الإلمام بإيجابيات وعيوب كل أسلوب من هذه الأساليب ليتسنى له عدم الوقوع في أخطاء تحد من درجة تنفيذ قراراته من قبل مرؤوسيه، كما لا يخفى عليه مراعاة الفروق الفردية بين المرؤوسين في سماتهم الشخصية حتى يتمكن من التعامل معهم على اختلاف شخصياتهم بكفاءة، وبالتالي تحقيق أعلى درجة من الإنتاجية.

وفي هذا السياق تعتبر المديرية الجهوية الصناعية لولاية سكيكدة كغيرها من المؤسسات الصناعية تمارس أسلوب تسيير معين يتماشى مع المواقف التي يتعرض لها القادة مراعين في ذلك الفروق الفردية بين أعضاء التنظيم، ومن أجل الكشف عن حيثيات هذه الدراسة قمنا بالتطبيق على فئة القادة الإداريين بالمديرية الجهوية الصناعية لولاية سكيكدة الذين يعتبرون مجال هذا البحث. وعليه فقد تمثلت مشكلة هذه الدراسة في محاولة استقصاء أساليب التسيير المتبع من قبل القادة بالمديرية الجهوية الصناعية (DRIK) لولاية سكيكدة من وجهة نظرهم، وقد تبلورت مشكلة الدراسة في طرح الإشكال الرئيسي الآتي:

- هل يوجد أسلوب تسيير محدد سائد بالمديرية الجهوية الصناعية لولاية سكيكدة؟

تفرع عنه السؤال الآتي:

- ما مستوى أسلوب التسيير المتبع من قبل القادة بالمديرية الجهوية الصناعية لولاية سكيكدة من وجهة نظرهم؟

وللإجابة عن هاذين التساؤلين وضعنا الفرضيتين الآتيتين:

- لا يوجد أسلوب تسيير محدد سائد بالمديرية الجهوية الصناعية لولاية سكيكدة.

- مستوى أسلوب التسيير المتبع من قبل القادة بالمديرية الجهوية الصناعية لولاية سكيكدة متوسط بالنسبة لكل أسلوب.

2.1- تحديد مفاهيم الدراسة:

- أسلوب التسيير: يرى "بريش" Brech التسيير بأنه: << عملية اجتماعية تتضمن المسؤولية على التخطيط الاقتصادي والتنظيم الفعال لعمليات المنظمة من أجل تحقيق هدف أو عمل محدد، وهده المسؤولية تتضمن:

أ- القدرة على الحكم واتخاذ القرارات في تحديد الخطط وتطوير الإجراءات وجمع البيانات اللازمة للمساعدة في رقابة الأداء ومتابعته الدورية ومقارنته بالخطط الموضوعية.

ب- توجيه وتكامل وتحفيز وإشراف على الأفراد الذين يكونون المنظمة وينفذون أعمالها>>[1](حبالي كريمة، 2016، ص28).

تعرف الباحثة أسلوب التسيير إجرائيا بأنه: << النمط القيادي المتبع من قبل القادة باتجاه المرؤوسين نحو تحقيق أهداف المؤسسة>>.

- القادة: مفرده قائد وهو: <<ذلك الشخص يتمتع بمجموعة من السمات تمكنه من حث الآخرين على إنجاز المهام الموكلة إليهم>>[2](الصيرفي محمد، 2006، ص123).

- ويعرف أيضا بأنه: <<الشخص الذي يعتمد في دفع تابعيه لإنجاز الأعمال على قوة تأثيره عليهم ذلك التأثير

الذي يدفع أفراد التنظيم للتفاعل مع المهام المطلوبة منهم لشعورهم بأهميته في الوحدة>>[3](الشريف طلال عبد الملك، 2004، 51).

تعرف الباحثة القادة إجرائيا بأنهم: << جميع الرؤساء المتواجدون ضمن السلطة العليا في ترتيب السلم الهرمي للمديرية الجهوية الصناعية لولاية سكيكدة ويشغلون مناصب قيادية>>.

3.1- أهداف الدراسة: تتأتى أهداف الدراسة فيما يلي:

- التعرف على واقع أسلوب التسيير بالمؤسسات الصناعية الجزائرية.
- التعرف على مستوى أسلوب التسيير المتبع من قبل القادة بالمديرية الجهوية الصناعية لولاية سكيكدة من وجهة نظرهم.
- تسليط الضوء على أهمية دراسة موضوع أساليب التسيير بالقطاع الصناعي وخاصة من وجهة النظر القادة.
- إنّ المردود الاقتصادي لا يزال بعيد عن المستوى المطلوب كما وكيفا لأسباب عدة وجب كشفها وتفسيرها وأسلوب التسيير من بين أهم العوامل المتحكمة فيه.
- إثراء مجال البحث العلمي وخاصة من منظور تنظيمي إداري محض.
- فتح الآفاق لدى الباحثين للبحث في مثل هده المواضيع التي لمسنا جحود فيها من قبل الأسرة الأكاديمية وخاصة في القطاع الصناعي.

2- الجانب الميداني للدراسة:

1.2- منهج الدراسة: إن طبيعة الدراسة هي التي تحدد طبيعة المنهج المستخدم، وكذا الأدوات التي يعتمد عليها الباحث في إنجازه لدراسته، وبما أن دراستنا هدفت للاستقصاء عن أسلوب التسيير السائد لدى عينة من القادة بالمديرية الجهوية الصناعية لولاية سكيكدة فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي.

2.2- عينة الدراسة: تمثلت عينة الدراسة في القادة بالمديرية الجهوية الصناعية لولاية سكيكدة، تم اختيارهم بطريقة مقصودة حيث بلغت عينة الدراسة 33 قائد نوضحها في الجدول الآتي

الجدول رقم(01): يوضح عدد القيادات الإدارية موزعين على مختلف المديريات كما يلي:

المديريـــــــــــات	عدد القادة
المديريـــــــة الجهويـــــــة	01
المديرية الماليـــــة والقانونيـــــة	05
مديريـــــة الإدارة العـــامـــة	08
مديـــــريـــــة المنشـــــآت	06
مديـــــريـــــة التقنيـــــة	05
مديريـة النوعية والأمن والصحة والبيئة	08
المجمـــــــــــوع:	33

المصدر: الباحثة بالاعتماد على وثائق من إدارة الموارد البشرية

3.2- الأساليب الإحصائية: قمنا باستخدام كل من المتوسط الحسابي والانحراف المعياري، إضافة إلى التكرارات والنسب المئوية.

4.2- أدوات الدراسة: تم الاعتماد في هذه الدراسة على استبيان موجه لعينة الدراسة، يتكون من محورين أساسين تقيس فرضيات الدراسة ويضم 19 عبارة طبقت على عينة قوامها 33 قائد، استرجعناه مكتمل البيانات كونه موزع عن طريق المقابلة، أي بنسبة 100%

الجدول رقم (02) توزيع الاستبيان حسب محاور الدراسة و عدد العبارات

الرقم	المحاور	عدد العبارات
01	أسلوب التسيير الديمقراطي	06
02	أسلوب التسيير الأوتوقراطي	07
03	أسلوب التسيير الحر	06

المصدر: الباحثة

5.2- عرض ومناقشة نتائج الدراسة: للتعرف على أسلوب التسيير المتبع من قبل أفراد عينة الدراسة بالمديرية الجهوية الصناعية محل الدراسة، تم حساب التكرارات والنسب المؤوية، والمتوسطات الحسابية،

والانحرافات المعيارية، لإجابات أفراد عينة الدراسة على عبارات محور أساليب التسيير.

1.5.2- أسلوب التسيير الديمقراطي: لمعرفة درجة تطبيق القادة بالمديرية الجهوية لأسلوب التسيير الديمقراطي تم الاعتماد على 6 عبارات على التوالي والموضحة في الجدول أسفله: الجدول رقم (3): درجة ممارسة أفراد عينة الدراسة لأسلوب التسيير

رقم العبارة	التكرار	درجة الموافقة					المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
		موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة		
01	ك	1	15	7	9	1	3,18	0,983
	%	3,0	45,5	21,2	27,3	3,0		
02	ك	4	11	9	7	2	3,24	1,119
	%	12,1	33,3	27,3	21,2	6,1		
03	ك	2	11	12	7	1	3,18	0,950
	%	6,1	33,3	36,4	21,2	3,0		
04	ك	1	7	10	12	3	2,73	1,008
	%	3,0	21,2	30,3	36,4	9,1		
05	ك	1	7	10	12	3	2,73	1,008
	%	3,0	21,2	30,3	36,4	9,1		
06	ك	1	11	9	11	1	3,00	0,968
	%	3,0	33,3	27,3	33,3	3,0		
المتوسط الكلي والانحراف الكلي لأسلوب التسيير الديمقراطي							3,01	1,00

من خلال الجدول السابق يتضح أن القادة يمارسون أسلوب التسيير الديمقراطي بدرجة متوسطة حيث بلغ المتوسط الحسابي الكلي لمدى ممارسة أفراد عينة للنمط الديمقراطي 3,01 من 5 وهو متوسط يقع ضمن الفئة الثالثة من فئات مقياس ليكرت الخماسي (من 2.61 إلى 3.40) وهي الفئة التي تشير إلى "محايد" المقابل للمستوى المتوسط لأسلوب التسيير، في حين بلغ الانحراف الكلي 1,00 وهو انحراف يساوي الواحد (1) الصحيح مما يدل على وجود اتساق عام في تطبيق القادة لأسلوب التسيير الديمقراطي.

وتعزو الباحثة المستوى المتوسط لأسلوب التسيير الديمقراطي إلى حجم المسؤولية التي تواجه القادة الأمر الذي يجعلهم يفوضون السلطة في بعض الأحيان وفي هذه النقطة بالذات صرح لنا قائد من القادة قائلا: << إن التفويض مهم جدا في حالة ثقل المسؤولية وتزايد حجم العمل فلا يمكن للقائد وحده أن يقوم بجميع الأعمال فعليه أن يفوض بعض الأمور البسيطة حتى يتفرغ لحل الأمور المعقدة>>.

2.5.2- أسلوب التسيير الأوتوقراطي: لمعرفة درجة تطبيق القادة بالمديرية الجهوية لأسلوب التسيير الأوتوقراطي تم الاعتماد على 7 عبارات على التوالي والموضحة في الجدول أسفله:

الديمقراطي.

الجدول رقم (4): درجة ممارسة أفراد عينة الدراسة لأسلوب التسيير الأوتوقراطي

رقم العبارة	التكرار	درجة الموافقة					المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
		بشدة موافق	موافق	محايد	غير موافق	بشدة		
07	ك	1	5	11	15	1	2,70	0,883
	%	3,0	15,2	33,3	45,5	3,0		
08	ك	2	12	12	6	1	3,24	0,936
	%	6,1	36,4	36,4	18,2	3,0		
09	ك	2	8	14	8	1	3,06	0,933
	%	6,1	24,2	42.4	24,2	3,0		
10	ك	2	5	10	14	2	2,73	1,008
	%	6,1	15,2	30,3	42,4	6,1		
11	ك	1	7	14	10	1	2,91	0,879
	%	3,0	21,2	42,4	30,3	3,0		
12	ك	-	15	7	7	4	3,00	1,090
	%	-	45,5	21,2	21,2	12,1		
13	ك	2	15	8	7	1	3,30	0,984
	%	6,1	45,5	24,2	21,2	3,0		
المتوسط الكلي والانحراف الكلي لأسلوب التسيير الأوتوقراطي							2,99	0,96

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على إجابات أفراد العينة ومخرجات SPSS

من خلال الجدول السابق يتضح أن القادة يمارسون أسلوب التسيير الأوتوقراطي بدرجة متوسطة حيث بلغ المتوسط الحسابي الكلي لمدى ممارسة أفراد عينة الدراسة لأسلوب التسيير الأوتوقراطي 2.99 من 5 وهو متوسط يقع ضمن الفئة الثالثة من فئات مقياس ليكرت الخماسي (من 2.61 إلى 3.40) وهي الفئة التي تشير إلى "محايد" المقابل للمستوى المتوسط لأسلوب التسيير، في حين بلغ الانحراف الكلي 0,96 وهو انحراف أقل من الواحد (1) الصحيح مما يدل على وجود اتساق عام في تطبيق القادة لأسلوب التسيير الديمقراطي.

وتعزو الباحثة المستوى المتوسط لأسلوب التسيير الأوتوقراطي إلى درجة المواقف التي تواجه القادة الأمر الذي يجعلهم يستخدمون في بعض الأحيان هذا الأسلوب للحرص على توازن التنظيم وفي هذه النقطة بالذات صرح لنا قائد من القادة قائلا: << يجب أن تكون لك جانب من الخصوصية والتحفظ في العمل حتى تتمكن من تحقيق الأهداف المرجوة، فإذا كان الموقف يتطلب مني استخدام الشدة لا أتوانى في ذلك والعكس إذا كان الموقف يتطلب مبدأ الرخاء>>.

3.5.2- أسلوب التسيير الحر: لمعرفة درجة تطبيق القادة بالمديرية الجهوية لأسلوب التسيير الحر تم الاعتماد على 6 عبارات على التوالي والموضحة في الجدول الآتي:

الجدول رقم (5): درجة ممارسة أفراد عينة الدراسة لأسلوب التسيير الحر.

رقم العبارة	التكرار النسبة %	درجة الموافقة: موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
14	ك	-	8	7	17	1	2,67	0,890
	%	-	24,2	21,2	51,5	3,0		
15	ك	1	4	7	14	7	2,33	1,051
	%	3,0	12,1	21,2	42,4	21,2		
16	ك	1	15	9	8	-	3,27	0,876
	%	3,0	45,5	27,3	24,2	-		
17	ك	2	8	11	10	2	2,94	1,029
	%	6,1	24,2	33,3	30,3	6,1		
رقم العبارة	التكرار النسبة%	درجة الموافقة: موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
18	ك	-	12	11	9	1	3,03	0,88
	%	-	36,4	33,3	27,3	3,0		
19	ك	2	3	12	16	-	2,73	0,88
	%	6,1	9,1	36,4	48,5	-		
المتوسط الكلي والانحراف الكلي لأسلوب التسيير الحر							2,82	0,93

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على إجابات أفراد العينة ومخرجات SPSS

من خلال الجدول السابق يتضح أن القادة يمارسون أسلوب التسيير الحر بدرجة متوسطة حيث بلغ المتوسط الحسابي الكلي لمدى ممارسة أفراد عينة الدراسة لأسلوب التسيير الحر 2,82 من 5 وهو متوسط يقع ضمن الفئة الثالثة من فئات مقياس ليكرت الخماسي (من 2.61 إلى 3.40) وهي الفئة التي تشير إلى "محايد" المقابل للمستوى المتوسط لأساليب التسيير، في حين بلغ الانحراف الكلي 0,93 وهو انحراف أقل من الواحد (1) الصحيح مما يدل على وجود اتساق عام في تطبيق القادة لأسلوب التسيير الحر.

وتعزو الباحثة المستوى المتوسط للنمط الحر إلى عدم إدراك وفهم القادة الفرق بين النمط الحر والنمط الديمقراطي فهم يمارسون النمط الحر على أساس فهمهم الخاطئ بأنهم يمارسون بذلك النمط الديمقراطي وفي هذه النقطة بالذات صرح لنا قائد من القادة قائلا: << إننا نمارس هذه الأنماط عشوائيا دون أن يكون لنا علم مسبق بها >>.

4.5.2- أسلوب التسيير السائد بالمديرية الجهوية الصناعية لولاية سكيكدة: ومن أجل التعرف على أسلوب التسيير السائد قامت الباحثة بإجمال النتائج وذلك من خلال حساب مجموع الدرجات والمتوسطات والوزن النسبي لكل أسلوب من هذه الأساليب المذكورة في دراستنا الحالية كما هو موضح في الجدول الآتي:

جدول رقم (06) يوضح أسلوب التسيير السائد بالمديرية الجهوية الصناعية لولاية سكيكدة

محاور الاستبيان	عدد الفقرات	المتوسط الحسابي الكلي	الوزن النسبي	الدرجات
أسلوب التسيير الديمقراطي	06	**3,01**	**60.2 %**	متوسطة
أسلوب التسيير الأوتوقراطي	07	**2,99**	**59,8 %**	متوسطة
أسلوب التسيير الحـــر	06	**2,82**	**56,4 %**	متوسطة

المصدر: الباحثة

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن أسلوب التسيير الديمقراطي حصل على نسبة مئوية 60,2 %

و التي تعتبر درجة متوسطة لم تصل إلى المستوى المرتفع (80%)، وهذا يدل على أن ميل القادة بالمديرية الجهوية الصناعية لولاية سكيكدة إلى ممارسة أسلوب التسيير الديمقراطي بدرجة متوسطة وليس بدرجة مرتفعة، في حين حصل أسلوب التسيير الأوتوقراطي على نسبة 59,8 %، أما عن أسلوب التسيير الحر فحصل 56,4 % وهي نسبة تعكس كذلك توجه القادة إلى ممارسة هذان النمطين بدرجة متوسطة أيضا.

- وبالتالي تظهر النتائج عدم وجود أسلوب تسيير سائد لدى القادة الإداريين بالمديرية الجهوية الصناعية لولاية سكيكدة، ولكن تظهر تفوق أسلوب التسيير الديمقراطي على باقي الأساليب الأخرى، وتعزو الباحثة السبب في ذلك إلى ما يلي:

- اختلاف المواقف، والتفاوت في حجم العمل يجعل القيادات يمارسون هذه الأساليب بناءا على هذا الاختلاف.

- عدم معرفة الفرق بين هذه الأساليب يخلط الأمر على القيادات فيقومون بممارسة إحداها أكثر من الآخر.

- الفروق الفردية في شخصية المرؤوسين تفرض على القادة ممارسة كل هذه الأساليب بدرجة متفاوتة.

3- الاستنتاج العام: بعد تحليل وتفريغ بيانات محاور الاستبيان الذي وزع على عينة من القادة قوامها 33 قائد بالمديرية الجهوية لولاية سكيكدة ، وبعد استرجاع هذه الاستبيانات كاملة البيانات وتحليلها باستخدام البرنامج الإحصائي SPSS، تبين لنا عامة أنه:

- لا يوجد أسلوب تسيير محدد سائد بالمديرية الجهوية الصناعية لولاية سكيكدة، حيث بلغت نسبة 60,2 % لعبارات أسلوب التسيير الديمقراطي وهي نسبة متوسطة مما يدل أن القيادات بالمديرية يمارسون النمط الديمقراطي بدرجة متوسطة.

- في حين بلغت نسبة 59,8 % لعبارات أسلوب التسيير الأوتوقراطي وهي كذلك متوسطة تدل على أن القيادات الإدارية بالمديرية محل الدراسة يمارسون النمط الأوتوقراطي بدرجة متوسطةأيضا.

- أما عبارات أسلوب التسيير الحر فبلغت نسبة 56,4 % وهي أيضا تمثل الدرجة المتوسطة لممارسة القيادات الإدارية له، وهذا جد دال على أن القادة الإداريين بالمديرية الجهوية يسلكون الأنماط الثلاثة بدرجة متقاربة.

4- التوصيات: توصي الباحثة بما يلي:

- تهيئة الظروف المادية للباحثين على مستوى المؤسسات الجزائرية خاصة فيما يتعلق بالأعمال الخاصة بإنجاز دراسات ميدانية بغرض إعداد مقالات أو مداخلات لملتقيات دولية كانت أم وطنية.

- تعيين أخصائيين أكفاء في علم النفس يتولون مهمة تدريب القادة على أساليب التسيير وطريقة استخدام كل أسلوب، مع تفادي استخدام العشوائي لكل أسلوب.

- تسليط الضوء أكثر من قبل الأكاديميين حول مثل هده المواضيع واستغلالها في الحقل التطبيقي دون جعلها حكرا على الحقل النظري فحسب.

5- قائمة المراجع:

- الشريف طلال عبد الملك، (2004)، الأنماط القيادية وعلاقتها بالأداء الوظيفي من وجهة نظر العاملين بإمارة مكة

المكرمة، رسالة ماجستير في العلوم الإدارية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

- حبالي كريمة، (2016)، أسلوب التسيير وعلاقته بالانتماء التنظيمي في ضوء سمات الشخصية نمط (أ، ب) لدى العمال مؤسسة سوناطراك، رسالة ماجستير تخصص علم النفس العمل والتنظيم، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم النفس وعلوم التربية.
- صيرفي محمد، (2006)، القيادة الإدارية والإبداعية، الإسكندرية: دار الفكر الجامعي.

6- نموذج من استبيان الدراسة:

المحور الأول : يتضمن البيانات الشخصية.

1- الجنس: ذكر أنثى

3- المنصب المشغول: مدير رئيس دائرة

رئيس مصلحة

4- الخبرة المهنية: سنة

المحور الثاني: يتضمن عبارات أساليب التسيير

الرقم	العبـــــــارة	درجة الموافقة				
		موافق	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق
01	أعتقد بأن باقي الرؤساء ضمن هذه المديرية يأخذون بعين الاعتبار وجهات نظر مرؤوسيهم في حل المشاكل المتعلقة بالعمل.					
02	أعتقد بأن باقي الرؤساء ضمن هذه المديرية يسعون بفاعلية لتلبية احتياجات مرؤوسيهم المتعلقة بالعمل.					
03	أعتقد بأن باقي الرؤساء ضمن هذه المديرية يتحدث معهم مرؤوسيهم بكل حرية.					
04	أعتقد بأن باقي الرؤساء ضمن هذه المديرية يخلقون الرغبة في مرؤوسيهم للاستمرارية في العمل.					
05	أعتقد بأن باقي الرؤساء ضمن هذه المديرية يتيحون لمرؤوسيهم مجالا للمبادرة.					
06	أعتقد بأن باقي الرؤساء ضمن هذه المديرية يتعاملون بعدالة وموضوعية مع مرؤوسيهم دون تميز بينهم.					
07	أعتقد بأن باقي الرؤساء ضمن هذه المديرية يحرسون على تدريب مرؤوسيهم لتحسين أدائهم في العمل.					
	أسلوب التسيير الأوتوقـــراطـــي					
08	أعتقد بأن باقي الرؤساء ضمن هذه المديرية يعتمدون مبدأ الشدة مع مرؤوسيهم.					
09	أعتقد بأن باقي الرؤساء ضمن هذه المديرية يؤكدون على الالتزام بالمواعيد المحددة للعمل.					
الرقم	العبـــــــارة	درجة الموافقة				
		موافق	موافق	محايد	غير	غير
10	أعتقد بأن باقي الرؤساء ضمن هذه المديرية يتخذون القرارات المرتبطة بالعمل دون استشارة مرؤوسيهم..					
11	أعتقد بأن باقي الرؤساء ضمن هذه المديرية يحرصون على الالتزام بلوائح وقوانين المنظمة.					
12	أعتقد بأن باقي الرؤساء ضمن هذه المديرية يقومون بتوزيع المسؤوليات دون مراعاة رغبات مرؤوسيهم.					
13	أعتقد بأن باقي الرؤساء ضمن هذه المديرية يسعون إلى تطبيق تعليماتهم بحذافيرها من قبل مرؤوسيهم.					
14	أعتقد بأن باقي الرؤساء ضمن هذه المديرية يضغطون على مرؤوسيهم لتحقيق أقصى إنتاجية ممكنة.					
	أسلوب التسيير الـــحـــــر					
15	أعتقد بأن باقي الرؤساء ضمن هذه المديرية يتيحون لمرؤوسيه مطلق الحرية لأداء العمل دون رقابة.					
16	أعتقد بأن باقي الرؤساء ضمن هذه المديرية يسمحون لمرؤوسيهم بإبطاء وتيرة العمل .					
17	أعتقد بأن باقي الرؤساء ضمن هذه المديرية يفوضون السلطة كثيرا لمرؤوسيهم تجنبا للمشاكل.					
18	أعتقد بأن باقي الرؤساء ضمن هذه المديرية يتساهلون مع مرؤوسيهم في حال ارتكابهم لأخطاء مهنية.					
19	أعتقد بأن باقي الرؤساء ضمن هذه المديرية يسندون المهام لمرؤوسيهم بطريقة غير دقيقة.					

المجلة الجزائرية للعلوم – سلسلة ب
آداب وعلوم الإنسانية
ISSN : 2661-7064
http://univ-eltarf.dz/fr/

مواجهة الاستهداف للحوادث المهنية بين مقاربتي الأمن الصناعي والارغونوميا التصميمية

Facing the targeting of occupational accidents between the industrial security and design ergonomic approaches

الدكتور: الأزهر عبد المالك، جامعة باجي مختار عنابة

ملخص:

هدفت هذه الورقة العلمية إلى التعرف على مقاربتي الأمن الصناعي، والارغونوميا التصميمية وكيفية مواجهتهما لمشكلة الحوادث المهنية، والاستهداف لها في المنظمات الصناعية سواء الكبرى أو الصغرى، وإبراز الدور المهم الذي تلعبه هذه المقاربتين من اجل إيجاد انسب وأنجع الطرق، والحلول الممكنة وهذا عن طريق الجمع بينهما كإستراتيجية هادفة للقضاء أو الحد من هذه المشكلة علما أنآخر تقرير قامت به اللجان المختصة على مستوى وزارة العمل، والضمان الاجتماعي على مستوى 48 ولاية، عن أن حوادث العمل تقتل أزيد من 10 آلاف جزائري من بين 50 ألف حادث عمل يسجل سنويا، وعلى صعيد أخر يشير تقرير صادر عنه مكتب العمل الدولي تحت عنوان "الأمن بالأرقام" إلى أن3.2 مليون عامل في العالم يتوفون كل سنة في أماكن عملهم على إثر حادث عمل أو مرض أي بواقع 6300 شخص يوميا وحسب تقديرات مكتب العمل الدولي فمن بين 3.2 مليون وفاة سنويا، فإن 321 ألف حالة وفاة يعود سببها إلى حوادث العمل

كلمات مفتاحية: الحوادث المهنية، الاستهداف للحوادث، الأمن الصناعي، الارغونوميا التصميمية

Summary:

This scientific paper aimed to identify the two approaches to industrial security and design ergonomics and how to confront them with the problem of occupational accidents, targeting them in industrial organizations, large or small, and highlighting the important role that these approaches play in order to find the most appropriate and most effective way, and possible solutions, and this by combining them As a targeted strategy to eliminate or limit this problem, knowing that the latest report by the relevant committees at the level of the Ministry of Labor and Social Security at the level of 48 states states that work accidents kill more than 10 thousand Algerians out of 50 thousand work accidents recorded annually, and on the other hand A report issued by the International Labor Office under the title "Security by Numbers" indicates that 3.2 million workers in the world die every year in their workplaces as a result of a work accident or illness, i.e. 6300 people per day and according to the estimates of the International Labor Office, it is among 3.2 million deaths annually, The 321 thousand deaths due to work accidents

Key words: occupational accidents, accident targeting, industrial security, design ergonomics

مقدمة:

يعرف الاستهداف لحوادث العمل بالاستعداد الذي يقوم على مجموعة من الصفات، والمميزات الشخصية التي تؤدي بالفرد إلى تكرار وقوع أو التعرض لحوادث العمل، وهي من المواضيع التي يتطلب البحث فيها بعمق للتعرف على التفسير الأساسي، والمؤدي إلى التعرض والاستهداف للحوادث، فمواقع العمل من ورشات ومصانع، ومختبرات تعتبر مواقع عمل ذات مخاطر كبيرة على صحة العامل، نظرا لوجود بيئة شديدة الحساسية، فنجد المنظمات باختلاف أنواعها سواء الصناعية منها أو الخدماتية الصغيرة، والكبيرة العامة منها والخاصة تتعرض إلى مشكلات لا حصر لها، تنبع من داخلها لأسباب متنوعة كسوء النمط التسييري، أو تكون مرتبطة بشخصية العامل أو المناخ التنظيمي بشكل عام، وهذا ما أدى بالدول المتقدمة إلى الاهتمام بالجانب الارغونومي؛ حيث أن الارغونوميا وخاصة التصميمية تهتم بالأفراد في تفاعلهم مع الآلات، والأدوات ومواقع العمل ككل وتركز على الكيفية التي يؤثر بها التصميم على الإنسان العامل.

وللتقليل والحد من مشكلة الاستهداف للحوادث المهنية في المؤسسات الصناعية، أخذت معظم الدول المتقدمة، وعلى غرارها الولايات المتحدة الأمريكية سياسة الأمن الصناعي وتطويره باعتباره الأقدم من الناحية التاريخية على الارغونوميا، وهذا بتوفير ظروف العمل الآمنة، والصحية المناسبة في مكان العمل.

فإذا كانت البلدان المتقدمة قد أخذت شوطا كبيرا في الحد، والتقليل من حوادث العمل، والاستهداف لها فان البلدان النامية وخاصة الجزائر التي دخلت مرحلة التصنيع وتأثرها بالتحولات الاقتصادية والصناعية التي شهدتها الدول المتطورة، لم تسلم من مشكلات حوادث العمل والاستهداف وهذا راجع إلى عدة عوامل كما أنها لم تثبت إلى حد ألان أن برامج مواجهة الحوادث، والاستهداف لها التي تتبناها قوية وقادرة فعلا على التحكم في حوادث العمل، لذلك فقد حاولنا في هذه الورقة العلمية إلى الجمع بين مقاربتين (الارغونوميا التصميمية والأمن الصناعي) لإعطاء نظرة خاصة حول كيفية مواجهة الاستهداف للحوادث المهنية من خلال هذه المقاربتين، فهل يمكن الجمع بين المقاربتين لتحقيق الأمن الصناعي والحد من مشكلة الاستهداف للحوادث المهنية ؟

1- تعريف الحوادث المهنية والاستهداف لها:

-تعريف (محمد شحاتة ربيع) : " هي كل ما يحدث دون أن يكون متوقع الحدوث، بحيث ينجم عنه أضرار تصيب الفرد أو تصيب الآخرين" (01)

-تعريف (وسلي wisly) : " بأنها الفشل الذي لا يحقق التّوقع الظاهر، أو الكامن للأمان أثناء العمل" (02)

-و حسب (Eric Vatteville) : " الحادث هو حدث غير متوقع أو مخطط له مسبقا، يكون أحيانا نتيجة لمكان العمل أين يتواجد العامل، وينتج عنه ضرر جسدي قد يؤدي إلى الموت "(03)

إن تحليل الحادث المهني، والذي يجعله حادث عمل بمعنى أنه يتميز عن الحوداث التي تجري خارج العمل يتطلب شروطا عدّة :

أولا: أن يكون الحادث قد وقع أثناء العمل، أو في الطريق المؤدي إلى العمل أو العودة من العمل إلى نقطة الانطلاق المستخدمة عادة لنقل العمال من تلك النقطة إلى العمل، وهذا في الحقيقة يتطلب تشريعا قانونيا يحدّد ما هو في ضمن العمل و ما هو خارجه، و حسب المادة 39 من قانون الضّمان الاجتماعي فالمؤسسة تتحمل التكاليف كلّها إذا كانت الحادثة أثناء العمل.

ثانيا: أن يكون الحادث قد وضع أثناء فترات العمل المحدّدة قانونا

ثالثا: أن يوافق القاضي المختص في حكمه على أن الحادث قد وقع فعلا بارتباط أساس مع العمل، حيث يعتبر الشّخص عاملا في المؤسسة المعنية.

-تعريف الحادث في ضوء القانون الجزائري: بموجب القانون رقم 83-13 المعدّل والمتمم بموجب الأمر رقم 19-96 المتعلق بحوادث العمل، والأمراض المهنية، تم تأسيس نظام وحيد يسري على العمال مهما يكن قطاع النشاط الذين ينتمون إليه، وتشمل التغطية الحوادث التي يمكن أن يتعرض لها العامل أثناء العمل وبسببه[04] ومصطلح حوادث العمل له مرادفات لابد من الفصل بينها لتوضيح المعنى أكثر من بينها:

-الإصابة: يعرف المؤتمر العام لمنظمة العمل الدولية الإصابة، بأنها تكون بسبب العمل بشرط أن لا يكون قد حدث عمدا، أو نتيجة خطأ جسيم متعمد يفضي إلى عجز مؤقت أو دائم أو وفاة ، وتشمل كل ما يمكنه أن يصيب الفرد في طريقه إلى مكان عمله أو عودته منه[05]

-الضرر: يتمثل في إصابة جسمية وكل ما يمس بصحة الفرد

-الخطر: هي الخاصية الأساسية لآلة أو مادة أو طريقة عمل ما في التسبب في ضرر يلحق بصحة العامل فالخطر هنا متعلق بظاهرة خطيرة، وكمثال على ذلك عامل يقوم بأعمال الصيانة في مكان مرتفع[06]

-تعريف الاستهداف :

الاستهداف إنّما هو استعداد يقوم على مجموعة من الصّفات، والمميزات الشّخصية تهيّئ الفرد للوقوع في الحوادث، فتجعل معدّلها عنده أعلى من معدّل ما يقع لغيره من الأفراد الذين يعملون في نفس ظروف عمله.

- أما **المستهدف**: فهو العامل الذي يتعرض كثيرا للحوادث، ويرى (غراي) في هذا الموضوع أن الفرد المستهدف هو مولود بهذه الصفة[07].

2- الاستهداف و التعرضللحوادث:

التعرض هو جملة العوامل الشخصية والخارجية، والاتفاقية التي تفضي إلى الحوادث، فتعرض السّائق لحوادث الطريق قد يكون مرتفعا لأنه يسوق كثيرا أو يسوق بسرعة أو في طريق مزدحمة أو يسرف في السّرعة دون استجمام أو لأن فراملة، وكشّافه معيبة أو لأن لديه عيبا في الإبصار بإحدى عينيه، هذه وغيرها من العوامل التي تعرضه للحوادث أما العوامل التي تجعله مستهدفا للحوادث فتحصر في العوامل الشخصية التي ترجع إليه بالذّات؛ أي أن الاستهداف يرجع إلى السّمات الشّخصية والتي لا يتحتم على سائق آخر في نفس موقفه، ولا يخفى أن درجة التّعرض للحوادث ترتفع في الأعمال، والمهن التي تحفّها المخاطر، غير أن الفرد ذا الاستهداف الطّفيف يكون أقل تعرضا للحوادث حتى في عمل محفوف بالمخاطر لكن تعرضه للحوادث لا بد أن يكون أكثر من تعرض عامل آخر يساويه في درجة الاستهداف ويقوم بعمل مأمن.

وهناك تعريفان يوردهما **(غراي)** أن المستهدفين للحوادث قد يكونوا مولودين بهذه الطريقة، وذلك إذا كانوا مستهدفين في كل وقت، وهناك مستهدفون في أحيان أخرى غير مستهدفين، وهذا يعتمد على الظروف وهؤلاء يكونون مستهدفين بفعل الظّروف.

فالاستهداف تختلف درجته من فرد لآخر كما تختلف لنفس الشخص من عمل لآخر بل إن الاستهداف قد يكون أثره لدى بعض الأفراد قويّا عميقا فإذا به يورّط الفرد في الحوادث، حتى إذا كانت الظّروف الخارجية للعمل ملائمة.

3- الدلالة اللاشعورية للاستهداف :

إن الحوادث في وقوعها لأفراد معينين بصفة مستمرة تدل على أن هؤلاء الناس إنّما هم مستهدفون لها ومهما قيل في هذا المضمار فإن الأحداث والظروف إن تكررت، وتواترت كان هذا دليلا على صدورها على نزعة ملحّة، وكان من الصعب أن تعزف إلى مجرد المصادفة لكنها تتلاءم كل التلاؤم مع فكرة القصد، والتّصميم أي أن الحوادث لا تقع بمحض المصادفة إنما تقع بطريق العمد، فهناك جدال في ميدان الطب النّفسي عن الحوادث، يرى أن الحوادث ليست حوادث إنما هي تقع في الغالب نتيجة الناحية المزاجية الخاصة بالضّحية نفسها، فالملاحظ أن الحادثة يكون حدوثها عرضيا، وخارج تحكّم الفرد فسقوط شيء على رأس شخص سائر على قدميه إنّما هي حادثة عرضية خاصة إذا لم يكن هناك علامة تحذره أن هناك شيئا سيسقط عليه في هذا المكان، وغالبية الحوادث التي تقع في

المصانع، وفي المرور وفي المنازل من طبيعة مختلفة، فنحن نجد أن الشّخص المصاب فيها يلعب دورا هاما وكبيرا في وقوعها إن كان هناك ادّعاء بأنه كان أخرق وشارد الذّهن ولولا ذلك لما وقعت له الحادثة.

فتكرار وقوع الحادثة لأشخاص معينين لا يدل على أنّها وقعت لهم نتيجة المصادفة إنّما هم معتمدون لاشعوريا على الأول، فالحوادث كالهفوات كلاهما محتّم تلعب فيهما الدوافع اللاشعورية لعبتها، وكل هفوة من ورائها قصدان؛ قصد أصلي وآخر يتعارض معه، وقد تكون هناك دوافع لاشعورية في العمل في إحداث الحوادث مثل: الرغبة اللاّشعورية تجنّب المسؤولية أو أن يجذب الانتباه ليكون موضع عناية رعاية أو تكون الحادثة وسيلة للحصول على تعويض أو القلق النفسي والخوف من فقدان العمل أو الإحساس بالذّنب، والرّغبة في الانتقام كما أن الحادثة قد تكون تعبيرا عن عدوان اتجه به الشّخص لنفسه لكونه لم يستطع الاتجاه به إلى مصدر الإحباط، والمستهدف للحادثة لا يهدف لقتل نفسه إنما يهدف أن يعاقب نفسه أو أن يجد مشكلة، وبذلك يظفر بالسّلام الدّاخلي كل هذا بطريقة عصابية كونها حياتهم المبكرة.

4- السّمات النفسية للمستهدف:

حددت الدكتورة (**فلاند دوبنار**) صفات المستهدف للحوادث بأنه حاسم – مندفع- يركز على الذّات السريعة تهيّئ لكي يعمل ارتجالا يميل للمخاطرة، والإثارة لا يميل للإعداد للمستقبل أو التخطيط له كما أن غالبية المستهدفين للحوادث نجد أن تربيتهم في الطفولة تربية قاسية، لذا نجد لديهم كراهية لمن هم في السّلطة إذا هم رجال عمل وليسوا رجال تخطيط أو يتأرجحون بين الدوافع والإتقان هذا التهور أو الاندفاع ربما يكون له أسباب متعدّدة، ولكنّه ظاهريا ثورة ضد قيود السّلطة وكل أشكال الالتزام.

المستهدف رجل ثائر لا يستطيع أن يصبر حتى على تنظيم نفسه، والمستهدفون للحوادث يميلون لأن يكونوا غير متعاونين كما يمتازون بالإهمال، والعدوانية وعدم تحمّل السّلطة والانفعالية وكلّها سمات سيكوباتية، وأن عددا كبيرا منهم مرضى نفسيون أو عصابيون إلى جانب أن أغلبهم ممّن لا يحبّون أن يسيطر عليهم أحد سواء أكان ذلك الوالدين أو الزوجة أو المدرسين فهم يدأبون على التّمرد على السّلطة إذا حتّمت الظروف عليهم الاحتكاك بها وقت الحادثة [08] .

5- النظريات المفسرة للاستهداف للحوادث المهنية :

5-1- نظرية الاستهداف للحوادث :

هذه النظرية من أقدم النظريات التي وضعت لتفسير الحوادث من الجانب البيولوجي، ومن أكثرها شيوعا ترى أن الأفراد الذين يرتكبون العديد من الحوادث، وبصفة متكررة يطلق عليهم اسم(**مستهدفي الحوادث**) وهذا يرجع إلى وجود بعض السمات الوراثية الخاصة والطبيعة التكوينية، لم يقحموا أنفسهم في السلوك الخطير أي أن هناك قابلية التعرض للحوادث ويكون هذا نتيجة لرغبته في إشباع بعض الدوافع أو إلى خلل دائم طبيعي تكويني للفرد نفسه غير أن هذه النتيجة لا تنطبق إلّا على مجموعة من الأفراد فقط فلا يمكن أن يكون جميع الأفراد لهم صفات وراثية متماثلة وما يسجّل على هذه النظرية هو إهمالها لأهمية الجوانب الخارجية التي يمكن أن تكون عاملا مهما وأساسيا في وقوع الحوادث.

5-2- نظرية التحليل النفسي :

تعتبر هذه النظرية الحوادث إنما هي أفعال مقصودة لا شعورية، وهي تشبه الهفوات ويعتقد أصحاب هذه النظرية أن الإصابة الجسدية إنما هي عدوان لا شعوري موجهة للذّات، ويعتبر(**فرويد**) معظم الحوادث إنّما هي تعبير عن صراعات عصبية وأن عقاب الذّات هو إحدى المركبات التي تستند عليها سببية الحوادث.

و ترى مدرسة التحليل النفسي أن سبب معظم الحوادث إنما (الدافعية اللاشعورية) وأن التورط في الحوادث ما هو إلا تعبير عن الصّراعات العصابية، وأسباب لا شعورية كالهفوات[09] .

6- مقاربة الأمن الصناعي في مواجهة الاستهداف للحوادث المهنية:

في القرن الرابع قبل الميلادي كانت الكتابات العلمية لأبو قراط Hippocrate الطبيب الكبير في ذالك العصر، قد تطرق من خلالها لبعض الأمراض المهنية، كأمراض تسمم الرصاص وهو يصيب خاصة العمال المشتغلين بالرصاص، ثم بعدها في القرن 18 ظهر Etiéne Boileay الذي ذكر في كتابه تحت عنوان Livre Des Métiers أن البنّائين لابد من امتلاكهم أو حصولهم على قفازات لحمايتهم من أضرار الاسمنت، و الجبس، وفي أواخر القرن 19 ظهر رامازني Ramazne والذي ذكر في كتابه كل الأنواع المختلفة للأمراض المهنية التي تخص الزراعة، والصناعة، والتجارة، وبعد اضطرابات وثورات في القرن 19، كان لألمانيا الفضل الأسبق في إعطاء حق العلاج للعمال من حوادث العمل؛ حيث أصدرت سنة 1882 قانونا يلزم أصحاب الأعمال كالتأمين ضد حوادث العمل التي يصاب فيها عمالهم ثم تبعتها انجلترا عام 1982[10].

فإذا كان الغرض من الأمن الصناعي هو تحقيق درجة، ونسبة عالية من الوقاية والحماية للعاملين والممتلكات والإنتاج، وسلامة المعدات فإنه بذلك يقدم خدمات، ويأتي تقييم مقياس، وحجم فعالية هذه الخدمات، ومدى نجاحها فيما لم يحدث بالدرجة الأولى وليس فيما حدث[11].

كما يلعب الأمن الصناعي دورا كبيرا في الوقاية من حوادث العمل، والاستهداف لها والأمراض المهنية ومراعاة ظروف العامل النفسية والصحية، هذا من ناحية الجانب البشري، ومن ناحية أخرى فإنه يسعى كذلك إلى حماية الجانب الاقتصادي، ويهدف كذلك الأمن الصناعي إلى تحسين أساليب الإرشاد والتوجيه، واختيار العمال المناسبين، وتوفير التأمينات الصحية وخلق التوعية، والوقاية عن طريق التكوين على الأمن والوقاية من الحوادث والاستهداف لها[12].

وبما أن هذه المقاربة قديمة وقد مورست منذ القديم سواء أدرك العاملون مواطن الخطر في العمل، أو تم تنبيههم إليها، فان الإنسان معرض إلى النسيان نظرا للإجهاد، والضغط، والتعب المصاحب للتغيرات النفسية والسلوكية، فلابد هنا لتذكيره وتنبيهه لمواطن الخطر، وعدم تكرار الوقوع فيه، ومن بين هذه الوسائل لتحقيق الهدف الدعاية، والتدريب في مجال الأمن الصناعي:

-الدعاية : Propagande

وهي الجهد المنظم والمعتد الذي يبذل لتشكيل معارف الفرد، ومداركه وتوجيه سلوكه للوصول إلى الاستجابة التي يرغب فيها القائم بالدعاية، وتعتمد الدعاية في تحقيق أهدافها على عدد من الوسائل أهمها:

-الملصقات : Posters

على الرغم من أن ثمة أشكالا متعددة من الملصقات، إلا أن كل شكل يسعى إلى تحقيق الأمن الصناعي بطريقته الخاصة، هناك الملصقات المفرحة وهناك الملصقات المخيفة، وهناك التي تقدم النصيحة، وهناك ما تظهر خطرا معينا في موقف معين، وقد تستخدم الملصقات لتساعد الفرد من التخلص من عادات سيئة قد اكتسبها، ولتبين ما يحصل عليه من امتيازات إذا عمل بصورة أمنة وعادة ما يكون الهدف من الملصقات هو التأثير في العاملين، من خلال مخاطبة وجدانهم

وعلى العموم هناك الملصق الموجب، وهو الذي يركز على ايجابيات الحذر والعمل بصورة أمنة، وهناك الملصق السالب وهو الذي يركز على عواقب عدم الحذر والعمل بصورة متهورة، وهناك الذين يفضلون الملصق الموجب لأنهم يعتقدون أن العامل إذا ما عرض عليه النموذج الجيد، فسيقوم بتقليده وهناك الذين يفضلون الملصق السالب؛ لأنهم يعتقدون أن العامل غالبا ما يجعل المخاطر التي يتعرض إليها في مكان العمل، ومن الضروري تعريفه بها بصورة واقعية وهم يعتقدون كذلك أن بناء هذا النوع من الفهم في ذهن العامل لا يتحقق إلا بالملصق السالب.

• أين توضع الملصقات ؟

قد يكون المكان المفضل لعرض الملصقات هو المكان الذي يقضي فيه العامل شيئا من الوقت من غير العمل كالمداخل، والأروقة، وغرف تبديل الثياب أما أماكن الاستراحة، كالمقاهي والمطاعم لا يحبذ فيها عرض الملصقات؛ لأنها أماكن للراحة ولا داعي لتذكير العاملين فيها بمشاكل العمل.

• **محتوى الملصق**: مما قد يتضمنه محتوى الملصق بعض الصور، والرسوم إلى جانب المحتوى الكتابي وإذ كان لابد من إدراج رسوم أو صور ماذا سنختار؟ إذا كانت الصور واقعية، وتعبر عن الحقيقة فان الرسوم مرنة وتركز على المطلوب فقط، وتترك غير المطلوب وتعبر عن الحقيقة، وعلى هذا الأساس يتم اختيار الصور والرسوم[13].

-المطبوعات: تتضمن أراء وأفكار يود المختصون والتقنيون نقلها إلى العمال، وقد تكون في صورة منشورات أو جرائد أو مذكرات أو مجلات كما يمكن أن تكون المطبوعات مرجعا قيما وسجلا هاما للاجتماعات، والندوات والمؤتمرات، وتتضمن هذه المطبوعات مواضيع وإرشادات مختصرة حول الأمن والوقاية.

-الندوات: عبارة عن محادثة هادفة يشترك فيها من ثلاث إلى ستة أفراد بغرض معالجة موضوع الأمن، والوقاية وبعض المشكلات المتعلقة بها، ويدير هذه الندوة موجه يتولى ستة أو ثمانية أشخاص بعضهم يمثل المحاضرين والأخر يمثل الخبراء، والمختصين لتبادل وجهات النظر[14].

-الإرشادات: يقدمها المشرف المباشر أو التقني إلى العمال قبل شروعهم في العمل أو عند قيامهم بعمل لم يسبق لهم أن أدوه من قبل، أو عند استعمال مواد أو أدوات لا يعرفون أخطارها، ويمكن أن هذه الوسيلة تتميز بمباشرتها للحالة في وقتها، وسد حاجة العاملين عند حاجتهم لذلك خاصة أثناء المناقشات التي تتبع المحاضرات، والاجتماعات، واللقاءات، والندوات وغيرها [15].

-التدريب في مجال الأمن الصناعي :

التدريب هو عبارة عن أداة أساسية لتطوير القدرات، والتأهيل لشغل المناصب والأدوار الوظيفية، كما انه الوسيلة التي من خلالها ينمي العامل قدراته على الأداء، وانجاز المهام وإدراك المسؤولية في إطار الانتماء للمنظمة، فجميع أنواع التدريب غايتها الأساسية تغير الأفراد في معارفهم، وخبراتهم وسلوكهم ولكي يكون التدريب فعالا، وناجحا لابد من توفر عدة أسس نذكر منها: [16]

*أن يتم تدريب العاملين الذين يحتاجون إلى تدريب فعلي.

*تحديث كم وكيف المعلومات، والمهارات التي يمكن لمجموعة التدريب استيعابها والتي يحتاجونها لحل المشكلات الحرفية والمهنية والإنتاجية التي قد يواجهونها في مجال العمل.

*أن يفي مضمون البرنامج التدريبي بحاجة المؤسسة الإنتاجية على فترات زمنية مستقبلية بعيدة.

*أن يستعين المدرب بالمبادئ السيكولوجية والمنطقية في كيفية التعامل مع الأخر فالتعامل مع الآخر بالرغم من انه علم يستند إلى أسس، ولكنه أيضا فن ينبغي تذوقه والشعور به.

*يجب أن تتوفر في شخصية المدرب القدرة على الإيضاح، والتفهم، والإرشاد أثناء التدريب؛ لان الرغبة في التعلم قد لا تؤدي إلى الغرض المنشود منه من دون إرشاد ذلك أن المتدرب عند تركه وشانه قد يصطنع طرقا عقيمة أو خاطئة أو يحتاج إلى بذل مجهود كبير ووقت[17] .

2-6- أهداف التدريب الخاص بالأمن الصناعي:

يمكن حصر أهدافه فيما يلي :

*توجيه السلوك الإنساني بالابتعاد عن السلوكات التي تنجم عنها مخاطر، وتسبب كوارث.

*الحد من السلوكات التي تعيق الفرد وتحد من نجاح برنامج الأمن الصناعي والأساليب الوقائية أو أساليب التدخل أو العلاج عند حدوث الخطر.

*يساهم في تغيير الاتجاهات ذلك أن معرفة، واكتساب معلومة جديدة تبين مدى خطورتها وتبين أثارها السلبية في مجال الأمن الصناعي كفيلة بعزوف الفرد عن هذه السلوكات، وتبنيه اتجاها أخر مغايرا فاعتياد الفرد الهروب أثناء الحوادث يمكن تبديله بسلوك تدخلي بمعالجة الكارثة.

*الرفع من مستوى أداء الأفراد لمهام الأمن الصناعي ونمو الوعي لديهم بغية تحقيق هدف عام وشامل هو تحقيق الأمن ومشاعر الطمأنينة التي يجب توفرها في مكان العمل[18].

7- مقاربة الارغونوميا التصميمية:

يقصد بالارغونوميا التصميمية كل التدخلات على المستوى الفيزيقي للعمل الذي يميز الخصوصيات التقنية للنسق، وقد تتضمن أو تخص كل أجواء العمل مثل: الضجيج، التهوية، الغبار، الإنارة، فضاء العمل الزمكاني، كما أنها تهتم أيضا بالخصوصيات الفسيولوجية، والأطوال الجسمية للعامل في علاقته مع مختلف الأنشطة، فهي بذلك تهتم بالحركات المتكررة، والاضطرابات العضلية [19]

تسعى الارغونوميا التصميمية إلى تصميم العمل وآلاته وعدده لتلاءم قدرات الإنسان وحدوده، أما الوحدة الرئيسية التي تدرسها فهي نظام الإنسان آلة.

7-1- العلاقة بين الإنسان والآلة:

نسق الإنسان آلة شكّلت المنطلق لفهم الحادث المهني فالحادث يظهر في العلاقة المتبادلة بين الإنسان و الآلة (نقص حاد، وهلة دراماتيكية) مقارنة بالمركب الجسدي، والآلي فالحادث كما حدده الدكتور (فريدمان) ناتج لسببين :

* سوء المنشآت التقنية وأدوات العمل

* سوء اليد العاملة من العمّال البسطاء إلى مسؤوليتهم في العملية الإنتاجية والإدارية

إضافة إلى هذا يضرب (جورج فريدمان) مثال لتوضيح الفكرة حين يقول بأن :

" الحوادث في الورشة ثلث منها مرجعها الآلة، وهذا العشر من العدد مرجعه نقص الوسائل الوقائية والباقية مرجعه تصرّف العمال داخل الورشة "[20].

7-2-أهداف الأرغونوميا التصميمية:

انطلاقاً من وجهة نظر الشعار الذي يردده مجمع الأرغونوميا للغة الفرنسية، القائل: "حين نكون على أحسن حال، و في وضعية جيدة، سنكون نحن الأقوياء" ، فإن من أهدافها:

- **الراحة:** وتتأتى بواسطة تحسين ظروف العمل، وتقليص التعب الجسمي، والذهني؛ إن راحة العامل ذات بعد مهم جدا في الدراسات الأرغونومية، وهي مرتبطة بوضعيات العمل "Postures de travail" وبتحسين ظروف العمل.

الفعالية: أي رفع مستوى الفعالية، علما بأن الفعالية في المؤسسة تخضع إلى هذه المعادلة القائمة على العلاقة بين جودة الإنتاج – تكلفة الإنتاج.

- **أمن العمال و سلامتهم:** إن من أهدافها أيضا سلامة العمال، والوقاية من الحوادث.
- **التقليل من الأمراض المهنية:** وخاصة المزمنة منها.
- **المساعدة على تسيير التغيير التكنولوجي:** إن كل تغيير قد تترتب عنه مقاومة خوفا، من عدم التكيف معه؛ لذلك من أهداف الأرغونوميا تحضير العمال

تقنيا، وفنيا لتجاوز هذا العائق، قصد تكييفهم مع المتطلبات الجديدة.

- **استغلال الوقت والطاقة:** ترتيب وقت العاملين لمنعهم من إهدار الطاقة بالتحرك داخل، وخارج نطاق العمل الأساسي.
- تحسين طرق العمل وتغييرها لتتلاءم مع العمال، وإيجاد أفضل الطرق التي تؤدى بها الأعمال.
- تصميم الآلات والأدوات وتكييفها، بهدف زيادة الراحة للعمال وبالتالي الإنتاجية.
- تصميم وترتيب مكان العمل بحيث يساعد العمال على إيجاد مواد العمل و أدواته بسهولة.
- دراسة الظروف الفيزيقية الملائمة للعمل مثل الضوضاء، والحرارة، والإضاءة، وما ينجم عنها من تعب[21].

7- 3-الارغونوميا التصميمية وكيفية مواجهتها للاستهداف للحوادث المهنية :

تعنى هذه المقاربة بجمع اكبر عدد ممكن من المعلومات حول القدرات والحدود والصفات الإنسانية التي يتطلبها التصميم الارغونومي، واستخدامها في تصميم أدوات العمل، وأماكنها، وانضمتها المختلفة ومحيطه كي يستخدمه الإنسان استخداما أمنا، ومريحا للعمل وتوجد عدة طرق وأساليب تجعل العمل أكثر سهولة وامن نذكر منها:

- **تصميم مو اقع العمل:** إن مواقع العمل هو الحيز المجهز بكل ما هو ضروري من معدات، وأدوات وأثاث لأداء مهمة أو القيام بنشاط من قبل العامل، وتنظيم موقع العمل هذا يتطلب تحديد عناصره التي تسهم في عملية الإنتاج ومن بين هذه العناصر.
- **وسائل العمل:** وتشمل المعدات، وسائل النقل، الأدوات، أجهزة القياس، الضبط، الأثاث
- **مواد العمل:** وتشمل المواد الأولية والنصف مصنعة
- **ظروف العمل الفيزيقية:** كالإنارة، الحرارة، التهوية، الرطوبة

وتعتمد عمليات التصميم والتنظيم لمواقع العمل على معايير مثل:

- المتطلبات المهمة والبيانات المتعلقة بقياسات الجسم البشري
- الألوان التي تستخدم في بيئة العمل لزيادة الراحة البصرية، وسهولة تمييز الأشياء، والمواد نصف المصنعة وتخفيف عبء العمل، والتقليل من الاستهداف للحوادث ودوران العمل
- تصميم الآلات من خلال إعادة توزيع العمل بين الإنسان والآلة.
- أرضية مكان العمل لمنع وقوع الحوادث المهنية، والاستهداف لها فلا بد أن تكون الأرضية من النوع الغير زلق، وان تكون ذو استواء مناسب خال من الحفر، والانشقاق تسمح بسهولة التنقل
- مواد العمل وهي المكون الأساسي لموقع العمل، وهي العنصر الذي يتم تحويله بواسطة العامل وباستخدام الآلات إلى منتجات نهائية وقد تكون بسيطة ومعقدة

اختيار موقع العمل بالاعتماد على أسس هي:

- **المعايير الفنية:** وتشمل نوع العمليات التكنولوجية، ونوعية المنتجات المطلوبة ومواصفات المواد المطلوبة أو التي يمكن الحصول عليها
- **المعايير الاقتصادية:** أهمها ما يتعلق بالاستثمارات الصناعية، والعائد والربح والتنبؤ الاقتصادي الذي يعتمد على التوقعات المستقبلية لأهم التطورات
- **المعايير الاجتماعية:** وهذه المعايير تحددها التشريعات الوطنية الخاصة بالبيئة، وبيئة العمل[22].

8-طريقة الارغونوميا التصميمية في حل مشاكل الاستهداف للحوادث المهنية:

للارغونوميا التصميمية طريقة شائعة تستخدمها في حل مشكلات العمل والحد من الحوادث والاستهداف لها تتكون هذه الطريقة من ست مراحل أساسية هي:

-**مرحلة التعرف على المشكلة**: وفيها يتم طرح عدد من الأسئلة مثل: هل توجد مشكلة؟ ما هو حجمها؟ وما هي أهميتها؟ بعد ذلك يتم تحديد أسباب المشكلة بالاستعانة بتقنية الاستقصاء العميق.

-**مرحلة تحديد المشكلة:** ويتم فيها أولا تحديد معايير التقويم ، ثانيا يتم تقويم التصميم الحالي في ضوء المعايير التي تم تحديدها

-**مرحلة البحث عن الحلول الممكنة:** وفيها يتم اقتراح الحلول المثلى للمشكلة؛ بحيث تكون الحلول المقترحة قصيرة المدى أو طويلة المدى، كل هذا يتم في ضوء ما يوجد من معوقات تحول دون التطبيق الكامل للحلول المقترحة، أو محفزات تشجيع على التطبيق الكامل لها

-**مرحلة تقديم البدائل:** وفيها يتم تقويم الحلول الممكنة في ضوء ما قد تم تحديده من معايير، عموما يتم اقتراح ثلاثة حلول مرتبة ترتيبا أوليا حيث يتم اختيار واحد منها

-**مرحلة اقتراح الحل:** إلى الإدارة التي يمكن أن تكون قد طلبته، ويمكن ألا تكون قد طلبته

-**مرحلة تنفيذ الحل والقيام بالمتابعة:** وفيها ينفذ الحل المقترح وينظر في النتائج التي تتحقق ومتابعتها لفترة حتى يتم التأكد من ثباتها[23].

خاتمة:

لاشك في أن مقاربة الأمن الصناعي قد أدت إلى التحكم في الكثير من مشاكل الأمن الصناعي، ولاشك في أن الكثير من الحوادث المهنية والاستهداف لها قد تمت السيطرة عليها، أو التقليل من حدّتها وخطورتها بفضل هذه المقاربة، كما أن للمقاربة الارغونومية دورا مهما جدا في السيطرة على حوادث العمل والاستهداف لها، وتطوير العامل في وسط فيزيقي مكيف مع المهمة، حتى يتماشى مع المعايير الفسيولوجية والنفسية، و من جهة أخرى، فإنها تعمل على وضع تحت تصرف العامل، من مهمة الأدوات و الوسائل المكيفة هي الأخرى، مما يسمح له بالاستجابات السريعة، والدقيقة والملائمة في الوقت نفسه؛. إذ أنها تحاول التصدي لها في المصدر على خلاف مقاربة الأمن الصناعي التي تحاول أن تقضي على الحوادث في الطريق إلى العامل، أو مع العامل في حد ذاته وشتان بين هذه المقاربة وتلك، ومن المنطقي جدا القول أن الحكمة تقتضي الجمع بين المقاربتين، أولا البدء بالمقاربة الارغونومية؛ بما أنها تهتم بالخصوصيات الفسيولوجية و المقاييس الجسمية للعامل في علاقاته مع مختلف الأنشطة، فهي بذلك تهتم أيضا بوضعيات العمل، و بالتحكم في وسائل العمل، و كيفية استعمالها، كما تهتم بالحركات المتكررة وبالاضطرابات العضلية-العظمية؛ حيث يتم تصميم مكان أو موقع العمل، وآلاته وعددها، تصميما ملائما خاليا من كل ما يؤدي إلى الحوادث المهنية، والاستهداف لها بعد ذلك الشروع في ممارسة مقاربة الأمن الصناعي باستخدام الدعاية للأمن الصناعي، وتدريب العمال، وبهذه الطريقة نتأكد من مواجهة الاستهداف للحوادث المهنية في ضل هاته المقاربتين.

الهوامش:

1-محمد شحاتة ربيع (2007). **أصول علم النفس الصناعي**، ط3، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ص 272

2-عبد الرحمان محمد العيسوي(1978). **سيكولوجية العمل والعمال**، دار الراتب الجامعية، لبنان، ص 272

3-Louisse Lemmeo Et Jien Juttard (1981) . **Traite De La Réparation Des Accidentes Du Travail**, Librairie Générale, Parise, p 90

4-فيروز قالية (2012). **الحماية القانونية للعامل من الأخطاء المهنية**، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الحقوق، قسم القانون الأساسي والعلوم السياسية، جامعة تيزي وزو، ص 10

5-صبحي محمود متولي (1970). **شرح قانون التأمينات الاجتماعية ونظامها في المملكة العربية السعودية**، ط2، معهد الإدارة العامة، ص27

6http://www.Hygiene_Securité.Ac_Aix_Marseille.Fr(2004) . Evaluation Des Risques Professionnels Rectoral Aix_ Marseille CDASH_CT. P15

7-محمد عباس عوض (1977). **دراسات في علم النفس الصناعي والمهني**، دار المعارف، القاهرة مصر، ص 53

8-محمد عباس عوض (1985). **سيكولوجية الحوادث**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 87-88

9-حمدي ياسين (2001). **علم النفس الصناعي والتنظيمي**، ط9، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، ص199

10-رابح العايب (2005). **مدخل إلى علم النفس العمل والتنظيم**، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة ص105

11-علي غربي وآخرون (دون سنة): **تنمية الموارد البشرية**، دار الهدى، الجزائر، ص134

12-رابح العايب (2006). **مدخل إلى ميادين علم النفس العمل والتنظيم**، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، ص 99

13- محمد مقداد(دون سنة). **مواجهة الحوادث المهنية بين مقاربتي الارغونوميا والأمن الصناعي**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص، الملتقى الدولي حول المعاناة في العمل، ص ص 3-4

14-Jackie Boisselier & Gerard Boué (1977**).** **Pratique De Sécurité Dons L'entreprise**, Les édition D'organisation, France, p24

15-دقيش خندودة(2006). **الوعي الوقائي لدى العمال المنفذين وعلاقته بحوادث العمل**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم النفس وعلوم التربية، جامعة منتوري، قسنطينة، ص21

16-عمار الطيب كشرود (1995). **علم النفس الصناعي والتنظيمي الحديث: مفاهيم، نماذج ونظريات** منشورات جامعة قار يونس، ط1، ليبيا، ص294

17-فوزية برابح (2006). **تقييم العملية التدريبية بالمؤسسة الجزائرية من خلال اتجاهات المتدربين** رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم النفس وعلوم التربية، جامعة منتوري، قسنطينة، ص ص 72-73

18-علي قرين (2003). **الأمن الصناعي، دراسة حالة المؤسسة الوطنية لتحويل المعادن غير الحديدية** رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الاقتصاد، جامعة منتوري، قسنطينة، ص ص 96-97

19-محمد مسلم (2007). **مدخل إلى علم النفس العمل**، ط1، قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 117

20-George Fridman (1946). **Machine Et Humanisme- Problème Humain Du Machinisme**, Ed Gallmard France, P 14

21-صالح نهير الزاملي، زينب مهدي محسن(2017).**الارغونوميا : بين ضرورات التحديد ومجالات التطبيق**، مداخلة منشورة في كتاب أعمال مؤتمر الأرغونوميا التربوية المنعقد في طرابلس لبنان مارس ص 11.

22-نجم عبود (2012). **دراسة العمل والهندسة البشرية**، ط1، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص ص 231-239-241

23-محمد مقداد(دون سنة). مرجع سابق ، ص ص 6-7

المجلة الجزائرية للعلوم – سلسلة ب
آداب وعلوم الإنسانية
ISSN : 2661-7064
http://univ-eltarf.dz/fr/

الأقسام التحضيرية في الجزائر ودورها في التحصيل الدراسي
- دراسة ميدانية ببعض المدارس الابتدائية بولاية برج بوعريريج-

الدكتور. عمارة بوجمعة الدكتورة. عثمان مريم

جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعريريج جامعة الشاذلي بن جديد الطارف

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة أثر الأقسام التحضيرية في عملية التحصيل الدراسي لدي تلاميذ السنة الثانية ابتدائي من وجهة نظر الأولياء وذلك من خلال اجراء مقارنة بين التلاميذ الذين مروا بالأقسام التحضيرية ونظرائهم الذين لم يمروا بها وهي دراسة ميدانية أجريت على مستوى مدينة برج بوعريريج، اعتمدنا فيها على المنهج الوصفي، وكان مجموع أفراد العينة 203 مبحوث.

الكلمات المفتاحية: الأقسام، التحضيرية، التحصيل، الدراسي.

Résumé

Cette étude a pour objectif de connaître l'effet des sections préparatoires sur la réussite des élèves de deuxième année du point de vue des parents grâce à une comparaison entre les élèves ayant passé les sections préparatoires et leurs homologues qui ne les ont pas passées, étude de terrain menée au niveau de la ville de Bordj Bou Arreridj, Approche descriptive, et l'échantillon total était de 203 répondant

Mots-clés : Collection, Classes, Scolaire

.

مقدمة

إن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والثقافية داخل المجتمعات وما صاحبها كخروج المرأة للعمل والتغير في طبيعة البناء الأسري نحو الأسر الصغيرة بالإضافة إلى ما تفرضه الحياة في المدن، كل هذا أدي إلى إنشاء الأقسام التحضيرية أو ما يعرف برياض الأطفال كمؤسسات اجتماعية تربوية تعليمية، تقوم بمهمة التربية إلى جانب الأسرة، وبذلك تكون شريكتها في عملية التربية.

كل هذا أدى إلى ازدياد انتشار الأقسام التحضيرية بشكل كبير وأصبحت الدول تنضر لها على أنها القاعدة الأساسية التي تبني عليها المراحل التعليمية الأخرى وأساس في التنشئة الاجتماعية، بل أصبحت معيار يقاس به تقدم الدول وتخلفها، ومن خلال هذه الدراسة الميدانية سوف نحاول أن نجري مقارنة بين التلاميذ الذين دخلوا لأقسام التحضيرية مع نظرائهم ممن لم يدخلوا لها، وقياس أهم الفروقات بينهم.

1- **الإشكالية**: سوف نحاول أن نجيب من خلال هذه الدراسة على السؤال التالي:

هل تساهم الأقسام التحضيرية في اندماج التلاميذ داخل المدرسة وبالتالي زيادة التحصيل الدراسي والتفوق دراسيا؟

2- **الفرضية**: تساهم الأقسام التحضيرية في سرعة اندماج التلاميذ داخل المدرسة وبالتالي زيادة تحصيلهم الدراسي.

3- **تحديد المفاهيم:**

أ- **التعليم التحضيري:**"يقصد بالتربية التحضيرية (التعليم التحضيري) التربية الموجهة للأطفال الذين يتراوح سنهم مابين أربع سنوات وست سنوات والرامية إلتنمية متكاملة في الجانب المعرفي والجانب الحسي والحركي والجانب الوجداني والجانب الاجتماعي "[1]

- التعليم التحضيري تتلخص مهمته في إثراء البنيات التربوية بغية إعطاء التعليم الأساسي قاعدة متينة يرتكز عليها، فهو تعليم يحضر الأطفال للتعليم المدرسي اعتمادا على نفسية الطفل في مابين الرابعة والسادسة من العمر وتوعية المرأة بمشاكل الطفولة.[2]

ب- **التحصيل الدراسي: يعرفه صلاح الدين علام** انه مدي استعان التلاميذ مما تعلموه من خبرات معينة في مادة دراسية مقررة وتقاس بالدرجات التي تحصل عليها التلاميذ في الاختبارات التحصيلية.[3]

مجالات الدراسة:

1- المجال المكاني:

تم الجزء الميداني بمدينة برج بوعريريج وبدأنا باستطلاع المكان الجغرافي للمؤسسات التربوية قصد تحديد أماكن تواجدها والتعرف علي عدد المؤسسات بالمدينة، وعليه تمت الدراسة على مستوي المدارس الابتدائية التالية:

- **المدرسة الابتدائية الإخوة براهيم شاوشي**: تقع في حي الزهور ،تقدر مساحتها3400م^2 يوجد بها 12 حجرة للدراسة، قاعة خاصة بالإدارة،تضم 639 تلميذ موزعين علي 18 فوج تربويا، يؤطرهم 21 معلما، وعدد العمال بها 10، بدأ العمل فيها بنظام الأقسام التحضيرية منذ بداية الموسم الدراسي 2009-2008.

---

[1] المجلس الأعلى للتربية : المبادئ العامة للسياسة التربوية الجديدة وإصلاح التعليم الأساسي ،الجزائر ،1998،ص 45.

[2] المجلس الأعلى للتربية: تنظيم التربية والتكوين في الجزائر ، مرجع سابق ،ص 52.

[3] دراسة في التنشئة الاجتماعية والتأخر لدراسي، رشاد صلاح الدمنهوري: علم النفس الاجتماعي،دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية، مصر،1995 ، ص85.

- **المدرسة الابتدائية بودرواز العمري:** تقع في حي الحدائق، تقدر مساحتها3500م² يوجد بها 16 حجرة للدراسة، قاعة خاصة بالإدارة، تضم 608 تلميذ موزعين علي 16 فوج تربويا، يؤطرهم18 معلما ويديرهم أربع موظفين، بدأ العمل فيها بنظام الأقسام التحضيرية منذ سنة1988.
- **المدرسة الابتدائية قاسيمي رمضان:** تقع في حي السعادة 12 هكتار ،تقدر مساحتها 2150 م² يوجد بها 13 حجرة للدراسة،قاعة خاصة بالإدارة،تضم 541 تلميذ موزعين علي 18 فوج تربويا،يؤطرهم 21 معلم ،وعدد العمال 10 منهم 4حراس و6 عاملات نظافة، بدأ العمل فيها بنظام الأقسام التحضيرية بداية الموسم الدراسي 2007-2008.
- **المدرسة الابتدائية زيتوني العيد:** تقع في حي 18 فيفري، تقدر مساحتها3400م² يوجد بها 15 حجرة للدراسة،قاعة خاصة بالإدارة،تضم 362 تلميذ موزعين علي 12 فوج تربويا، يؤطرهم14 معلما،وعدد الموظفين10، بدأ العمل فيها بنظام الأقسام التحضيرية بداية الموسم الدراسي 2006-2007.
- **المدرسة الابتدائية نويوة الشريف:** تقع في حي الحدائق ،تقدر مساحتها3000م² يوجد بها 16 حجرة للدراسة، قاعة خاصة بالإدارة، تضم 436 تلميذ موزعين علي 16 فوج تربويا، يؤطرهم18 معلما، وعدد الموظفين11، بدأ العمل فيها بنظام الأقسام التحضيرية منذ سنة2002.
- **المدرسة الابتدائية تر ايكية حسين:** تقع في حي 1008 مسكن ،تقدر مساحتها2100م² يوجد بها 12 حجرة للدراسة، قاعة خاصة بالإدارة، فتضم 372 تلميذ موزعين علي 12 فوج تربويا، يؤطرهم14 معلما، وعدد الموظفين07، بدأ العمل فيها بنظام الأقسام التحضيرية بداية الموسم الدراسي 2006-2007.
- **المدرسة الابتدائية لوعيل العيد:** تقع في حي ب_س 265 قطعة برج بوعريريج، تقدر مساحتها 1545 م² يوجد بها 10 حجرات للدراسة، قاعة خاصة بالإدارة، تضم 528 تلميذ موزعين علي 18 فوج تربويا، يؤطرهم 21 معلما ويديرهم أربع موظفين، ظهرت بها الأقسام التحضيرية سنة2008

2- المجال الزمني: لقد دامت الفترة المخصصة للدراسة الميدانية ستة اشهر ونصف الشهر وقد تم إجرائها على مرحلتين:

2-1 الدراسة الاستطلاعية: دامت هذه الدراسة شهرين ونصف الشهر والتي خصصت في البداية للاطلاع علي الجهات الرسمية التي لها علاقة بالأقسام التحضيرية فقد تمت زيارة مديرية التربية لولاية برج بوعريريج والتي تعتبر المؤسسة المسؤولة علي المدارس الابتدائية وكذا مديرية النشاط الاجتماعي لولاية برج بوعريريج، والتي تعتبر مسؤولة عن رياض الأطفال التابعة للخواص والتي توجد بها أقسام تحضيرية كما قمنا بزيارة بعض المدارس وبعض رياض الأطفال من اجل الوقوف علي واقعها.

2-2 **تطبيق الاستمارة:** تم توزيع الاستمارة علي عينة البحث عن طريق إدارة المدارس المعنية، وقد تم جمع الاستمارات بعد 15 يوم لإعطاء الوقت الكافي للأولياء من أجل الإجابة علي الأسئلة.

3- **المجال البشري:** المجال البشري للدراسة فقد ضم203 تلاميذ بالمدارس المختارة في العينة، بحسب عدد الأقسام السبع بالمدارس السبع الخاصة بأفواج السنة الثانية ابتدائي.

العينة: وعينة دراستنا أفرادها أولياء تلاميذ السنة الثانية ابتدائي بالمدارس المختارة عن طريق العينة الطبقية.

إن عدد المدارس علي مستوي مدينة برج بوعريريج والتي توجد بها أقسام تحضيرية 46 مدرسة وذلك بحسب المعلومات المقدمة من طرف مديرية التربية لولاية برج بوعريريج.

بعد حساب نسبة تمثيل العينة والتي تقدر3% وهذا بعد حسابنا للانحراف المعياري والمتوسط الحسابي لمجتمع الأم تم اختيار المدارس عن طريق العينة الطبقية كما يلي:

حجم العينة = نسبة التمثيل× 100 حجم العينة =

بالتقريب 7 مدارس ابتدائية

المجتمع الأم

طريقة حساب عدد المدارس في كل طبقة :عدد المدارس في كل طبقة × حجم العينة

المجتمع الأم

الطبقة الأولي عدد المدارس ثلاث مدارس في الطبقة الثانية مدرستين والطبقة الثالثة والرابعة في كل منها مدرسة واحدة، وبعدها قمنا بسحب عشوائي في كل طبقة حسب العدد في كل طبقة، وبعد هذه العملية برزت المدارس التالية لإجراء البحث عليها:

- الطبقة الأولي: مدرسة بودرواز العمري،مدرسة قاسيمي رمضان،مدرسة الإخوة براهيم شاوشي.
- الطبقة الثانية: زيتوني العيد، نويوة الشريف.
- الطبقة الثالثة: مدرسة ترايكية حسين.
- الطبقة الرابعة: مدرسة لوعيل العيد.

وفي بعض المدارس كانت يوجد بها أكثر من فصل خاص بالسنة الثانية وعليه تم إجراء السحب العشوائي من اجل اختيار من كل مدرسة قسم واحد، وبلغ عدد التلاميذ في المدارس السبع 203 تلميذ وزعت عليهم استمارات بحثنا عن طريق إدارة المدارس.

تحليل الفرضية: سوف نحاول من خلال هذه الدراسة تحليل وتفسير الفرضية ومن أجل التحقق من صحة الفرضية سوف نحاول إختبار مدي تأثير كل من المتغيرات التالية:

الدخول للقسم التحضيري من عدمه على كل من المتغيرات التابعة التالية:

مدى رضا الأولياء عن نتائج أبنائهم في المدرسة، التغير في السلوك بعد الدخول للمدرسة، نوعية هذا التغير في السلوك، المواظبة على التمارين والواجبات المنزلية، التحصيل الدراسي في أخر سنة، مراجعة الدروس، استيعاب الدروس، التكيف السريع مع المدرسة، المشاركة في الألعاب الجماعية بالحي، مميزات التلميذ بعد الالتحاق بالمدرسة، الاهتمام بالنظافة، حب الذهاب للمدرسة، صفات التلاميذ بعد الدخول للمدرسة.

. جدول رقم (01) علاقة الدخول للقسم التحضيري برضا الأولياء عن نتائج أبنائهم بعد الدخول للمدرسة.

الرضي عن النتائج / الدخول للقسم التحضيري	راضي		غير راضي		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	91	76.47	28	23.53	119	100
لا	24	28.57	60	71.43	84	100
المجموع	115	56.65	88	43.35	203	100

من خلال معطيات الجدول نجد الاتجاه العام للجدول يتجه نحو الفئة الأولياء الراضين عن نتائج أبنائها بعد الدخول للمدرسة بنسبة 56.65 %، مقابل 43.35 % غير راضين عن نتائج أبنائها، ومن أجل إثبات أو نفي أن للأقسام التحضيرية دور في زيادة التحصيل الدراسي قمنا بإدخال المتغير المستقل والمتمثل في الدخول للقسم التحضيري فتحصلنا على النتائج التالية:

76.47 % ممن دخل أبنائهم للقسم التحضيري راضون عن نتائج أبنائهم في المدرسة، مقابل 23.53 % غير راضون عن نتائج أبنائهم.

71.43 % لم يدخل أبنائهم للقسم التحضيري وغير راضون عن نتائج أبنائهم في المدرسة، مقابل 28.57 % لم يدخل أبنائهم للقسم التحضيري وراضون عن نتائج أبنائهم.

من هذه المعطيات نجد أن للقسم التحضيري دور هام في زيادة التحصيل وبالتالي التهيئة للمراحل الدراسية المقبلة.

وبعد حسابنا لاختبار كا2 وجدنا الجدولية مقدرة بـ 3.841 و كا2 المحسوبة 46.04، عند درجة حرية 01 ومستوي الدلالة 0.05، وعليه توجد علاقة بين المتغيرين.

ومن أجل معرفة نوع العلاقة قمنا بحساب معامل التوافق الذي قدر بـ 0.39 أي هناك علاقة طردية موجبة ضعيفة بين المتغيرين.

جدول رقم (02) يوضح التغير في سلوك أفراد العينة بعد دخوله للمدرسة :

التغير في السلوك	التكرار	النسبة المئوية %
نعم	160	78.80
لا	43	21.20
المجموع	203	100

من خلال معطيات الجدول نلاحظ أن دخول التلاميذ إلى المدرسة قد صاحبه تغير في سلوكهم حيث أن 78.80 % من أفراد العينة لاحظوا تغيرا في سلوك أبنائهم بعد الدخول للمدرسة في حين أن نسبة 21.20 % أجابوا بأن سلوك أبنائهم بعد الدخول للمدرسة لم يتغير، ومن خلال هذه النسب فإن الدخول للمدرسة قد ساهم في تغير سلوك التلاميذ.

جدول رقم (03) يوضح العلاقة بين الدخول للقسم والتحضيري ونوع التغير في السلوك بعد الدخول للمدرسة :

نوع السلوك / الدخول للقسم التحضيري	إيجابي		سلبي		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	85	94.44	05	05.56	90	100
لا	58	82.86	12	17.14	64	100
المجموع	143	89.37	17	10.63	160	100

الاتجاه العام للجدول يتجه نحو فئة المبحوثين الذين يرون أنسلوك أبنائهم تغير تغيرا ايجابيا بنسبة 89.37 % بعد دخول أبنائهم للمدرسة مقابل 10.63 % كان تغير سلوك أبنائهم سلبي بعد دخولهم للمدرسة.

ومن أجل معرفة نوع العلاقة بين الدخول للقسم التحضيري والتغير في السلوك قمنا بإدخال المتغير المستقل والمتمثل في الدخول للقسم التحضيري من عدمه تحصلنا على النتائج التالية:

94.44 % دخلوا للقسم التحضيري وكان التغير ايجابي في سلوكهم بعد الدخول للمدرسة، مقابل 05.56% دخلوا للقسم التحضيري وكان التغير سلبي في سلوكهم.

82.86 % لم يدخلوا للقسم التحضيري وكان التغير ايجابي في سلوكهم بعد الدخول للمدرسة مقابل 17.14 % لم يدخلوا للقسم التحضيري وكان التغير سلبي في سلوكهم بعد الدخول للمدرسة.

من هذه المعطيات يتضح أن الأقسام التحضيرية تساهم في تقويم السلوك غير أنه يبقى محدود لتأثره بعوامل أخري كالعوامل الشخصية وكذا التنشئة الأسرية وتركيبة الأسرة والعلاقات الاجتماعية الأسرية.

وبعد حسابنا لاختبار كا2 وجدنا الجدولية مقدرة بـ 3.841 و كا2 المحسوبة 5.567، عند درجة حرية 01 ومستوي الدلالة 0.05، وعليه توجد علاقة بين المتغيرين.

ومن أجل معرفة نوع العلاقة قمنا بحساب معامل التوافق الذي قدر بـ 0.26 أي هناك علاقة طردية موجبة ضعيفة بين المتغيرين.

جدول رقم (04) يوضح علاقة الدخول للقسم التحضيري بالمواظبة على حل التمارين والواجبات المنزلية:

المواظبة على حل التمارين / الدخول للقسم التحضيري	نعم		لا		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	90	65.63	29	24.37	119	100
لا	51	60.71	33	39.29	84	100
المجموع	141	69.46	62	30.54	203	100

من خلال الاتجاه العام للجدول نجده يتجه نحو فئة التلاميذ الذين يواظبون على حل التمارين والواجبات المنزلية بنسبة 69.46 % مقابل 30.54 % لا يواظبون على حل التمارين والواجبات المنزلية.

وعند إدخالنا للمتغير المستقل والمتمثل في الدخول للقسم التحضيري من عدمه لمعرفة أثره في المواظبة على حل التمارين والواجبات المنزلية تحصلنا على النتائج التالية:

65.63 % ممن دخلوا للقسم التحضيري يواظبون على حل التمارين والواجبات المنزلية مقابل 24.37 % دخلوا للقسم التحضيري ولا يواظبون على حل التمارين والواجبات المنزلية.

60.71 % لم يدخلوا للقسم التحضيري ويواظبون على حل التمارين والواجبات المنزلية مقابل 39.29 % لم يدخلوا للقسم التحضيري ولا يواظبون على حل التمارين والواجبات المنزلية.

وبعد حسابنا لاختبار كا2 وجدنا الجدولية مقدرة بـ 3.841 و كا2 المحسوبة 5.164، عند درجة حرية 01 ومستوي الدلالة 0.05، وعليه توجد علاقة بين المتغيرين.

ومن أجل معرفة نوع العلاقة قمنا بحساب معامل التوافق الذي قدر بـ 0.13 أي هناك علاقة طردية موجبة ضعيفة جدا بين المتغيرين.

جدول رقم (05) يوضح علاقة الدخول للقسم التحضيري بمراجعة الدروس:

المواظبة على حل التمارين / الدخول للقسم التحضيري	نعم		لا		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	90	65.63	29	24.37	119	100
لا	51	60.71	33	39.29	84	100
المجموع	141	69.46	62	30.54	203	100

الاتجاه العام للجدول يتجه نحو فئة التلاميذ الذين يراجعون دروسهم بأمر من رب الأسرة بنسبة 57.14 %، مقابل 42.86 % يراجعون دروسهم بمحض إرادتهم وعند إدخالنا للمتغير المستقل والمتمثل في الدخول للقسم التحضيري من عدمه من أجل معرفة اثر الأقسام التحضيرية في مراجعة التلاميذ لدروسهم تحصلنا علي النتائج التالية : 69.05 %من التلاميذ لم يدخلوا للأقسام التحضيرية ويراجعون دروسهم بأمر من رب الأسرة مقابل 30.05% لم يدخلوا للقسم التحضيري ويراجعون دروسهم بمحض إرادتهم .

51.26 % دخلوا للقسم التحضيري ويراجعون دروسهم بمحض إرادتهم مقابل 48.74% دخلوا للقسم التحضيري ويراجعون دروسهم بأمر من رب الأسرة.

وبعد حسابنا لاختبار كا2 وجدنا الجدولية مقدرة بـ 3.841 و كا2 المحسوبة 8.292،عند درجة حرية 01 ومستوي الدلالة 0.05 ،وعليه توجد علاقة بين المتغيرين.

ومن أجل معرفة نوع العلاقة قمنا بحساب معامل التوافق الذي قدر بـ 0.23 أي هناك علاقة طردية موجبة ضعيفة بين المتغيرين

جدول رقم (06) يوضح علاقة الدخول للقسم التحضيري بالتحصيل الدراسي في المدرسة الابتدائية

المعدل / الدخول للقسم التحضيري	أقل من5		6-5		7-6		اكبر من7		المجموع
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	
نعم	9	7.56	18	15.13	32	26.89	60	50.42	100
لا	21	25	42	50	10	11.90	11	13.10	100
المجموع	30	14.78	60	29.56	42	20.69	71	34.97	100

من خلال معطيات الجدول نجده يتجه نحو فئة التلاميذ الذين تحصلوا على معدل اكبر من 7 بنسبة 35 % مقابل 29.56 % تحصلوا علي معدل من 6-5 و20.69%

وعند إدخالنا للمتغير المستقل المتمثل في الدخول للقسم التحضيري من عدمه من اجل معرفته في تحصيل التلاميذ تحصلنا علي النتائج التالية:

50.42 % من التلاميذ دخلوا للقسم التحضيري وتحصلوا علي معدل أكبر من7، مقابل و26.89 % من نفس الفئة تحصلوا علي معدل من 06-07.

50 % من التلاميذ لم يدخلوا للقسم التحضيري وتحصلوا على معدل من 5-6 و 25% منهم كان معدلهم أقل من 05.

من خلال هذه النتائج يتضح أن التلاميذ الذين مروا بالقسم التحضيري كانت نتائجهم أعلي من نتائج التلاميذ الذين لم يمروا به، ويعود هذا التفاوت إلي الدور الذي تقوم به الأقسام التحضيرية في إعداد الأطفال للمدرسة وتهيئتهم لها، كذلك يتعلم المبادئ الأساسية كالحساب والقراءة والاستقلالية وتحقيق الذات والتجاوب مع الأخيرين وكذا التجاوب مع المدرسة فيما بعد وبالتالي يحقق الاندماج داخل المدرسة، كما

تساعده على الفهم ومسايرة البرامج التعليمية بطريقة فعالة، فالأقسام التحضيرية تساعد علي تأهيل الطفل واكتسابه بعض القدرات اللغوية والحسابية وتعلمه الاعتماد عن النفس والارتباط بزملائه قصد التعود علي جو المدرسة فيما بعد.

على العكس منه فإن التلاميذ الذين لم يدخلوا للأقسام التحضيرية فإن الانتقال المفاجئ من البيت إلي المدرسة مباشرة يعتبر صدمة عند بعض التلاميذ لاكتشافه عالم جديد يتطلب نوعا وقتا للاندماج وهذا ما يؤثر في تحصيله الدراسي.

وبعد حسابنا لاختبار كا2 وجدنا الجدولية مقدرة بـ 7.815 و كا2 المحسوبة 55.532، عند درجة حرية 03 ومستوي الدلالة 0.05، وعليه توجد علاقة بين المتغيرين.

ومن أجل معرفة نوع العلاقة قمنا بحساب معامل التوافق الذي قدر بـ 0.23 أي هناك علاقة طردية موجبة ضعيفة بين المتغيرين.

جدول رقم (07) يوضح علاقة الدخول للقسم التحضيري باستيعاب الدروس في المدرسة:

يستوعب دروسه / الدخول للقسم التحضيري	نعم		لا		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	91	76.47	28	23.53	119	100
لا	24	28.57	60	71.43	84	100
المجموع	115	56.65	88	43.35	203	100

الاتجاه العام للجدول يتجه نحو فئة التلاميذ الذين يستوعبون دروسهم جيدا بنسبة 56.65 % مقابل 43.35 % منهم لا يستوعبون دروسهم جيدا، وعند إدخالنا لمتغير المستقل والمتمثل في الدخول للقسم التحضيري من أجل معرفة أثره في استعاب التلاميذ لدروسهم في المراحل الدراسية تحصنا على النتائج التالية:

76.47 % من التلاميذ دخلوا للقسم التحضيري ويستوعبون الدروس جيدا في المدرسة مقابل23.53 %من نفس الفئة لا يستوعبون دروسهم جيدا.

71.43 % من التلاميذ لم يدخلوا للقسم التحضيري ولا يستوعبون دروسهم جيدا في حين أن 28.57 لم يلتحقوا بها ويستوعبون دروسهم جيدا.

من هذه النتائج يظهر أن للقسم التحضيري علاقة باستيعاب الدروس في المراحل التعليمية الموالية حيث يقوم هذا الأخير بتهيئتهم وإعدادهم للمدرسة عكس التلاميذ الذين لم يدخلوا للقسم التحضيري فإن التحاقهم بالمدرسة مباشرة يحدث انتقال مفاجئ من جو الأسرة إلى المدرسة وبالتالي يؤثر في عملية اندماجه بسرعة ويتطلب وقت من اجل التأقلم مع الموقف الجديد وبالتالي يؤثر في عملية الاستيعاب.

إن الأطفال الذين التحقوا بالأقسام التحضيرية أصبحت لديهم خبرة في التعامل مع المواقف الجديدة نظرا لاحتكاكه بأفراد في مثل سنه واكتشاف بيئة أخري غير بيئته الأسرية.

وبعد حسابنا لاختبار كا2 وجدنا الجدولية مقدرة بـ 3.841 و كا2 المحسوبة 46.004، عند درجة حرية 01 ومستوي الدلالة 0.05، وعليه توجد علاقة بين المتغيرين.

ومن أجل معرفة نوع العلاقة قمنا بحساب معامل التوافق الذي قدر بـ 0.39 أي هناك علاقة طردية موجبة ضعيفة بين المتغيرين.

جدول رقم (08) يوضح علاقة الدخول للقسم التحضيري برضا الأولياء عن نتائج أبنائهم :

الرضا عن النتائج في المدرسة / الدخول للقسم التحضيري	راضي		غير راضي		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	84	70.59	35	29.41	119	100
لا	16	19.05	68	80.95	84	100
المجموع	100	49.26	103	50.74	203	100

من خلال معطيات الجدول نجد الاتجاه العام يتجه نحو فئة المبحوثين التي تري أنها غير راضية عن نتائج أبنائها في المدرسة بنسبة 50.74 %، مقابل 49.26% راضية عن نتائج ابناها في المدرسة. وعند إدخالنا للمتغير المستقل والمتمثل في دخول التلميذ للقسم التحضيري تحصلنا على النتائج التالية:

70.59 % ممن دخلوا للقسم التحضيري أولياؤهم راضون عن نتائج أبنائهم في المدرسة مقابل 29.41 % لم يدخلوا أبنائهم للقسم التحضيري وهم راضون عن نتائج أبنائهم.

80.95 % لم يدخلوا أبنائهم للقسم التحضيري وغير راضون عن نتائج أبنائهم مقابل 19.05% من نفس الفئة وراضون عن نتائج أبنائهم في المدرسة.

من خلال هذه النتائج يتضح أن لدخول الأطفال للأقسام التحضيرية يساهم في زيادة تحصيل التلاميذ في المراحل الدراسية الموالية خاصة في السنوات الأولى.

وبعد حسابنا لاختبار كا2 وجدنا الجدولية مقدرة بـ 3.841 و كا2 المحسوبة 52.334، عند درجة حرية 01 ومستوى الدلالة 0.05، وعليه توجد علاقة بين المتغيرين.

ومن أجل معرفة نوع العلاقة قمنا بحساب معامل التوافق الذي قدر بـ 0.44 أي هناك علاقة طردية موجبة متوسطة بين المتغيرين.

جدول رقم (09) يوضح علاقة الدخول للقسم التحضيري بالتكيف السريع مع النظام المدرسي

تكيف مع المدرسة / الدخول للقسم التحضيري	نعم		لا		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	84	70.59	35	29.41	119	100
لا	16	19.05	68	80.95	84	100
المجموع	100	49.26	103	50.74	203	100

من خلال بيانات الجدول نجده يتجه نحو فئة التلاميذ الذين لم يتكيفوا بسرعة بعد التحاقهم المدرسة بنسبة 50.74 % في حين أن 49.47 % من التلاميذ تكيفوا بسرعة بعد دخولهم المدرسية وعند إدخالنا للمتغير المستقل والمتمثل في الدخول للقسم التحضيري تحصلنا على النتائج التالية:

70.59 % من التلاميذ دخلوا للقسم التحضيري وتكيفوا بسرعة بعد دخولهم المدرسة مقابل 29.41 % من نفس الفئة لم يتكيفوا بسرعة بعد دخولهم للمدرسة.

80.95% لم يدخلوا للقسم التحضيري ولم يتكيفوا مع النظام المدرسي، مقابل 19.05 % لم يدخلوا للقسم التحضيري وتكيفوا بسرعة بعد دخولهم المدرسة.

وعليه ومن خلال هذه النتائج يتضح أن الدخول للقسم التحضيري دور في الاندماج السريع في المدرسة وبالتالي زيادة التحصيل الدراسي.

تعتبر الأقسام التحضيرية مؤسسات تربوية واجتماعية تسعى إلى تأهيل الطفل تأهيلاً سليماً للالتحاق بالمرحلة الابتدائية وذلك حتى لا يشعر الطفل بالانتقال المفاجئ من البيت إلى المدرسة، حيث تترك له الحرية التامة في ممارسة نشاطاته واكتشاف قدراته وميوله وإمكانياته وبذلك فهي تسعى إلى مساعدته في اكتساب مهارات وخبرات جديدة،.كما أنها تبث فيهم بعض القيم كروح التعاون والمشاركة الإيجابية، والاعتماد على النفس والثقة فيها، واكتساب الكثير من المهارات اللغوية والاجتماعية وتكوين الاتجاهات السليمة تجاه العملية التعليمية.

وعند إجرائنا لمعامل اختبار كا2 وجدنا كا2الجدولية تقدر بـ 3.841 و كا2 المحسوبة تقدر بـ 52.334 عند درجة حرية 01 ومستوى الدلالة 0.05 وعليه توجد علاقة بين المتغيرين.

ومن اجل معرفة نوع العلاقة قمنا بحساب معامل التوافق الذي قدر بـ 0.44 وعليه توجد علاقة طردية موجبة متوسطة بين المتغيرين.

جدول رقم (10) يوضح رأي المبحوثين في دور الأقسام التحضيرية في زيادة التحصيل الدراسي :

تساهم في زيادة التحصيل الدراسي	التكرار	النسبة المئوية %
نعم	162	79.80
لا	52	19.20
المجموع	203	100

من خلال الجدول يتضح أن اغلب المبحوثين أجابوا بأن للأقسام التحضيرية دور في زيادة التحصيل الدراسي في

المراحل المدرسية وخاصة في السنوات الأولي حيث أن نسبة 79.80% قالو نعم بينما 19.20 % قالو لا.

جدول رقم (11) يوضح رأي المبحوثين في إلتحاق التلاميذ بالقسم التحضيري:

الإلتحاق بالقسم التحضيري	التكرار	النسبة المئوية %
ضروري	167	82.27
غير ضروري	36	17.27
المجموع	203	100

من خلال الجدول فإن اغلب المبحوثين أجابوا بأن الأقسام التحضيرية أصبحت ضرورية وذلك بنسبة 82.27 % بينما 17.27 % من المبحوثين أجابوا بان التحاقهم لا يعد ضرورة.

إن الأقسام التحضيرية أصبحت في العصر الحديث ضرورة من ضرورات نمو الطفل، فهي مصدر للعلم لكنها قبل ذلك وبعده مصدر لتعلم المهارات الاجتماعية المهمة للطفل التي تزودهم بكثير من المهارات الحياتية اللازمة.

ففيها يتعلم كيف يعبّر عن نفسه، وكيف يطمئن بعيداً عن المنزل، وكيف ينصاع للنظام الذي يفرضه الكبار.

جدول رقم (12) يبين علاقة الدخول للقسم التحضيري بالمشاركة في ممارسة الألعاب الجماعية:

المشاركة في ممارسة الألعاب / الدخول للقسم التحضيري	يشارك		لا يشارك		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	84	70.59	35	29.41	119	100
لا	40	47.62	44	52.38	84	100
المجموع	124	61.08	79	38.92	203	100

من خلال معطيات الجدول نجد أن الاتجاه العام للجدول يتجه نحو فئة التلاميذ الذين يشاركون في ممارسة الألعاب الجماعية حيث سجلنا نسبة 61.08 %، في حين أن نسبة 38.92 % لا يشاركون في ممارسة الألعاب الجماعية.

وعند إدخالنا للمتغير المستقل والمتمثل في الدخول للقسم التحضيري من أجل معرفة أثره في تنمية روح المشاركة ولاندماج داخل المجموعة تحصلنا على النتائج التالية:

70.59 % ممن دخلوا القسم التحضيري يشاركون في ممارسة الألعاب الجماعية، بينما 29.41 دخلوا للقسم التحضيري ولا يشاركون في ممارسة الألعاب الجماعية.

59.38 % لم يدخلوا للقسم التحضيري ولا يشاركون في ممارسة الألعاب الجماعية م، مقابل 47.62 ممارسة لم يدخلوا للقسم التحضيري ويشاركون في ممارسة الألعاب الجماعية.

من خلال هذه النتائج يظهر أن للقسم التحضيري دور في تنمية روح المشاركة في الجماعة وهذا من خلال الاحتكاك بأطفال في نفس سنه، إن اللعب من أهم العوامل في تكوين شخصية الطفل خاصة أن المناهج الحديثة تنص على ضرورة تعليم الأطفال الصغار وهم يلعبون.

حيث يشكل اللعب أداة تعبير وتواصل بين الأطفال، ويعزز انتمائه للجماعة.

وبعد حسابنا لاختبار كا2 وجدنا الجدولية مقدرة بـ 3.841 و كا2 المحسوبة 10.929، عند درجة حرية 01 ومستوي الدلالة 0.05، وعليه توجد علاقة بين المتغيرين.

ومن أجل معرفة نوع العلاقة قمنا بحساب معامل التوافق الذي قدر بـ 0.21 أي هناك علاقة طردية موجبة ضعيفة بين المتغيرين.

جدول رقم (13): يبن علاقة الدخول للقسم التحضيري باهتمام التلميذ بنظافته ونظافة محيطه:

الاهتمام بالنظافة / الدخول للقسم التحضيري	يهتم		لا يهتم		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	94	78.99	25	21.01	119	100
لا	55	65.48	29	34.52	84	100
المجموع	149	73.40	54	26.60	203	100

من خلال الاتجاه العام للجدول نجده يتجه نحو فئة التلاميذ الذين يهتمون بنظافتهم ونظافة محيطهم بنسبة 73.40 % مقابل 26.60 % لا يهتمون بنظافتهم ونظافة محيطهم وعند إدخالنا للمتغير المستقل والمتمثل في الدخول للقسم التحضيري تحصلنا على النتائج التالية:

78.99 % من التلاميذ دخلوا للقسم التحضيري ويهتمون بنظافتهم ونظافة المحيط الذي يعيشون فيه، مقابل 21.01 % دخلوا للقسم التحضيري ولا يهتمون بنظافة المحيط ونظافتهم.

65.48% من التلاميذ لم يدخلوا للقسم التحضيري ويهتمون بنظافتهم ونظافة المحيط، مقابل 34.52% من نفس الفئة لا يهتمون بنظافتهم ونظافة محيطهم.

وعليه فإن نسبة التلاميذ الذين يهتمون بالنظافة ودخلوا للقسم التحضيري مرتفعة عن غيرهم من التلاميذ الذين لم يدرسوا بالأقسام التحضيرية ويرجع السبب إلي كون الأخيرة تحرص على تعليم الأطفال النظافة الجسمية ونظافة الملبس ونظافة الوسط الذي يعيشون فيه، حيث تغرس هذه العادة في شخصية الطفل وهو في سن صغير ويصبح متعودا عليا، أما الأطفال الذين لم يلتحقوا بالأقسام التحضيرية وإن صاحبه إهمال أسرى يصبح الطفل غير مهتم بهذه العادة الصحية.

وعند إجرائنا لاختبار كا2 وجدنا الجدولية تقدر بـ 3.841 و كا2 المحسوبة 4.607 عند درجة حرية 01 ومستوي الدلالة 0.05 وعليه توجد علاقة بين المتغيرين.

ومن أجل معرفة نوع العلاقة قمنا بحساب معامل التوافق الذي قدر بـ 0.17 وعليه توجد علاقة طردية موجبة ضعيفة جدا بين المتغيرين.

جدول رقم (14) يبن علاقة الدخول للقسم التحضيري بحب الذهاب للمدرسة:

حب الذهاب للمدرسة / الدخول للقسم التحضيري	يحب الذهاب للمدرسة		لا يحب الذهاب للمدرسة		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	98	82.35	21	17.65	119	100
لا	56	66.77	28	33.38	84	100
المجموع	154	75.86	49	24.14	203	100

من خلال معطيات الجدول نجد الاتجاه العام للجدول يتجه نحو فئة التلاميذ الذين يحبون الذهاب للمدرسة

بنسبة 75.86% مقابل 21.14% منهم لا يحبون الذهاب للمدرسة، وعند إدخالنا للمتغير المستقل والمتمثل في الدخول للقسم التحضيري من عدمه تحصلنا على النتائج التالية:

82.35% من التلاميذ دخلوا للقسم التحضيري يحبون الذهاب للمدرسة مقابل 17.65% دخلوا للقسم التحضيري ولا يحبون الذهاب إلى المدرسة.

66.77% من التلاميذ لم يدخلوا للقسم التحضيري ويحبون الذهاب للمدرسة مقابل 33.33% من نفس الفئة لا يحبون الذهاب للمدرسة.

وعند إجرائنا لاختبار كا2 وجدنا الجدولية تقدر ب 3.841 و كا2 المحسوبة تقدر بـ 6.617 عند درجة حرية رقم 01 ومستوي الدلالة 0.05.

ومن أجل معرفة نوع العلاقة قمنا بحساب معامل التوافق الذي قدر بـ 0.17 وعليه توجد علاقة طردية موجبة ضعيفة جدا بين المتغيرين.

جدول رقم (15) مقارنة صفات التلاميذ الذين دخلوا للقسم التحضيري بمن لم يدخلوا :

الصفات	دخل للقسم التحضيري		لم يدخل للقسم التحضيري	
	ك	%	ك	%
مطيع	10	08.40	34	40.48
يحترم الآخرين	06	05.04	18	21.43
منظم في كلامه	07	05.89	-	-
الذكاء في التعامل بالأشياء	19	15.97	01	01.19
كل الصفات	61	51.26	08	09.52
مطيع يحترم الآخرين منظم في كلامه	12	10.08	09	10.71
مطيع يحترم الآخرين	04	03.36	14	16.67
المجموع	119	100	84	100

عند إجراء مقارنة بين صفات التلاميذ الذين دخلوا للقسم التحضيري والتلاميذ الذي لم يدخلوا للقسم التحضيري نجد أن:

51.26 % من التلاميذ الذين دخلوا للقسم التحضيري تتوفر فيهم جميع الصفات في حين أن 09.52 % من التلاميذ الذين لم يدخلوا للقسم التحضيري تتوفر فيهم كل الصفات.

وعليه فإن القسم التحضيري قد ساهم في غرس هذه الصفات في شخصية التلاميذ.

جدول رقم (16) يبن أثر نوع القسم التحضيري في المواظبة على حل التمارين والواجبات المنزلية :

المواظبة على حل التمارين والواجبات المنزلية / نوع القسم التحضيري	يواظب		لا يواظب		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
تابع للدولة	41	89.13	05	10.83	46	100
تابعة للقطاع الخاص	49	67.12	24	32.88	73	100
المجموع	90	75.63	29	24.37	119	100

من خلال معطيات الجدول نجد الاتجاه العام للجدول يتجه نحو فئة التلاميذ الذين يواظبون على حل التمارين والواجبات المنزلية بسبة 75.63%، مقابل 24.37% لا يواظبون على حل التمارين والواجبات المنزلية وعند إدخالنا للمتغير المستقل والمتمثل في نوع القسم التحضيري تحصلنا على النتائج التالية:

89.13% من التلاميذ دخلوا إلى أقسام تحضيرية تابعة للدولة ويواظبون على حل التمارين والواجبات المنزلية مقابل 10.83% دخلوا نفس الأقسام ولا يواظبون على حل التمارين والواجبات المنزلية.

67.12% من التلاميذ دخلوا إلى أقسام تحضيرية تابعة للقطاع الخاص ويواظبون على حل التمارين والواجبات المنزلية، مقابل 32.88% من نفس الفئة لا يواظبون على حل التمارين والواجبات المنزلية.

ومن هذه النتائج فإن التلاميذ الذين دخلوا إلى الأقسام التحضيرية التابعة للدولة أفضل من حيث المداومة على حل التمارين والواجبات المنزلية من التلاميذ الذين دخلوا إلى أقسام تحضيرية تابعة للقطاع الخاص.

ومن أجل معرفة إن كانت هناك علاقة بين القسم التحضيري والمواظبة على حل لتمارين والواجبات المنزلية قمنا بحساب اختبار كا2 وجدنا الجدولية تقدر ب 3.841 و كا2 المحسوبة تقدر بـ 6.6177.415 عند درجة حرية رقم 01 ومستوي الدلالة 0.05 وعليه توجد علاقة بين المتغيرين.

ومن أجل معرفة نوع العلاقة قمنا بحساب معامل التوافق الذي قدر بـ 0.23 ومنه توجد علاقة طردية موجبة ضعيفة بين المتغيرين.

جدول رقم (17) يبن أثر نوع القسم التحضيري في طريقة مراجعة الدروس:

مراجعة الدروس / نوع القسم التحضيري	بمحض إرادته		بأمر من رب الأسرة		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
تابع للدولة	30	65.21	16	34.79	46	100
تابعة للقطاع الخاص	31	42.46	42	57.54	73	100
المجموع	61	51.26	58	48.74	119	100

من خلال معطيات الجدول نجد الاتجاه العام للجدول يتجه نحو فئة التلاميذ الذين يواظبون على مراجعة الدروس بسبة 51.26%، مقابل 48.74% يراجعون دروسهم بأمر من رب الأسرة وعند إدخالنا للمتغير المستقل والمتمثل في نوع القسم التحضيري تحصلنا على النتائج التالية:

65.21% من التلاميذ دخلوا إلى أقسام تحضيرية تابعة للدولة ويراجعون دروسهم بمحض إرادتهم، مقابل 34.79 % دخلوا نفس الأقسام التحضيرية ولا يراجعون دروسهم بأمر من رب الأسرة.

57.54% من التلاميذ دخلوا إلى أقسام تحضيرية تابعة للقطاع الخاص يراجعون دروسهم بأمر من رب الأسرة، مقابل 42.46% من نفس الفئة ويراجعون دروسهم بمحض إرادتهم.

فمن خلال الجدول السابق والمتمثل في المواظبة على حل التمارين والجدول الحالي المتمثل في طريقة المراجعة يظهر جليا أن الأقسام التحضيرية التابعة للقطاع العام

تقدم خدمات أفضل من الأقسام التابعة للقطاع الخاص.

وعند إجرائنا لاختبار كا2 وجدنا الجدولية تقدر ب 3.841 و كا2 المحسوبة تقدر بـ 5.846 عند درجة حرية رقم 01 ومستوي الدلالة 0.05، ومن أجل معرفة نوع العلاقة قمنا بحساب معامل التوافق الذي قدر بـ 0.21 وعليه توجد علاقة طردية موجبة ضعيفة بين المتغيرين.

استنتاج الفرضية:

أتضح لنا من خلال معالجتنا لجداول الفرضية أن الأقسام التحضيرية تساهم في زيادة التحصيل الدراسي في المرحل الابتدائية.

- فمن خلال الدخول للقسم التحضيري من عدمه وعلاقته بالتغير في السلوك بعد الدخول للمدرسة ونوع هذا التغير، كان سلوك التلاميذ الذين التحقوا بالأقسام التحضيرية ايجابي بعد الدخول للمدرسة. أما فيما يخص علاقة الدخول للقسم التحضيري وعلاقته بالمواظبة على حل التمارين والواجبات ومراجعة الدروس فإننا نجد الذين مروا بالقسم التحضيري يواظبون علي حل التمارين والواجبات ويراجعون دروسهم على العكس بالنسبة للذين لم يمروا بالأقسام التحضيرية.
- وفيما يخص علاقة الدخول بالقسم التحضيري وعلاقته بالتحصيل الدراسي في المدرسة الابتدائية فقد وجدنا التلاميذ الذين مروا بالأقسام التحضيرية، كانت نتائجهم أفضل وحققوا نتائج جيدة على العكس بالنسبة للذين لم يمروا بالأقسام التحضيرية.
- أما علاقة الدخول للقسم التحضيري بإستعاب التلاميذ للدروس في المدرسة فقد وجدنا الذين التحقوا بالأقسام التحضيرية كانت درجة الاستيعاب أكبر.
- وفيما يخص علاقة الدخول للقسم التحضيري بالتكيف السريع مع النظام المدرسي فقد وجدنا التلاميذ الذين مروا بالأقسام التحضيرية كان اندماجهم في المدرسة سريع.
- أما فيما يخص علاقة الدخول للقسم التحضيري وعلاقته بطريقة مراجعتهم لدروسهم فقد وجدنا الذين مروا بالأقسام التحضيرية يراجعون دروسهم بمحض إرادتهم.

خلاصة:

إن للأقسام التحضيرية أهمية كبرى إذ أنها تتميز بالتعامل والاهتمام والرعاية بالطفل في مرحلة مهمة من حياته، وهي تتميز عن جميع المراحل العمرية للإنسان لأن الطفل في هذا السن لديه القابلية للتعلم واكتساب المهارات، والأقسام التحضيرية النموذجية بفضل البرامج المتميزة والكوادر المتخصصة تساهم في توظيف .مواهب الطفل وتربيته وتعليمه بما يفيده في نشأته

وهذه المرحلة هي مرحلة تسلية ولعب للطفل لهذا ينبغي أن تركز رياض الأقسام التحضيرية على تنمية جميع المهارات والقدرات وإكساب الطفل المعلومات والمعارف عن طريق استخدام الألعاب فمن خلال اللعب يكتسب الطفل القيم والمعايير الاجتماعية، من خلال الألعاب الهادفة، والمسلية يتعرف ويتعلم الطفل على الأخلاقيات والمهارات، وكذلك على المعارف والعلوم، والقسم التحضيري يشعر الطفل بالاستقرار النفسي والهدوء والأمان وانفراده في مملكته التي تكون قريبة من بيئته التي خرج منها مما يشعره بالاعتزاز بالنفس فيحب .تلقي المعلومات

لقد أتضح إن الأقسام التحضيرية يقع على عاتقها دورا كبيرا في المجتمع وهي المؤسسة التربوية الأولي التي يلتحق بها الطفل قبل الالتحاق بالمدرسة فهي مرحلة انتقالية مهمة للغاية في حياة كل طفل وكل أسرة على حد سواء، فهي أول خطوة كبيرة في رحلة انتقال الصغير من مرحلة المهد إلى مرحلة الطفولة .

قائمة المراجع:

1- المجلس الأعلى للتربية: تنظيم التربية والتكوين في الجزائر ،الأمر رقم 76/35 المؤرخ في 16أفريل 1976، الجزائر 1978،ص 19.

2- المجلس الأعلى للتربية : المبادئ العامة للسياسة التربوية الجديدة وإصلاح التعليم الأساسي ،الجزائر، 1998، ص 45.

3- المجلس الأعلى للتربية: تنظيم التربية والتكوين في الجزائر، مرجع سابق ، ص 52.

4- رشاد صلاح الدمنهوري: التنشئة الاجتماعية والتأخر لدراسي، دراسة في علم النفس الاجتماعي، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية، مصر،1995 ، ص85.

المجلة الجزائرية للعلوم – سلسلة ب
آداب وعلوم الإنسانية
ISSN : 2661-7064
http://univ-eltarf.dz/fr/

ترشيد الإنفاق بقطاع التربية نحو تنمية مستدامة.

الدكتورة. بوعالية شهرة زاد / الدكتورة. علوي نجاة
جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف- / جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

ملخص:

مما لاشك فيه أنه اليوم ، قد أصبح الاقتصاد بحاجة أكثر لترشيد الإنفاق العام، وذلك يكون حتمية لأخذ الاحتياطات من بعض الممارسات، كتبذير أموال الدولة ، كالوقوع في المديونية وإهدار المال العام في مشاريع لا تعود بالكفاءة والإنتاجية المتوقع.

ولعل أن قطاع التربية والتعليم نجده من بين القطاعات الأكثر ارتباطا بالتنمية الاقتصادية والذي تصرف فيه أموال طائلة عبر أقسامه المتعددة ، فإن لم ترشد هذه الأموال في إطارها الحقيقي سوف يعرض الاقتصاد إلى الخسارة والإسراف خاصة وأن رأس المال البشري من أصعب العوامل التي تكون غير ثابتة بحكم الفرد ومتغيراته .

لذلك سوف نحاول عرضنا بعض العناصر التي نراها مهمة في ترشيد الإنفاق بالتربية من اجل تحقيق الكفاية الإنتاجية ومنه تحقيق تنمية مستدامة .

الكلمات المفتاحية: ترشيد الإنفاق، التربية، التنمية المستدامة.

Abstrait: Il ne fait aucun doute que l'économie a aujourd'hui un besoin accru de rationaliser les dépenses publiques et il est impératif de prendre des précautions contre certaines pratiques, comme les fonds publics, comme l'endettement et le gaspillage d'argent.

Des fonds publics pour des projets inefficaces et improductifs. Parmi les secteurs les plus liés au développement économique, dans lesquels d'importantes sommes d'argent ont été dépensées dans ses différentes divisions, s'ils ne sont pas guidés par ces fonds dans son cadre réel, l'économie sera menacée de perte et de gaspillage, notamment parce que le capital humain est l'un des facteurs les plus difficiles qui n'est pas déterminé par la personne et ses variables.

Nous essaierons de présenter certains des éléments que nous considérons importants pour rationaliser les dépenses d'éducation afin d'atteindre l'efficacité productive et le développement durable.

Mots-clés: rationalisation des dépenses, éducation, le développement durable.

مقدمة:

قد أصبح التطور بعصرنا الحالي يفرض على الدول النامية ضرورة الالتحاق بمصاف الدول المتقدمة،ومن بين الآليات المعتمدة بهذه الأخيرة، أنها بادرت مبكرا للاهتمام بعائد التربية على التنمية المستدامة، معتمدة بذلك على إستراتيجية الترشيد نحو الجودة والفعالية.

والجدير بالذكر أنه ارتبط قديما عائد التعليم بالتطور الصناعي والزراعي والتجاري منذ الثورة الفرنسية عندما وافقت الرأسمالية على تعليم أبناء الفقراء والبسيطة حرفة أو صناعة أو تدريب على وسيلة من وسائل الإنتاج، وإذا كانت التنمية الاقتصادية والاجتماعية تقوم على أساس على زيادة الإنتاج وعدالة التوزيع وحسن الاستهلاك، فإن ذلك كله يستلزم التربية في نشر الوعي الإنتاجي وتأصيله لدى الأفراد.(غربي صباح،2008، ص ص1-31).

كما أن الملاحظ أيضا أن التنمية بالبلدان المتقدمة تقاس بنسبة التعليم والتربية، حيث يؤثر الفرد المتعلم على الاقتصاد من حيث الكفاية الإنتاجية والجودة في آن واحد، فكلما كان إيمان الفرد ووعيه بضرورة تحقيق وفرة الإنتاج مع عدالة التوزيع لهذه الثروة من اجل هدف واحد ألا وهو تحقيق التنمية المستدامة بالوطن وتوسيع نطاق الصادرات والتقليل من الواردات وحماية البلد من الوقوع بأزمات المديونية ومساوئها المتعددة سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا ...الخ.

1/ أهمية الدراسة : تبرز أهمية الدراسة فيما يلي :

- أنها تتناول مفهوما للترشيد بالإنفاق العام.
- أهداف الترشيد بالإنفاق العام .
- عناصر الترشيد بالإنفاق العام.
- مفهوم الاستثمار بالتربية.
- العائد المنتظر من الاستثمار في التربية.
- مفهوم الكفاية والفعالية كمعيارين لترشيد الإنفاق.
- توضيح إلى الفرق بين الترشيد بالإنفاق العام والترشيد بالإنفاق بمجال التربية.

2/ أسئلة الدراسة : بعد هذه المقدمة وهذا العرض الموجز لأبجديات الدراسة سوف تتم الإجابة بمداخلتنا هذه على ما يلي :

- ما مفهوم الإنفاق وما مفهوم الترشيد ؟
- ماذا نعني بترشيد الإنفاق العام؟
- ماذا نعني بترشيد الإنفاق بالتربية؟
- ماذا نعني بالكفاءة والفعالية وعلاقتهما بترشيد الإنفاق؟

3/ تعريف النفقة :

3-1/الدلالة اللغوية : هي انقطاع الشيء أو ذهابه.

3-2/ الدلالة الاصطلاحية : هي مبلغ من المال يخرج من الدولة (إداراتها هيئاتها) لتلبية الحاجات العامة للمجتمع. (سوزي عدلي ناشد، 2000، ص 27).

4/ تعريف الترشيد :

4-1 /الدلالة اللغوية : هو الهداية والاعتدال إلى طريق الصواب والاعتدال.

4-2 /الدلالة ألاصطلاحية : هو التزام السلوك الاقتصادي بنتائج حساسة ودقيقة بمعنى تحقيق الأهداف المحددة بأقل تكلفة ممكنة سواء تعلق بسلوك الأفراد أو الهيئات.

5/ مفهوم ترشيد الإنفاق العام: تعددت وتنوعت المفاهيم ، لذا سنوجزها في ما يلي :

- هو حسن التصرف في الأموال وإنفاقها بعقلانية وحكمة على أساس رشيد دون إسراف أو تبذير.
- هو الإدارة الجيدة الإنفاق (زيادة الضبط والرقابة) .(علي كنعان ، ص188).
- هو زيادة الكفاية الإنتاجية ومحاولة الاستفادة القصوى من في الموارد الاقتصادية والبشرية المتوفرة.

وقد أشارت الباحثة **(تريز الهاشم)** في ورشة عمل حول الأهداف الإنمائية للألفية **بيروت** يوم **22 حزيران**

2004 بقصر اللأونسكو أجراها حول أن عمليات تخفيض الإنفاق وعصره لا تعني ترشيد الإنفاق، وإنما تعتبر نتيجة للترشيد. فهي عملية آنية ووضعية بينما الترشيد يقوم على إرساء نظام دائم ومستمر ومرن للإنفاق ويعتمد على القواعد الأساسية التالية:

- ✓ الاستعمال الكامل لكل الموارد المتاحة المالية والمادية والبشرية والخبرات والتكنولوجيا ...الخ
- ✓ الاستعمال الفعّال للموارد الذي يعني تحقيق الأهداف، وهنا يكمن التحدي الأصعب.
- ✓ الاستعمال المقتصد للموارد، أي تحقيق الأهداف بأقل كلفة ممكنة وبالوقت المحدد.
- ✓ الاستعمال المندمج للموارد بحيث تستعمل مخارج برامج كمداخل لبرامج أخرى، فيتحقق الاندماج والانصهار في كل أجزاء الخطة، بالإضافة إلى تحقيق الوفر وتخفيض الإتلاف وبهذه الطريقة يجري تجنب الازدواجية والتضارب بين البرامج والمؤسسات وتتحقق المنفعة القصوى.
- ✓ تحديد أولويات الإنفاق وتدرجها الوظيفي والزمني.
- ✓ القدرة على الفصل والتمييز بين الكلفة والنفقة: ويعتبر أمر أساسي في برمجة موازنة الخطة.

كما أكدت د. الهاشم أن نظام ترشيد الإنفاق هو نظام متكامل ومندمج ويمكن تطبيقه على كل المجالات وبرامج خطة التعليم للجميع أي الدراسات والبناء والتجهيزات والتأهيل والتدريب والتشريع والتنظيم والتقييم. كما يجب الإشارة إلى ضرورة دعم الخطة بقرار سياسي مترجم بقوانين ومراسيم وقرارات ترافق كل مراحل الخطة لضمان نجاح تنفيذ الخطة.

وأشارت د. الهاشم إلى أنه لإجراء التقييم المستقبلي لإنجازات الخطة، لا يجوز حصره بمقابلة الإتلاف بالمردود المادي والمالي وبعدد المنتسبين والخريجين، وبكمية الأبنية والتجهيزات، وإنما المردود الأساسي هو المردود التنموي وانعكاساته الأفقية والعمودية على كل المجالات الاقتصادية والاجتماعية في لبنان ولكل الأجيال اللاحقة (ورشة عمل حول الأهداف الإنمائية للألفية،2014، ص 12-13).

6/ أهدافه : تعددت وتنوعت المفاهيم ، لذا سنوجزها في ما يلي:

- رفع الكفاية الإنتاجية.
- محاربة الإسراف والفساد والتبذير.
- تجنب مخاطر المديونية (مخاطر التبعية).
- تعزيز القدرات الوطنية في الاكتفاء الذاتي النسبي /الطويل الأمد.
- التقليص من الإيرادات المتاحة والإنفاق المطلوب.

7/ عناصره:

7- 1/ التحديد الدقيق لحجم الإنفاق العام الأمثل:

ويكون ذلك بتضييق المجال بين السقف الأعلى والحد الأدنى للإنفاق (عن طريق قرار سياسي).

7- 2 / توجيه النفقات العامة نحو النفع العام:

ويقصد بذلك بعدم تحقيق النفقات العامة لتحقيق المصالح الخاصة لبعض الأفراد أو الأفراد الذين يتمتعون بنفوذ خاص. (علي كنعان، ص188).

7- 3 / إتباع مبدأ الأولوية:

ويتم ذلك من خلال الكلفة والعائد الصرف.

7- 4 / ضمان الجودة و المردودية المرتفعة:

حيث يشترط أن يتم ضمان الجودة و المردودية المرتفعة للخدمات ككل وللسلع خاصة . 7-

5 / التحديد الدقيق لوقت وتقدير النفقة:

بحيث يعتبر هنا الإنفاق في غير وقته هو تبذير للمال العام.

7- 6 / توفير المعلومات المالية:

ويقصد بذلك التنبؤ بحركة الإنفاق والإيرادات وعدم قدرة الجهات على الصرف. (علي كنعان،ص188).

6/ مفهوم ترشيد الإنفاق بالتعليم (التربية):

عرفه **(وودهول)** : بأنه قيمة الموارد الكلية للتعليم بالنسبة للنظام الاقتصادي وهي تتضمن قيمة وقت المعلمين والموارد والسلع وقيمة استهلاك المباني والتجهيزات المدرسية وقيمة وقت المدرسين.

كما أوصت **(اليونسكو و المؤتمرات الدولية)**"بمعدلات عالمية تراعيها الدول وتسترشد بها وهي :

- ✓ أن تكون ميزانية التعليم في حدود تتراوح ما بين**(14%)** و**(17%)** من الميزانية العامة للدولة.

أن تكون ميزانية التعليم ومابين **(4%)** و**(5%)** من الدخل القومي.

وعلى إثر ذلك كان لابد على كل الدول السائرة في إطار النمو العمل على ترشيد الإنفاق بالتعليم بواسطة الرقابة وحسن التدبير وفق الأولويات التي تتطلب تكلفة بإحدى الأقسام والحرص على أموال الدولة في مختلف الأقسام التي تصرف بها ميزانية التعليم ، وهذا ما يتطلب توزيعا عادلا في مختلف الأقسام.

7- الأقسام التي تصرف بها ميزانية التعليم:

حسب **فهمي (1928)**، فإن ميزانية التعليم تصرف في الأقسام التالية:

7-1/ القسم الأول: مخصص للأجور ويضم الأجور النقدية والبدلات.

7-2/ القسم الثاني: مخصص للنفقات الجارية والتمويلات ويتضمن:

7-2-1/ مستلزمات سلعية وتشتمل على أدوات مكتبية وكتب ومياه وإنارة وكهرباء وغاز خامات، قطع غيار، مواد تعبئة – تغليف .... الخ.

7-2-2/ مستلزمات خدمية وتشتمل على:

- ✓ نفقات صيانة .
- ✓ خدمات بحوث وتجارب.
- ✓ إعلان ودعاية واستقبال نفقات طباعة.
- ✓ مواصلات وتأجير معدات.
- ✓ تكاليف برامج تدريبية ونفقات وخدمات.
- ✓ نقل وانتقالات عامة .(عزيزة عبد الله عبد القادر شرير،2005 ، ص35).

7-2-3/ تحويلات جارية وتشمل ضرائب رسوم سلعية وإيجارات وإعانات.

7-3/ القسم الثالث: الاستخدامات الاستثمارية كالمباني والتجهيزات.

7-4/ القسم الرابع : التحويلات الرأسمالية و تشمل القروض والأقساط وهنا يشير **(فهمي)**، أن نسبة الإنفاق على الكتب الدراسية والمواد التعليمية في حدود**(10%)** من مجموع النفقات الجارية. (عزيزة عبد الله عبد القادر شرير،2005 ، ص35).

8/ آليات ترشيد الإنفاق العام:

"هذه الآليات مستقاة أساسا من ميثاق الممارسات السليمة في مجال شفافية المالية العامة لسنة **(2228)** والذي تمّت حديثة سنة **(2001)** ضمن مساهمات **صندوق النقد الدّولي في مبادرة المعاييروالمواثيق** وهي مجموعة من المبادئ التوجيهية في مجال الحوكمة تهدف إلى دعم الجهود الرّامية إلى إدخال تحسينات على النظام المالي العالمي، ويستند الميثاق إلى المبادئ الأربعة التالية:

1-8 / وضوح الأدواروالمسؤوليات:

يجب التمييز بين أنشطة القطاع الحكومي وباقي القطاع العام،وبين قطاعات الاقتصاد الخاصة، مع ضرورة توخي العلانية في إدارة علاقات الحكومة مع

القطاع الخاص وفق الإجراءات وقواعد واضحة، كما ينبغي أن تكون أدوارا لسياسات والإدارة داخل القطاع العام واضحة ومعلنة للجمهور، بمعنى وجوب أن تكون اختصاصات السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية في الحكومة في مجال المالية العامة محددة بوضوح.

2-8 / علانية عمليات الموازنة:

ينبغي أن تتقيد عملية إعداد الموازنة بجدول زمني ثابت، وأن تسترشد بالأهداف المحددة في مجال الاقتصاد الكلي وسياسة المالية العامة .

ومن جهة أخرى ينبغي توفير إجراءات واضحة لتنفيذ الموازنة ومتابعتها والإبلاغ بنتائجها.

3-8 / إتاحة المعلومات للاطلاع العام:

نبغي تزويد الجمهور بمعلومات شاملة عن الأنشطة المالية السابقة والحالية والمستقبلية وعن أهم المخاطر فيما يتطلب المالية العامة، كما يجب توفير معلومات عن المالية العامة للهيئات المختصة في الوقت المناسب وبشكل يتيسر معه تحليل السياسات ويعزز المساءلة".

8 - 4 / ضمانات موضوعية:

بحيث يجب أن تستوفي البيانات المعلنة المرتبطة بالمالية العامة معايير جودة البيانات المتعارف عليها، كما ينبغي إخضاع أنشطة المالية العامة للرقابة الدّاخلية الفعالة وأن تتوفر لها الضمانات الوقائية، إضافة إلى الرقابة الخارجية (بلعاطل،عياش،نوى، سميحة:2013).

9- الاستثمار بالتربية:

حيث قدم بهذا (**هيجنز،Higgins**):التربية على أنها أحد عوامل الإنتاج فهي بمثابة مدخلات ومخرجات للإنتاج الشامل وأن قيمة التنمية تبدو في أنها غاية في حد ذاتها لأنها تعمل على زيادة مخرجات السلع والخدمات القائمة أنها بمثابة جزء من الدخل القومي.

ومن جهة أخرى فقد اعتبر التربية **(الفريد مارشال)** بأن التعليم ميدان استثماري ضخم يمثل أفضل أنواع الاستثمارات على الإطلاق ، وإن له عائد يفوق كثيرا عائد العمليات الاقتصادية على المدى الطويل. (غربي صباح،2008، ص ص 1-31).

10- العائد من التربية: يكون العائد من التربية على النحو التالي:

10- 1/ العائد الاقتصادي:

ويكون هذا العائد قصد مواكبة النمو الاقتصادي بقوى بشرية مدربة تدريبا عصريا.

10- 2/ العائد الاستهلاكي:

ويكون هذا العائد استهلاك خبرات ومتغيرات.

10- 3/ العائد الاستثماري:

ويكون هذا التدريس يزيد من إنتاجية الفرد ويزيد من فرصه في الحصول على أجور عالية مع مشاركته في الإنتاج الجمعي.

10- 4/ العائد على الفرد:

ويكون تهدف إلى نمو التلاميذ في حاضرهم ومستقبلهم . (غربي صباح،2008، ص ص 1-31).

11- ترشيد الإنفاق بالتربية وأثاره الإيجابية: يمكن حصر إيجابيات ترشيد الإنفاق بالمنظومة التربوية حسب ما نراه مهما للطرح فيما يلي:

11-1/ تكريس التعليم للجميع بنفس الفرص : حيث عندما يكون الإنفاق في بناء المباني المدرسية ومدها بالتجهيزات الآزمة قائما على مبدأ الإنصاف والترشيد فإنه يتحقق بذلك مكسب ضمان تكريس التعليم للجميع بنفس الفرص .

وفي هذا الصدد فإن خطاب الوزير الأول بالحكومة الجزائرية أمام المجلس الشعبي الوطني قد جاء ثريا ومنوها لأهمية تكريس التعليم للجميع وفقد جاءت فقرات الخطاب في هذا الصدد بالمحور الرابع الخاص بالتنمية البشرية :

كما يلي :

السيد الرئيس؛

السيدات والسادة النواب؛

يجب أن تكون منظومتنا التربوية أولوية قصوى، ودور جامعتنا فعال مجتمعيا وعلميا. إن المعارف العلمية تتضاعف بنسق سريع يوجب علينا إعادة النظر في طريق و مناهج التعليم.

ستعمل الحكومة على تكريس التعليم للجميع في إطار منظومة قائمة على الإنصاف والنوعية والقيم التربوية والأخلاقية. حيث سيتم إضفاء الانسجام على البرامج البيداغوجية و تحيين مناهج التعليم وتعزيز الأنشطة الثقافية والرياضية واليقظة، لاسيما في الطور الابتدائي، وذلك من خلال ضمان موارد تعليمية عصرية وكتب مدرسية إلكترونية من شأنها تخفيف عبئ المحافظ لدى التلاميذ، وترقية شعب الرياضيات والتقنيات الرياضية والعلمية، وكذا تلقين المعلوماتية ابتداءا من الطور الأول.

إنّ الاهتمام الأول للحكومة في ميدان التعليم العالي يتمثل في بعث الثقة لدى الأساتذة، اللذين يقع على عاتقهم السهر على الارتقاء بالقيم الأكاديمية والقضاءعلى كل أشكال التميز.

فضلا عن ذلك، سيتم دعم الجامعة لتمكينها من التكيف لكي تصبح فضاء للتعليم والبحث العلمي و التفتح والإبداع وتشكل عندئذ دعائم حقيقية للتنمية الاقتصادية والنمو.

وسوف يتم الشروع في التحولات الضرورية بهدف ضمان تعليم ذي جودة عالية وتكوين النخب عبر إعادة بعث مسار تكوين مهندسي الدولة، وأقطاب البحث العلمي و تجديد مفاهيم و مناهج و محتوى العلوم الاجتماعية و الإنسانية لمواكبة التغيرات و التطورات السوسيولوجي والسياسية التي تميز عالمنا اليوم.

وسيتم تحسين جودة التكوين والتعليم المهنيين من خلال ترقية فروع التكوين التقنية والعلمية والتكنولوجية وإعادة تنظيم مسار التعليم المهني ونظام التوجيه وكذا توسيع شبكة المنشآت الأساسية للتكوين وإنشاء فروع الامتياز وتجسيد البكالوريا المهنية. (http://www.premier-ministre.gov.dz/ar/premier-ministre/activites/com-11-02-2020-ar.html).

11-2/ زيادة الإنتاجية ورفع العائد الاقتصادي: أثبتت معظم العلمية الدراسات أن العائد الاقتصادي من الاستثمارات السابقة في التعليم كان أعلى من هذا العائد الذي تمّ الحصول عليه في مجالات الاستثمارات الأخرى مثل الصناعة.

كما أكّدت دراسات أخرى وجود علاقة وثيقة بين ارتفاع الدخول أو الأجور بين الاستثمارات التعليمية ومستوى التعليم المتحقق للفرد، وفي هذا المجال أشارت إحدى الدراسات عن رأس المال البشري في فرنسا إلى أن معدل العائد المتوسط بلغ **11%** للاستثمارات المدرسية كما أن **38%** من الاختلاف في الأجور أمكن إرجاعها إلى هذه الاستثمارات، كما وجد أكثر من ثلث الاختلاف في الأجور أمكن إرجاعها إلى هذه الاستثمارات، كما وجد أن أكثر من ثلث الاختلاف بين الأجور يرجع إلى الاستثمارات المدرسية والمبنية معاً.

وقد أشارت دراسات متعدّدة إلى الدور الذي يلعبه التعليم في زيادة معدلات النمو الاقتصادي في الدول المتقدمة والنامية على السواء: ففي أميركا أشارت دراسة لـ "**دايتون**" إلى أن مساهمة التعليم في النمو الاقتصادي قد بلغت **14%** في بلجيكا، **25%** في كندا، كما أشارت دراسة أخرى لـ "**ناديري**" إلى أن **16%** من النمو الاقتصادي في الأرجنتين ترجع إلى الإسهام في زيادة كفاءة العمل. (**خلف محمد البحيري** ،2015 ، ص 7-9).

11-3: خفض تكلفة الوحدة التعليمية: وهذا ما ذهب إلى الإشارة له الباحث " **محمد الحسين العجمي**" في كتابه حول "**اقتصاديات التعليم: آليات ترشيد الإنفاق التعليمي ومصادر تمويله** " ، حيث وضح أنه من مساعي ترشيد الإنفاق بالتربية هو إدراج سياسة رامية قصد خفض تكلفة الوحدة التعليمية ، وكذا القضاء والتخفيف من الهدر التعليمي المتوقع وغير المتوقع ،وهو ليس هدفا في حد ذاته ،وإنما وسيلة لتحسين الآداء التعليمي وتحقيق أعلى درجات الكفاءة .(محمد الحسين العجمي ،2006، ص 109)

4-11: خفض معدلات الهدر المدرسي : فمن المعروف عليه أن الهدر التربوي مع الإنفاق يشكل عبئا ثقيلا على الأسرة والمجتمع بأسره ، كما أنه لا يتيح فرصة الإنفاق على تحسين نوعية التعليم والتوسع فيه لمقابلة الطلبات المتزايدة عليه ، ورغم مجانية التعليم والزاميته حتى نهاية المرحلة الأساسية ، فإن نسبة لا بأس بها من التلاميذ إما تتسرب من المدارس ، وخاصة في البيئات الريفية والشعبية التي تعمل بالزراعة وتحتاج إلى أيدي عاملة كثيرة الأمر الذي يشكل خللا في العملية التعليمية ويعرف الهدر التربوي الناجم عن الرسوب والتسرب بأنه حجم الأموال المصروفة على من رسب أو تسرب من التعليم أيا كانت الأسباب المؤدية إلى الرسوب والتسرب من التعليم ولم تتم الاستفادة منها في إكمال مرحلة تعليمية معينة (أ) .(خلف، محمد البحيري و أخرون، 2019، ص 93).

ويمكن خفض معدلات الهدر التربوي من خلال ما يأتي :

تقليل معدلات الرسوب.، خفض نسب الرسوب .(خلف محمد البحيري و أخرون، 2019، ص 93).

خاتمة :

ترتفع الإنتاجية بكل المجالات بحسب اليد العاملة المتوفرة ذات الكفاءة العلمية والتقنية، وهذا ما ساعد على التقدم العلمي والتقني، حيث تعتمده الدول المتقدمة، فهي دوما تعطي أولوية لتدريب اليد العاملة فنيا وعلميا وتقنيا ومن بين المجالات التي أولتها التدريب الفني والتقني، نجد مجال التربية والتعليم، لأنها ترى أن هذا المجال له عائد على التنمية الاقتصادية وتحقيق الكفاية الإنتاجية للفرد نفسه وللمجتمع عامة.

والجدير بالذكر أن مخرجات التعليم تكلف الدولة إنفاقا واسعا لحاجة هذا المجال من تكلفة بشتى المجال المنشآت القاعدية (بناء المدارس، القاعات،المكتبات) والإنفاق بمجال أجور الموظفين بالقطاع ،مما يستدعي تدخل سياسة الترشيد بقطاع التربية والتعليم من أجل عدم الاستنزاف لرأس المال العام، بمعنى احترام أولويات الإنفاق مع تطبيق الرقابة والتخطيط اللازم من أجل تحقيق الكفاية الإنتاجية .

وكما هو متعارف عليه علميا أن التقدم التقني يزيد من معدل النمو الاقتصادي طويل الأجل، ويزداد التقدم التقني سرعة عندما تكون قوة العمل أحسن تعليما ، ومن هنا فإن تراكم رأس المال البشري المتعلم يساعد في التقدم التقني ويعد مصدرا من مصادر التنمية المستدامة.

المراجع:

1. بلعاطل،عياش،نوى،سميحة،(2013)، «**آليات ترشيد الإنفاق العام من أجل تحقيق التنمية المستدامة في الجزائر،2001-2014**» ، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الدولي حول تقييم آثار الاستثمارات العامة وانعكاساتها على التشغيل والاستثمار والنمو الاقتصادي خلال الفترة 2001-2014، جامعة سطيف 1: كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، بتصرف.
2. خلف محمد البحيري و أخرون ، (2015)، **المجلة التربوية**، محاضرات في أساليب حساب التكلفة والعائد من التعليم ، كلية التربية ، جامعة سوهاج ، مصر .
3. خلف محمد البحيري وأخرون ،(2019)، **المجلة التربوية** ، تفعيل بعض مداخل ترشيد الإنفاق في تحسين الفاعلية التعليمية بمؤسسات التعليم قبل الجامعي في مصر،العدد (59)،مارس، كلية التربية ، جامعة سوهاج ، مصر .
4. عزيزة،عبد الله،عبد القادر،شرير،(2005)، **واقع الإنفاق على التعليم العام في مديريات تعليم غزة خلال الفترة الزمنية (1995-2003)**، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في التربية، أصول التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، بتصرف.
5. علي،كنعان،**اقتصاديات المال والسياسيين المالية والنقدية**، سوريا: دار المعارف الجامعية الجديدة للنشر، بتصرف.
6. غربي، صبح،(2008)، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية**، الاستثمار في

التعليم ونظرياته جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد(2)، ص.ص 1-31، بتصرف.

7. سوزي،عدلي ناشد،(2000)،**الوجيز في المالية العامة**،مصر: دار المعارف الجامعية الجديدة للنشر، بتصرف.
8. محمد، الحسين العجمي،(2006)، اقتصاديات التعليم: آليات ترشيد الإنفاق التعليمي ومصادر تمويله، **الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة** ، ص 109.
9. ورشة عمل حول الأهداف الإنمائية للألفية،(2004). **تعميم التعليم الابتدائي للجميع** ، بيروت 22 حزيران 2004 – قصر اللأونسكو.

7 .http://www.premier-ministre.gov.dz/ar/premier-ministre/activites/com-11-02-2020-ar.html.

المجلة الجزائرية للعلوم – سلسلة ب
آداب وعلوم الإنسانية
ISSN : 2661-7064
http://univ-eltarf.dz/fr/

تكريس حق النسيان الرقمي على المستوى الأوروبي: ضمانة جديدة لحماية الحق في الخصوصية

الدكتورة: أيت قاسي حورية

جامعة مولود معمري – تيزي وزو

ملخّص: يعتبر حق النسيان الرقمي طرحا جديدا في مفاهيم حقوق الإنسان، المرتبطة بالبيئة الإلكترونية، ويقصد به حق الفرد في التحكم في معطياته الشخصية، بمجرد أن تنشر على الأنترنات، والمطالبة بمحوها، إذا كان من شأنها أن تشكّل انتهاكا لخصوصيته، وتتسبب له في أضرار مادية أو معنوية، وبهذا يتضح الارتباط الوثيق بين حق النسيان الرقمي والحق في الخصوصية، حيث تعتبر حماية الخصوصية هي الغاية من تكريس حق النسيان الرقمي، الذي عرف تطورا بعد قرار محكمة العدل الأوروبية الشهير جوجل سباين(Google Spain) الصادر في 13 ماي 2014، ورغم أهمية هذا الحق، الذي يعكس تطور حقوق الإنسان، في مواجهة التحديات التكنولوجية، إلا أن آثاره القانونية في مجال حماية الخصوصية تظل محدودة، بسبب محدودية نطاق تطبيقه.

الكلمات المفتاحية: حق النسيان الرقمي، حماية الحياة الخاصّة، المعطيات ذات الطابع الشخصي.

Résumé : Le droit à l'oubli numérique est un concept récent, lié à la révolution technologique, ce nouveau droit de Lhomme permet à une personne de contrôler ses données personnelles, et de demander la suppression de certaines informations la concernant, publiée sur un site web, pouvant porter atteinte à sa vie privée et lui causer un préjudice matériel ou moral. Ainsi, le droit à l'oubli numérique et le droit à la vie privée sont étroitement liés ; car l'intérêt premier du droit à l'oubli numérique est de garantir la protection de la vie privée. Ce droit s'est développé après le célèbre arrêt de la CJUE (Google Spain) du 13 mai 2014, et malgré l'importance de ce droit, qui reflète le développement des droits de l'homme, face aux défis technologiques, ses effets juridiques dans le domaine de la protection de la vie privée restent limités, en raison de la portée limitée de son application.

Mots clés : Droit à l'oubli numérique, données à caractère personnel, protection de la vie privée

مقدمة:

أفرزت تكنولوجيا المعلومات تحولا كبيرا في المجتمع، ولقد كان للأنترنات دور أساسي في هذا التحول، نظرا لما يتّسم به هذا الفضاء من حرية وسرعة في نشر المعلومة، حيث أصبح الفرد يمارس العديد من الأنشطة والأعمال في الفضاء الإلكتروني، وفي ظل ضخامة المعلومات الشخصية الناتجة عن هذا النشاط الالكتروني، برزت إشكالات قانونية جديدة، تتعلق بالمساس بالحقوق الأساسية للأفراد، كالحق في حماية الحياة الخاصة والحق في حماية المعطيات ذات الطابع الشخصي؛ وبدأت المطالبة بتكريس حق جديد، ألا وهو الحق في النسيان الرقمي، بهدف حماية الخصوصية في البيئة الالكترونية، والذي من خلاله يمكن للمستخدمين أن يطالبوا محركات البحث بمسح الروابط التي تشكل انتهاكا لخصوصيتهم، أو تسبب اضرار نفسية أو مادية لهم، أو تؤثر على حياتهم الاجتماعية والمهنية، استناد الى حق الانسان في احترام حياته الخاصة، وما يتفرع عنه من حماية لمعطياته ذات الطابع الشخصي **(أولا)** وفي هذا السياق، يعتبر قرار محكمة العدل الأوروبية المسمى جوجل سباين (Google Spain)الصادر في 13 ماي 2014، بمثابة اللبنة الأساسية لتكريس حق النسيان في العالم الرقمي، والذي تلاه تكريس صريح لهذا الحق في التشريع الأوروبي من خلال التعليمة الاوروبية المتعلقة بحماية البيانات ذات الطابع الشخصي الصادرة في 4 ماي 2016، ودخل حيز النفاذ في 25ماي 2018، ورغم أن هذا الحق يعتبر قفزة نوعية في مجال تطور حقوق الإنسان، في مواجهة التحديات التكنولوجية، إلا أن آثاره القانونية تظل محدودة وخاصة بالنظر إلى نطاق تطبيقه **(ثانيا)**.

أولا – مفهوم حق النسيان الرقمي وعلاقته بالحق في الخصوصية

إن حق الإنسان في أن يدخل طي النسيان، هو طرح جديد في مفاهيم حقوق الإنسان الحديثة المرتبطة بالبيئة الالكترونية **(1)** والذي يستمد وجوده إلى حد ما، من خلال حق أساسي آخر، هو الحق في احترام الحياة الخاصة **(2)**.

1- مفهوم النسيان الرقمي كحق جديد للإنسان

إذا كان مفهوم حق النسيان يعود إلى الستينيات من القرن الماضي إلا أن التطور التكنولوجي جعل منه حقا جديدا مرتبطا بالخصوصية في البيئة الرقمية **(أ)** وبإمعان النظر في بعض النظم القانونية المستقرة منذ زمن بعيد، يمكن اعتبارها صوراً تقليدية للحق في النسيان الرقمي**(ب)**.

أ - تعريف حق النسيان الرقمي

يعرّف الحق في النسيان الرقمي بأنه حق الفرد في عدم احتفاظ المسئول عن المعالجة ببياناته الشخصية، لفترة تتجاوز الغرض أو الغاية الأصلية التي جمعت لأجلها، وهذا التعريف مستمد من نص المادة 6 من قانون المعلوماتية والحريات الفرنسي الصادر في 6 جانفي 1978، الذي فرض بعض القيود على المسؤول عن معالجة البيانات الشخصية للأفراد، منها الأمانة والمشروعية، وعدم الإحتفاظ بها لمدة تتجاوز الغرض الذي جمعت لأجله، **إذن** حق النسيان الرقمي بمفهومه الضيق هو مكنة للفرد لمراقبة بياناته الشخصية والتحكم في هويته الرقمية، من خلال السماح له بالاطلاع عليها وتصحيحها أو محوها في بعض الحالات[1].

غير أن هذا التعريف لقي انتقادات كثيرة أهمها، أنه لم يحدد مضمون الحق في النسيان في العالم الرقمي، كما أنه لم يحدد المدة الزمنية التي يمكن بعد انقضائها المطالبة بالدخول في طي النسيان، كما أنه لا يتلاءم مع بيئة الأنترنت اللامتناهية[2].

حاول عدة فقهاء تعريف الحق في النسيان مثل **ليبين لويس** بأنه "مجموعة من الأدوات القانونية المدعّمة بوسائل تكنولوجية، تسمح للشخص بالتحكم في بياناته الشخصية، بمجرد أن تنشر سواء بإرادته أو بدون إرادته"[3]. **وايتيان كيي** الذي يعرّفه بأنه :" حق الشخص في اتخاذ القرار الخاص بالمعلومات المتعلقة به، وتلك التي يجب أن يطويها النسيان"، وهذا يعني منح الشخص سلطة اتخاذ القرار في مصير المعلومات التي تنشر عنه: أين تنشر؟ وكيف تعالج؟ وكيف تخزن؟ وأين؟ وإذا طبقنا هذا الحق في المجال الرقمي، يصبح بإمكان الشخص التمتع بسلطة مراقبة كل المعلومات المتعلقة به وحذفها، سواء تلك المرتبطة بشخصه، والمنشورة في مواقع التواصل الاجتماعي الإفتراضية أو تصريحاته التي تنقلها بقية المواقع الإلكترونية[4].

أما **مايرشونبيرجر** فيسمي "الحق في أن نُنسى"؛ والذي يقوم على تحديد ما يشبه "تاريخ الصلاحية" للمحتوى الإلكتروني الشخصي ، وذلك تمهيدا إلى إلغائه، وذلك على نحو ما يتم في حالة إتلاف المنتجات الغذائية، عقب انتهاء مدة محددة من إنتاجها، خشية مخاطرها المحتملة[5].

وهناك من وسّع في تعريف حق النسيان الرقمي كما يلي: " حق الشخص في السيطرة والتحكم في أية معلومة ذات طابع شخصي تخصّه"، وفقا لهذا التعريف فإن الفرد له الحق في أن يحتفظ طوال حياته بالسيطرة على ذكرياته الرقمية، والتصرف فيها في أي وقت يريده، والقيام بمحوها جزئيا أو كليا متى أراد ذلك[6].

عموما يمكن أن نخلص إلى تعريف الحق في النسيان الرقمي بأنه: حق الفرد في الحصول على موافقته بشكل صريح وواضح، عند البدء في جمع المعلومات الخاصة به، وأن يشرح له كيف تخزّن ومدة تخزينها، والغاية من ذلك، والحق في مسح المعلومات الشخصية التي تبقى عالقة في مختلف المواقع عبر شبكة الأنترنت، ويصعب عليه محوها بمفرده، والتي من شأنها أن تشكّل انتهاكا لخصوصيته، وتتسبب له في أضرار مادية أو معنوية.

ب- جذورحق النسيان الرقمي

يعتبر حق النسيان الرقمي مفهوما حديثا جدا، لأنه مرتبط بالثورة التكنولوجية، التي يشهدها العصر، لكن جذوره تعود إلى منتصف الستينيات من القرن الماضي، وقد صاغه أستاذ القانون في الجامعة الفرنسية "جيرار ليون- كين ويسمى الحق في النسيان في القانون الفرنسي بـ: «Droit à l'oubli»

وكان يقصد به في ذاك العقد ما يحيلنا إلى النسيان الذي يفرض على الإنسان، من قوى خارجة عن إرادته، بواسطة معيار ضروري لضمان السلم والانسجام الإجتماعيين، مثل قوانين العفو التي تشمل الأشخاص والجماعات، وحظر الإشارة إلى كل من تمت إدانتهم القانونية والسياسية بعد أن أعيد لهم الاعتبار[7].

في الواقع إن الحق في النسيان، مسألة قديمة لكن أهميتها وصعوبتها برزت مع ظهور الأنترنت، في الماضي كانت الطلبات المتعلقة بالنسيان مرتبطة بالمجال القضائي، حيث أن الحق في النسيان القضائي يسمح للشخص، بالاعتراض على نشر المعلومات التي تم كشفها للجمهور بشكل قانوني في وقتها، ولكن بعد مرور الوقت لم يعد هناك مبرر لذلك[8].

إن الحق في النسيان القضائي يسمح للأشخاص بأن يعترضوا على الاستمرار في عرض سوابقهم القضائية في وسائل الإعلام، من أجل تسهيل إعادة إندماجهم في المجتمع. في الأصل، إن حق الشخص في أن يدخل طي النسيان، تم تكريسه قضائيا في القضايا المتعلقة بالصحافة التقليدية، ويشكّل قيدا على حرّية الصحافة[9].

تاريخيا، حق التقادم هو الذي يبين بصورة أوضح كيف يمكن للقانون كأداة تنظيم اجتماعي أن يدمج حق النسيان، فالتقادم ينهي حق الشخص في ممارسة حق قضائي، إذا لم يقم به في الميعاد المحدد قانونا. هذه القاعدة مبررة في القانون المدني بالأمن الاجتماعي والنظام العام والأمن القانوني، وعلى عكس ذلك في القانون الجنائي، أساس التقادم هو حق الدخول في طي النسيان[10].

2- علاقة حق النسيان الرقمي بالحق في الخصوصية

إن الغرض من تكريس حق النسيان في العالم الرقمي هو حماية الحياة الخاصة للأشخاص على شبكة الأنترنات. وللتقريب بين هذين الحقين، يمكن القول أنه من خلال الغاية من الحق الأول يتحدّد الثاني **(أ)** وتجدر الإشارة إلى أن المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان كرّست الحق في حماية البيانات ذات الطابع الشخصي، كمكوّن للحق في الحياة الخاصة والأسرية، لهذا السبب هناك من يعتبر أن الحق في حماية البيانات ذات الطابع الشخصي، يتفرع عن الحق في حماية الحياة الخاصة، وبهذا يشكل محلا للحق في النسيان الرقمي **(ب)**.

أ - حماية الحياة الخاصة كغاية لحق النسيان الرقمي

على المستوى الأوروبي، الحق في الحياة الخاصة تنص عليه المادة 8 من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان، والمادة 7 من الميثاق الأوروبي للحقوق الأساسية. ولقد أعطت المحكمة الأوروبية مضمونا واسعا لهذا الحق، بحيث يشمل من جهة بعدا خاصا وهو الحق في ترقية الشخصية، ومن جهة أخرى البعد الإجتماعي المتمثل في الحق في إقامة علاقات مع أشخاص آخرين والعالم الخارجي . حسب المحكمة الأوروبية، فإن الحق في الحياة الخاصة يتضمّن أيضا الرقابة على المعلومات الشخصية أو ما يسمى بـl'autodétermination informationnelle،هذه الواجهة للحق في الحياة تسمح للشخص أن يختار المعلومات التي يمكن كشفها عنه ولأي غاية يحدث ذلك[11].

ولذلك فإن الحق في النسيان الرقمي يلعب دورا أساسيا للسماح لشخص بطلب سحب أي معلومة تخصّه من الأنترنات فهو يعرّف بالدرجة الأولى بالنظر إلى غايته: يتعلّق الأمر باستبعاد كل خطر يتعلق بنفاذ المعلومات المنشورة على الشبكة، حول شخص معين سواء من طرفه أو من طرف الغير، دون تحكم؛ وذلك من خلال استعمالها دون علمه، أيا كانت أقدمية الوقائع أو المعلومات المتعلقة بهذا الشخص[12].

تقليديا، ينظر إلى احترام الحق في الحياة الخاصة، على أنه أحد أسس حق النسيان الرقمي، إلا أن هذا الحق أصبح يتجه نحو الاستقلالية. وأول اختلاف يميّز حق احترام الحياة الخاصة عن حق النسيان هو المعيار الزمني، فالزمن مكوّن ضروري وخاصية للحق في النسيان، وبالمقابل ليس معيارا لتكييف الحق في احترام الحياة الخاصة، إنه أحد القيود التي ترد على حق الشخص في الإعتراض على وقائع تخصّه، فقد تستوجب المصلحة التاريخية، الكشف عن وقائع تتعلق بحرمة الحياة الخاصة، للشخصيات الشهيرة أو التاريخية، ولا يمكن في مثل هذه الحالة التمسك بالحق في الخصوصية، لمنع نشر هذه الوقائع ذلك أن المصلحة العامة تغلب المصلحة

الخاصة، وتعتبر قيدا على الحق في الخصوصية[13]، هذا المعيار هو الذي يفسر بأن واقعة عامة يمكن حمايتها بواسطة الحق في النسيان، ولكن لا يمكن ذلك استنادا إلى الحق في احترام الحياة الخاصة، وبالعكس هذا يعني أن نفس الواقعة يمكن حمايته احيانا عن طريق حق النسيان وأحيانا لا يمكن[14].

أما الاختلاف الثاني الذي يجعل التشبيه بينهما غير مجمع عليه، هو أنه لكي يكون الشخص محميا بواسطة الحق في احترام الحياة الخاصة، يجب أن تتعلق الواقعة أو البيانات بالحياة الخاصة للشخص، وبالتالي لا يمكن معاقبة من يقوم بالنشر إلا إذا كانت المعلومة تتعلق بالحياة الخاصة[15].

في هذا السياق، تميّز محكمة النقض الفرنسية بين ما إذا كانت الوقائع قد نشرت بما فيه الكفاية، لاعتبارها قد أصبحت عامة، وعليه فإن إعادة نشرها لا يمس بالحق في الحياة الخاصة، وبالتالي تشكّل عقبة أمام حق النسيان. أما إذا كانت المعلومات قد تم كشفها من طرف المعني بالأمر، فإن إعادة نشرها يعتبر مساسا بالحياة الخاصة[16].

ب-حماية البيانات ذات الطابع الخاص كمحل لحق النسيان الرقمي

يعتبر حق النسيان الرقمي أحد واجهات رقابة الأفراد على معطياتهم ذات الطابع الشخصي، ويقصد بالمعطيات ذات الطابع الشخصي حسب المادة 2 من التوجيه الأوروبي 95-46[17]، كل معلومة متعلّقة بشخص طبيعي معين أو قابل للتعيين بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة، ولاسيما الرجوع إلى رقم تحديد الهوية، أو إلى عنصر أو أكثر من العناصر الخاصة المحددة، بالهوية الجسدية أو العقلية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية...الخ.

والبيانات المقصودة هنا هي تلك المتعلقة بالشخص الطبيعي فقط كإسمه الحقيقي أو المستعار أو اسمه العائلي، أو صورته الفوتوغرافية، أو رقم الهاتف الخاص به، أو كلمة مرور، أو رقم حساب في بنك، أو عنوان بريد الكتروني، أو البصمة الوراثية...الخ، وتطبيقا لذلك يعتبر من قبيل البيانات الشخصية المشمولة بالحماية القانونية قيام الشخص بتعبئة استمارة، أو التقدم بطلب لجهة معينة، أو استعمال بطاقة ائتمان، أو التسجيل في برنامج دراسي معين، أو في نادي صحي أو رياضي أو النزول في فندق...الخ. ولا تقتصر المعطيات ذات الطابع الشخصي على الحياة الخاصة للأشخاص، بل تمتد لتشمل المعلومات ذات الصلة بحياتهم المهنية أو العامة، طالما أمكن من خلال تعيين الشخص وتحديده، مثل البيانات التي تحتويها سجلات الولادة والزواج والطلاق، والسجلات التي تمسكها النقابات المهنية، وسجلات السيارات وقيد الشركات...الخ. ويشترط في البيانات ذات الطابع الشخصي، لكي تكون محلا للحماية القانونية أن تخضع لعملية معالجة، مهما كان شكلها، كالجمع أو التخزين، أو التعديل، أو الاسترجاع، أو المراجعة[18].

إن كل فرد موجود على الشبكة يتمتع بما يسمى الهوية الرقمية التي تتألّف من مجموعة ضخمة من المعطيات التي يكشفها الشخص نفسه أحيانا، أو من طرف الغير، وأحيانا يتم جمعها بغير علمه. هذا الجمع للمعلومات يجد مصدره في عدة ظواهر، حيث أصبح هناك امكانيات متزايدة لمستخدمي الأنترنات لنشر معلومات تتعلّق بحياتهم الخاصة. فمن جهة، ظاهرة مواقع التواصل الاجتماعي، تتزايد بشدة والأشخاص لا يتوانون عن نشر معلومات كثيرة عن حياتهم الخاصة بإرادتهم، دون الوعي بالنتائج التي يمكن أن تترتب عن ذلك. من جهة أخرى، عدة وسائل ووظائف على بعض

مواقع الويب تتوقف على كشف معطيات ذات طابع شخصي، والتي تصبح العملة المستعملة على الانترنات الذي أصبح تجاريا[19].

بالإضافة لذلك، فإن المعطيات ذات الطابع الشخصي المنشورة من قبل الأفراد على شبكات التواصل الاجتماعي أو تم كشفها لبعض مواقع الويب، يمكن إضافة إلى معالجتها الأساسية، يتم إعادة استعمالها ونشرها لأغراض أخرى غير تلك التي جمعت من أجلها. كما أن العديد من المعلومات يتم جمعها دون علم مستخدمي الانترنات من طرف مقدمي الخدمة، ومن طرف بعض مواقع الويب، كما أن محرّكات البحث تسمح لأي شخص في أي مكان في العالم، بالوصول بسهولة لأي معلومات متوفرة على الأنترنات، حول شخص معين دون أي إجراءات خاصة، مجّانا ودون الكشف عن هويته[20].

وإذا كان الحق في حماية الحياة الخاصة يحمي الشخص في علاقاته مع الأفراد، فإن الحق في حماية المعطيات الشخصية، يحمي المواطن في مواجهة الدولة، ومع تطور الأنترنت، أصبح الحقين متقاربين، فحماية المعطيات الشخصية تؤدي إلى حماية الحياة الخاصة لمستخدمي الأنترنت[21]؛ لأن المعطيات ذات الطابع الشخصي وظيفتها هي تحديد هوية شخص، ومحلها هو هوية الشخص. ورغم أن مختلف الصكوك التي تناولت الحق في حماية البيانات ذات الطابع الشخصي، لم تشر بصراحة إلى حق النسيان الرقمي، إلا أنه يمكن إيجاد نواة تستند إلى الالتزام بمسح البيانات بعد انتهاء الغرض الذي من أجله جمعت، وحق الشخص المعني بالبيانات في الاعتراض على معالجتها[22].

ثانيا- دور القضاء الأوروبي في تدعيم الحق في الخصوصية من خلال تكريس حق النسيان الرقمي

شهد "الحق في النسيان" تطورا بعد قرار محكمة العدل الأوربية، والذي يعتبر مرجعا في القضاء الأوروبي حول مسألة حق النسيان الرقمي مبدئيا يجب الإشارة إلى أن هذا القرار يستجيب إلى مسائل أوّلية تتعلق بالتوجيه رقم46/95، المتعلق بالبيانات ذات الطابع الشخصي وحرية تنقّل هذه البيانات **(1)**، ورغم أهمية هذا القرار باعتباره قد وضع اللبنة الأولى لحق الأفراد في مسح البيانات الشخصية وذلك بتوفر شروط معينة**(2)**، إلا أن نطاق تطبيقه يبقى محدودا **(3)**.

1- قرار جوجل سباين كمرجعية تاريخية لحق النسيان الرقمي

نظرا لأهمية قرار جوجل سباين في تكريس الحق في النسيان الرقمي، يجب التطرق إلى خلفية صدوره **(أ)** والأسس التي بنت عليها محكمة العدل الأوروبية قرارها**(ب)**.

أ - خلفية صدور قرار جوجل سباين

صدر قرار جوجل سباين إثر قيام مواطن اسباني يدعى ماريو كوستيخا غونزالس بتقديم شكوى في عام 2010 أمام الوكالة الإسبانية لحماية البيانات ذات الطابع الشخصي، ضد صحيفة "لافانجواردیا " اليومية الإسبانية، وكذلك ضد كل من شركة جوجل، وجوجل إسبانيا، بحجة أنه عندما يقوم بكتابة اسمه في محرك البحث الشهير، فإن قائمة النتائج التي تظهر تحتوي على روابط تحيل إلى إعلانات قديمة تم نشرها في عام 1998، تتعلق بالبيع القسري لأملاكه من أجل تسديد ديون كانت قد تراكمت عليه لصالح الضمان الاجتماعي، وعلى الرغم من تجاوز أزمته، إلا أن الروابط المتعلقة بهذه المعلومات استمرت بالظهور في محركات البحث، بعد مرور ما يزيد عن 16 عاما[23]. حيث طلب إلزام الصحيفة إما بمحو البيانات المتعلقة به ،أو تعديلها بحيث يتعذر ظهورها للعامة؛ وإما تزويده

بأدوات يستطيع من خلالها التحكم في محو هذه البيانات. كذلك، طلب إلزام شركة جوجل، وجوجل إسبانيا بأن تزيلا وتخفيا بياناته الشخصية والروابط التي تحيل إلى صحيفة "لافانجواردیا" من محرّكات البحث، مستنداً في ذلك إلى أن المعلومات تتعلق بمسألة تم تسويتها بالكامل، فأصبحت قديمة ولا تمت للحاضر بأي صلة [24].

وقد رفضت الوكالة الإسبانية لحماية البيانات الشكوى فيما يتعلق بالصحيفة، على أساس أن نشرها للمعلومات في حينه تم بشكل قانوني. لكنها قبلت الشكوى في شقّها المتعلق بشركة جوجل، وجوجل إسبانيا، حيث طالبت الشركتين باتخاذ ما يلزم لإزالة البيانات من محركات البحث، وجعل الوصول إليها مستقبلاً أمرا غير ممكن. وعلى إثر ذلك، قدّمت الشركتان طعناً أمام المحكمة الوطنية الإسبانية، التي أحالت بدورها جملة من التساؤلات إلى محكمة العدل الأوروبية فيما يتعلق بتفسير التوجيه الأوروبي رقم 46/95 المتعلق بحماية البيانات ذات الطابع الشخصي، تدور في مجملها حول نطاق تطبيق هذا التوجيه، وما إذا كان من الممكن أن يؤسس لما بات يعرف بالحق في النسيان الرقمي[25]، لكن تجدر الإشارة إلى أن هذا التوجيه ألغي بموجب لائحة الإتحاد الأوروبي لعام 2016، التي دخلت حيز النفاذ في 25 ماي2018 [26].

ب-أسس قرارجوجل سباين

لقد نظرت المحكمة أولا بشأن مدى انطباق التوجيه رقم 46/95 على محركات البحث قبل تحليل مختلف مظاهر مسئوليتها في مجال الحق في النسيان الرقمي. فبالنسبة لمسألة نطاق التطبيق المادي للتوجيه، فإن المحكمة ذكّرت باجتهادها المتعلق بتفسير مفهوم "معالجة البيانات ذات الطابع الشخصي" بالمعنى الوارد في التوجيه، حيث أن العملية التي تتضمن إظهار على صفحة انترنات، معطيات ذات طابع شخصي، تدخل في هذا المفهوم"[27].

لقد خلصت المحكمة إلى أن نشاط محرّك بحث يدخل في هذا المفهوم ويجب اعتباره كـ "معالجة للبيانات ذات الطابع الشخصي" بالمعنى الوارد في المادة(2.b من التوجيه، وأن محرّك البحث يجب اعتباره كمسئول عن المعالجة، وعليه فإن التوجيه ينطبق على محرّك البحث إذا "أنشأ في دولة عضو فرعا موجّها لتأمين ترقية وبيع مساحات إعلانية، مقترحة من طرف هذا المحرّك والذي نشاطه موجّه لسكان هذه الدولة". وبما أن جوجل لها فرع في إسبانيا، مهمته تحديدا هي تأمين ترقية وبيع المساحات الإعلانية المقترحة، من طرف محرّك البحث لمستخدمي الأنترنت، وعليه فالتوجيه ينطبق عليه.

بعد إثبات انطباق التوجيه على محركات البحث، نظرت محكمة العدل الأوروبية في مسألة حق النسيان الرقمي، ولقد تساءلت حول ما إذا كان الشخص يتمتع بموجب التوجيه، بحق مطالبة محرك البحث، بحذف رابط من قائمة النتائج التي تظهر عند القيام ببحث بإسمه، ولقد ردّت المحكمة بالإيجاب مستندة إلى المواد (2.b،(14.1 من التوجيه، وأخضعت عملية عدم الفهرسة لشروط عديدة[28].

فيما يتعلق بمسألة حقوق الشخص المعني المضمونة بالتوجيه 46/95. يشير قرار جوجل سباين إلى أن مرور الوقت، يمكن أن يحوّل الطابع المشروع لمعالجة المعطيات إلى طابع غير مشروع، عندما تكون هذه المعطيات لم تعد ضرورية للغايات التي جمعت من أجلها، بالإضافة لذلك، فيما يتعلق بنطاق مسئولية مستغل محرك البحث بموجب هذا التوجيه، لقد ذكرت المحكمة بضرورة تفسير أحكام التوجيه، على ضوء الحقوق الأساسية، وبالتحديد الحق في الحياة الخاصة، وحماية البيانات ذات الطابع الشخصي،

وحرية التعبير، وبهذا الصدد أشارت بأن طلب حذف رابط يستند دائما إلى موازنة المصالح المعنية[29].

ولقد استندت المحكمة الى المستوى العالي لحماية الحقوق والحرّيات الأساسية للأشخاص الطبيعية، وخاصة حياتهم الخاصة في مواجهة معالجة البيانات ذات الطابع الشخصي المتعلقة بهم. وعليه فإن هذه المعطيات يجب معالجتها بنزاهة، لأغراض محدّدة وعلى أساس موافقة الشخص المعني، أو على أساس آخر مشروع منصوص عليه قانونا[30].

وحسب المحكمة، فإن السلطات الوطنية التي يتم اللجوء إليها من طرف الشاكي، مختصة في إصدار أمر لمستغل محرك البحث بإلغاء قائمة النتائج والروابط التي توصل إلى مواقع الانترنت، التي تتضمن معلومات متعلقة بالشاكي. وبذلك فقد اعترفت في هذه القضية، بحق المدعي في الإعتراض على فهرسة معطياته الشخصية من طرف محرّك البحث.

2- آثار قرار جوجل سباين في مجال حماية الخصوصية

بفضل قرار جوجل سباين أصبح من حق مستخدمي الأنترنات مطالبة محرّكات البحث بحذف الروبط التي تمس بخصوصيتهم (أ)، وذلك من خلال استمارة موضوعة تحت تصرفهم **(ب)**، وبصدور التعليمة الأوروبية679/2016 المتعلقة بحماية البيانات الشخصية، أصبح هذا الحق مكرّسا بشكل صريح**(ج)**.

أ- حذف الروابط التي تمس بالخصوصية

على أساس المواد (12.b، و(14.1 من التوجيه 46/95، قررت المحكمة بأنه يجب على محرك البحث من الآن فصاعدا، أن يحذف من قائمة النتائج المتحصل عليها، عند إجراء بحث يتم عن طريق إسم شخص، الروابط التي تؤدي نحو صفحات الويب التي تتضمن معطيات شخصية، إذا كانت معالجتها لا تتماشى مع هذا التوجيه، أي إذا كانت هذه المعطيات تبدو غير ملائمة، أو مبالغ فيها، بالنظر إلى الغاية من المعالجة، غير محمية، أو يتم الإحتفاظ بها لمدة تتجاوز المدّة الضرورية، إلا إذا كان حفظها يفرض نفسه لأغراض تاريخية، إحصائية أو علمية.و حسب المحكمة يجب تحليل -حالة بحالة- المصالح المعنية، أي مصلحة الفرد المعني بالمعطيات من جهة، والمصالح الاقتصادية لمحركات البحث ومستخدمي الأنترنات من جهة أخرى[31].

إن المصالح الاقتصادية لمحرّكات البحث وحدها لا تبرر أبدا التدخل في الحق في الحياة الخاصة والحق في حماية المعطيات ذات الطابع الشخصي لأن هذه الأخيرة حقوق أساسية على عكس المصالح الاقتصادية.

وكشفت المحكمة بأن حقوق الشخص المعني تسمو على مصلحة مستخدمي الأنترنت، ولكن هذا التوازن يعتمد على طبيعة المعلومة، ومدى حساسيتها بالنسبة للحياة الشخصية للشخص المعني، وكذا مصلحة الجمهور في الحصول على هذه المعلومة، ويختلف الأمر خاصة بالنظر إلى الدور الذي يلعبه الشخص في الحياة العامة[32].

إن طلب الحذف يوجّه مباشرة إلى محرّك البحث، وفي حالة ما إذا لم يستجب المسئول عن المعالجة لطلب عدم الفهرسة للشخص المعني، فإن هذا الشخص يمكنه أن يتوجه إلى السلطة القضائية أو الهيئة الوطنية المكلفة بحماية البيانات التي تبحث في مدى تأسيس الطّلب، وتعمل على الموازنة بين المصالح المتعارضة التي أشارت إليها محكمة العدل الأوروبية، وتقوم هذه السلطة بعد ذلك بإصدار أمر إلى مسئول المعالجة لكي يقوم بعدم الفهرسة، إن هذا الاختصاص للهيئات الوطنية سيسمح للمواطن باللجوء بتكاليف بسيطة لسلطة مستقلة ومحايدة[33].

ب- استمارة عدم الفهرسة الموضوعة من طرف جوجل

منذ 29 ماي 2014، وضعت جوجل استمارة لعدم الفهرسة على الخط والتي يمكن للفرد الذي يرغب في عدم فهرسة نتائج البحث المرتبطة باسمه أن يملأها، كما وضع بينغ Bing محرّك البحث لميكروسوفت، أيضا هذه الاستمارة على الخط في 16 جويلية 2014. من خلال هذه الإستمارة، يقوم الفرد بتحديد البلد الأوروبي الذي سينطبق تشريعه على الطلب، وكتابة اسمه وعنوانه الالكترونين ومعلومات تتعلق بطلب عدم الفهرسة، أي الروابط التي يريد عدم فهرستها ومبرراته لذلك, وعليه أن يرفق الطلب بنسخة من وثيقة تثبت هويته كبطاقة الهوية أو جواز السفر، بعد ذلك يقوم مجموعة من القانونيين يعيّنهم جوجل بدراسة مدى تأسيس الطّلب وفقا للمعايير التي وضعتها محكمة العدل الأوروبية[34].

عموما منذ 12 ماي 2014 تلقت جوجل 249456 طلب تتعلق ب904999 رابط، وبالنظر إلى النجاح الذي عرفته الاستمارة، جوجل تعترف بوجود تأخير في مسار عدم الفهرسة، في الواقع كل طلب يتم دراسته على حدة من خلال الموازنة بين الحق في الحياة الخاصة والحق في إعلام الجمهور. بعد دراسة الطلبات تقرر جوجل، إما عدم فهرسة الرابط، أو تطلب معلومات أكثر من المعني بالأمر أو ترفض[35]. وفي هذه الحالة الأخيرة، لدى المعني بالأمر امكانية اللجوء الى الهيئة الوطنية لحماية البيانات، أو إلى العدالة.

ج- النص الصريح على حق النسيان الرقمي في التشريع الأوروبي

لقد كانت حماية المعطيات ذات الطابع الشخصي على المستوى الأوروبي ينظمها التوجيه رقم 95 /46 المتعلق بحماية الأفراد اتجاه معالجة البيانات ذات الطابع الشخصي، وحرية انتقالها، غير أنّه مع التطور الكبير الذي عرفته تكنولوجيا المعلومات، وفي عدد المستخدمين منذ ذلك الوقت، والذي لم يعد هذا التوجيه يتماشى معه، اقترحت اللجنة الأوروبية نص تعليمة عامة حول حماية المعطيات الشخصية، هذا الاقتراح مهم جدا من الناحية الشكلية لأنه جاء على شكل تعليمة وليس توجيه، وبالتالي تطبيقه سيكون مباشرا ولا يحتاج إلى تكريسه داخليا مما يسمح بتنسيق فعلي للقوانين الوطنية، لكن التباين في وجهات نظر الدول وتعقيد بعض المسائل التقنية، أخّر تبنيه الى غاية 14 أفريل 2016[36] أما دخوله حيز النفاذ فكان ابتداء من 25ماي 2018.

وتحت تأثير قرار جوجل سباين، تم النص صراحة على حق النسيان الرقمي في هذه التعليمة، وذلك في المادة 17، ولم يعد مجرد حق في عدم الفهرسة كما كان الحال عليه في التوجيه رقم 46/95، وحسب الفقرة الأولى من المادة 17، يمكن للشخص المعني أن يطلب من المسئول عن المعالجة، في أحسن الآجال، مسح المعطيات ذات الطابع الشخصي التي تخصه لأحد الأسباب الستة المنصوص عليها في هذه المادة وهي: المعطيات التي لم تعد مفيدة بالنظر إلى الغايات التي جمعت من أجلها، أو تمت معالجتها ؛ بطلان الرضا؛ استعمال حق الاعتراض؛ المعالجة غير القانونية؛ معطيات ذات طابع شخصي يجب مسحها احتراما لالتزام قانوني، أو يتم جمعها في إطار تقديم خدمات من شركة المعلومات.

أما الفقرة الثانية من نص المادة 17 فتنص أنه يجب على مسئول المعالجة – عندما تكون المعطيات قد نشرت- أن يتخذ الإجراءات المعقولة لإعلام المعالجين الآخرين الذين أوصلت لهم المعطيات، بأنه قد طلب مسحها من طرف الشخص المعني.

غير أن هذه التدابير تترك لتقدير المعالج، وتتوقف على التكنولوجيات المتوفرة، وتكاليف التنفيذ، مما قد يؤدي إلى التعسف من طرف المعالج الذي يمكنه ان يؤخر أو يعرقل نقل المعلومات للمسئولين الآخرين[37].

3- حدود قرار جوجل سباين في مجال حماية الخصوصية

تعرّض قرار جوجل سباين لعدة انتقادات، أهمها أن حق النسيان الرقمي المكرّس بموجب هذا القرار، يعتبر قامعا للحريات الأساسية مثل حرية التعبير والإعلام**(1)** كما أن الجهة المكلّفة بإعمال حق النسيان الرقمي تعتبر خصما وحكما في نفس الوقت**(2)**، مما يؤدّي إلى التعسف في حقوق الاشخاص المعنيين، إضافة إلى محدودية نطاق تطبيق هذا القرار**(3)**.

أ -حماية الخصوصية على حساب حرية التعبير والإعلام

تنص المادة 10 من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان على حرية التعبير، والمادة 11 تنص على الحق في إيصال وتلقي المعلومات. إن هذه الحقوق يجب وضعها في الميزان مع الحق في احترام الحياة الخاصة، والحق في حماية البيانات ذات الطابع الشخصي، أخذا بعين الإعتبار أنه لا يوجد تدرّج في الحقوق الأساسية[38].

كثيرون أعلنوا أن قرار جوجل سباين يمس بالحق في الإعلام وحرّية التعبير، مما يعيق محركات البحث عن تقديم صورة موثوق بها عن المعلومات المتاحة على الويب. في الواقع إن نشاط محركات البحث يسمح لمستخدمي الأنترنات بممارسة حقهم في الوصول إلى المعلومة، فهي تسهّل الوصول إلى المحتوى والمعلومات العامة المناسبة للبحث، الذي يقوم به الفرد، ولهذا في نظر البعض، إن إجبار محرك البحث على عدم فهرسة بعض الروابط، قد يؤدي إلى المساس بالحق في الإعلام وحرية التعبير[39].

كما يخشون أن يكون هناك تجاوز في استعمال حق النسيان الرقمي، من أجل تقييد حرية التعبير، وحذف بعض الروابط التي تحيل إلى مسائل ذات منفعة عامة. كما يرون أنه لا يجب الرجوع فقط إلى محرّكات البحث، وإنما يجب الرجوع إلى المصدر من خلال التفاوض مع الناشر، حول موضوع سحب أو تصحيح المعلومات موضوع النزاع[40].

يمكن الرد على هذا الانتقاد بأن حق النسيان الرقمي كما كرّسته محكمة العدل الأوروبية في قرار جوجل سباين، ليس مطلقا ولكنه يسمح، على العكس، بوضع حل لكل حالة، أخذا بعين الاعتبار المصالح الخاصة والعامة ذات الصلة، بما في ذلك، وعلى وجه الخصوص، الحق في حرية التعبير والحق في الإعلام.

إن القرار يمنح للأفراد وسيلة رقابة على المعطيات ذات الطابع الشخصي، التي لم يكن لهم أي سلطة عليها قبل ذلك، هدفه هو تحقيق توازن بين المؤسسات الناشطة على الأنترنات والأفراد، فيما يتعلق بالمعطيات ذات الطابع الشخصي.[41] بالإضافة لذلك فإن الآثار المحدودة لهذا القرار تثبت أنه لا يوجد قمع حقيقي للحريات.

في الواقع، إن هذا القرار كفيل بأن يحد من وصول جمهور كبير إلى بعض المعلومات، من خلال السماح بعدم فهرسة النتائج التي يتم الحصول عليها من خلال بحث قائم على إسم شخص معين، لكن لا يمس بمصدر المعلومة، ولا بامكانية الوصول إلى المعلومات بواسطة عمليات بحث أخرى في جوجل، تتم بواسطة كلمات مفتاحية أخرى، ما عدا إسم الشخص المعني.

ب – توكيل مهمة إعمال حق النسيان الرقمي لمؤسسات غير محايدة

إن النقد الثاني الموجه إلى قرار جوجل سباين، هو أنه يلزم محرّكات البحث بأن تقوم بنفسها بدراسة الشكاوى المتعلقة بحق النسيان الرقمي، بحيث تكون خصما وحكما في نفس الوقت. من جهة، فمهمتها هي منح مستخدمي الأنترنات صورة موثوق بها للمحتويات المتاحة على الويب، ومن جهة أخرى فهي ملزمة بحذف بعض النتائج باسم حماية البيانات ذات الطابع الشخصي. وعليه من غير المقبول منح مؤسسة خاصة مهمة التدخل في اختصاص السلطة القضائية، فهذه الأخيرة هي الوحيدة المختصة بضمان الحريات الفردية والتوفيق بين حرية التعبير واحترام الحياة الخاصة. فلا المؤسسات الخاصة ولا الهيئات الوطنية لحماية البيانات الشخصية، تملك الصلاحيات القانونية لاتخاذ قرارات بخصوص الحق في النسيان الرقمي[42].

ردا على هذه الانتقادات، يجب التذكير بأن القرار يشير إلى الإمكانية المتاحة للأفراد للجوء إلى الهيئة الوطنية لحماية البيانات، أو السلطة القضائية لدراسة مدى تأسيس الطلب والعمل على الموازنة بين المصالح[43]. بالإضافة لذلك فإن جوجل أعلمت الأفراد حول امكانية الطعن في حالة رفض عدم الفهرسة، ولا يوجد مانع من أن يكون الطعن من طرف الناشر، كل من الطرفين يتمتع بامكانية عرض حججه أمام سلطة محايدة [44].

ج- محدودية نطاق تطبيق آلية النسيان الرقمي

يرى البعض أن آثار هذا القرار محدودة جدا، لأن عدم الفهرسة لن تتم إلا على جوجل في الدول الأوروبية، ولا تمس جوجل في الدول الأخرى ولا حتى جوجل com، كما أن عدم الفهرسة يتعلق فقط بعمليات البحث التي تتم عن طريق إسم الشخص، في حين يمكن الوصول لنفس المعلومات بكلمات مفتاحية أخرى. إضافة لذلك، فإن الرابط الذي يوصل نحو موقع الناشر فقط هو الذي يحذف، بينما المعلومة تبقى موجودة على الموقع، فقط لا يمكن الوصول إليها عن طريق محرك البحث[45].

إن فريق عمل "المادة 29" حول حماية البيانات، وهو جهاز استشاري ومستقل تم انشاؤه بموجب التوجيه 95-46 من أجل تأمين تنفيذ متجانس لهذا الأخير، انتقد مسألة حصر عدم الفهرسة بجوجل في الدول الأوروبية، وصرّح بأن هذا الإجراء غير كافي لضمان الحق في حماية البيانات ذات الطابع الشخصي، غير أن جوجل أعلنت رفض امتدادا عدم الفهرسة إلى الفروع الاأخرى لمحرّكها، يتضح مما سبق إذن أنه بالإمكان الوصول إلى المعلومة التي لم تفهرس، يكفي مثلا استعمال جوجل أمريكا[46].

خاتمة

بتكريس حق النسيان الرقمي، أصبح أمام مستخدمي الأنترنات آلية جديدة تضمن لهم حماية خصوصيتهم، في مواجهة الإنتهاكات التي يمكن أن يتعرّضوا لها، بسبب أنشطتهم الرقمية, والكم الهائل من معطياتهم الشخصية التي تنشر على شبكة الأنترنت سواء من طرفهم أو من طرف الغير، لكن نطاق تطبيق هذه الآلية تظل محصورة على المستوى الأوروبي، لهذا لابد من تفعيل هذا الحق على المستوى العالمي، خاصة وأن شبكة الانترنات هي شبكة عالمية، لا يمكن التحكم فيها من خلال تشريعات وطنية او إقليمية.

[1] – بوخلوط الزين، " الحق في النسيان الرقمي" ، *مجلة المفكر*، كلية الحقوق والعلوم السياسية – جامعة بسكرة، العدد14، 2017، ص581.

[2] – المرجع نفسه.

[3] - Libin Louis, Droit à l'oubli numérique – quel paramètre territorial ?,2018, p.11, http://hdl.handle.net/2268.2/5001

[4] - نقلا عن:عادل عبد الصادق، "الحق في النسيان الرقمي ما بين المعرفة والخصوصية"، ، متاح على الموقع التالي:http://www.accronline.com/article_detail.aspx?id=19502

[5] – المرجع نفسه.

[6] – بوخلوط الزين، الحق في النسيان الرقمي، مرجع سابق، ص 581.

[7] – عادل عبد الصادق، "الحق في النسيان الرقمي ما بين المعرفة والخصوصية"، مرجع سابق.

[8] - Libin Louis, Droit à l'oubli numérique – quel paramètre territorial ?, op-cit, p. 7.

[9] - Ibid.

[10] - Maryline BOIZARD, Le droit à l'oubli,2015, p.28, https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-01223778

[11] - Noémie Lepot, Le droit à l'oubli numérique au sein de l'union européenne : consécrations actuelles, lacunes et perspectives futures, Travail de fin d'étude, Université de Bruxelles, 2014-2015, p.10.

[12] - Maryline BOIZARD, Le droit à l'oubli, op-cit, p.12.

[13] - عاقلي فضيلة، الحماية القانونية للحق في حرمة الحياة الخاصة : دراسة مقارنة، بحث لنيل شهادة دكتوراه، جامعة منتوري – قسنطينة، 2011–2012، ص318.

[14] - Maryline BOIZARD, Le droit à l'oubli, op-cit, p.35.

[15] – عاقلي فضيلة، الحماية القانونية للحق في حرمة الحياة الخاصة : دراسة مقارنة، مرجع سابق، ص319.

[16] - Maryline BOIZARD, Le droit à l'oubli, op-cit, p. 36

[17] - Directive 95/46/CE du Parlement européen et du Conseil, du 24 octobre 1995, relative à la protection des personnes physiques à l'égard du traitement des données à caractère personnel et à la libre circulation de ces données (JO L 281 du 23.11.1995, p. 31).

[18] – بوخلوط الزين، الحق في النسيان الرقمي، مرجع سابق، ص583.

[19] - أن قيمة المعطيات الشخصية للمواطنين الاوروبيين تم تقديرها من طرف Le consulting group Bouston بـ315 مليون أورو في 2011، هذا يعني وصول هذه القيمة إلى ألف مليار أورو في 2020. انظر:

Noémie Lepot,Le droit à l'oubli numérique au sein de l'union européenne …, op-cit, p.6.

[20] – في الواقع بعض المعطيات كعناوينIP، تواريخ وساعات التواصل مع مختلف المواقع والصفحات التي تم الإطلاع عليها، يتم حفظها أثناء نشاط الأفراد على الويب بهدف وضع الإحصائيات. انظر المرجع نفسه، ص7.

[21] - Lamia EL BADAWI, in Le droit à l'oubli à l'ère du numérique, Actes du colloque du 25mars 2015 sous la direction d'Anne Blandine CAIRD et Caroline LANTERO, Ecole de droit- Université d'Auvergne, La revue « Le droit à l'oubli », no8, 2016, p.18.

[22] - Noémie Lepot,Le droit à l'oubli numérique au sein de l'union européenne …, op-cit, p.11.

[23] – عادل عبد الصادق، "الحق في النسيان الرقمي ما بين المعرفة والخصوصية"، مرجع سابق.

[24] – أحمد عبد الظاهر، "الحق في النسيان؟ !"، *أوراق قانونية*، العدد570، 2018، ص38.

[25]– المرجع نفسه.

[26] - Règlement (UE) 2016/679 du parlement européen et du conseil du 27 avril 2016 relatif à la protection des personnes physiques à l'égard du traitement des données à caractère personnel et à la libre circulation de ces données, et abrogeant la directive 95/46/CE (R. G. P. D) , JO L 119/1 du 4 .05.2016.

[27] - Libin Louis, Droit à l'oubli numérique – quel paramètre territorial?, op-cit, p.13.

[28] - Noémie Lepot, Le droit à l'oubli numérique au sein de l'union européenne…, op-cit, p. 23.

[29] - Libin Louis, Droit à l'oubli numérique – quel paramètre territorial?, op-cit, p.13.

[30] - Ibid.

[31] - Noémie Lepot, Le droit à l'oubli numérique au sein de l'union européenne…, op-cit p.24 .

[32] - Libin Louis, Droit à l'oubli numérique – quel paramètre territorial?, op-cit,p.14.

[33] - Noémie Lepot, Le droit à l'oubli numérique au sein de l'union européenne …, op-cit, pp.25et.26.

[34] – سياسة الخصوصية بين حماية المستخدم وحوكمة الشبكة،17 سبتمبر 2014،

http://www.aletejah.org/permalink/28975.html?print

[35] - Noémie Lepot,Le droit à l'oubli numérique au sein de l'union européenne…, pp .33et.34.

[36] -Lamia EL BADAWI , in Le droit à l'oubli à l'ère du numérique, op-cit, p.25.

[37] - Ibid , p.26.

[38] - Libin Louis, Droit à l'oubli numérique – quel paramètre territorial, op-cit, p. 8.

[39] - Noémie Lepot, Le droit à l'oubli numérique au sein de l'union européenne, op-cit,p.27 .

[40] – عادل عبد الصادق، "الحق في النسيان الرقمي ما بين المعرفة والخصوصية"، مرجع سابق.

[41] - Noémie Lepot,Le droit à l'oubli numérique au sein de l'union européenne, op-cit, p.28.

[42] - Ibid ,p.29.

[43] - Libin Louis, Droit à l'oubli numérique – quel paramètre territorial, op-cit, p.14.

[44] - Noémie Lepot, Le droit à l'oubli numérique au sein de l'union européenne …,op-cit, p.30.

[45] - Ibid, p.31.

[46] - Ibid, p.35.

المجلة الجزائرية للعلوم – سلسلة ب
آداب وعلوم الإنسانية
ISSN : 2661-7064
http://univ-eltarf.dz/fr/

البيئة السليمة شرط للتمتع بحقوق الإنسان

الدكتورة: بوعقبة نعيمة / الدكتورة: جامل صباح
جامعة الشاذلي بن جديد- الطارف / جامعة الشاذلي بن جديد- الطارف

ملخص:

كنتيجة حتمية لعلاقة الترابط الجوهري بين البيئة وحقوق الإنسان التي أرسى دعائمها مؤتمر ستوكهولم سنة 1972، يعترف المجتمع الدولي بكون البيئة السليمة تعد شرطا لازما لتمتع الإنسان بالحقوق المقررة له، ويتحدد مضمون هذا الاعتراف في كون أن إعمال حقوق الإنسان من ناحية يعتمد على درجة معينة من الجودة البيئية المأمونة والنظيفة، وأن المشاكل البيئية والآثار السلبية للنظم الإيكولوجية، بما في ذلك التلوث وتغير المناخ والتدهور البيئي الشديد تعد حاجزا أمام التمتع الكامل بها. ومن ناحية ثانية فإن الإقرار باعتبار البيئة شرطا أساسيا للتمتع بحقوق الإنسان لا يقتصر على ضرورة توفر بيئة سليمة فحسب، بل وأيضا على ضرورة استدامة البيئة وحفظ التنوع البيولوجي والموارد الطبيعية، ذلك أن شح المياه، واستنزاف الثروة السمكية والكوارث الطبيعية، كلها عوامل من شأنها أن تقوض بشكل مباشر حقوق الإنسان.

الكلمات المفتاحية: حقوق الإنسان - البيئة- التدهور البيئي – البيئة السليمة- البيئة المستدامة

Résumé

En tant que résultat inévitable de l'interrelation fondamentale entre l'environnement et les droits de l'homme établis lors de la Conférence de Stockholm en 1972, la communauté internationale reconnaît qu'un environnement sain est une condition nécessaire à la jouissance des droits de l'homme. Le contenu de cette reconnaissance est déterminé par le fait que la réalisation des droits de l'homme dépend d'une part d'un certain degré de qualité de l'environnement sûr et propre, et que les problèmes environnementaux et les impacts négatifs des écosystèmes, y compris la pollution, le changement climatique et la grave dégradation de l'environnement, entravent leur pleine jouissance. D'autre part, reconnaître que l'environnement est une condition préalable à la jouissance des droits de l'homme ne se limite pas à la nécessité de fournir un environnement sûr, mais également à la nécessité de maintenir l'environnement, de préserver la diversité biologique et les ressources naturelles, car la pénurie d'eau, l'épuisement de la richesse halieutique et les catastrophes naturelles constituent des facteurs qui portent directement atteinte aux droits de l'homme.

Mots-clés : Droits de l'homme - L'environnement - La dégradation de - l'environnement - Environnement sain

مقدمـــة

لقد ساهمت الحركة البيئية الحديثة التي بزغت منذ ستينات القرن الماضي في تنمية الوعي البيئي لدى المجتمع الدولي، الذي أدرك بأن حياة الإنسان وكرامته لا يمكن أن تصان إلا حيثما يتسنى للناس العيش في بيئة تتسم بخصائص أساسية معينة، لا سيما مع تزايد وتصاعد حدة التهديدات البيئية بفعل التطور العلمي والتكنولوجي والصناعي التي باتت تشكل مصدر تهديد حقيقي على حياة الإنسان وصحته ومصدر غذاءه ومياهه ومسكنه، وهي كلها عناصر تشكل في نظر المجتمع الدولي حقوقا معترف بها ومكرسة في العديد من الاتفاقيات الدولية ذات الصلة بحقوق الإنسان.

إن هذا التأثير الذي باتت تفرضه البيئة بأبعادها وعناصرها ومشكلاتها المتعددة على حقوق الإنسان، دفع المجتمع الدولي لدعوة إلى خضرنة حقوق الإنسان، وهي فكرة قائمة على ضرورة التسليم بوجود علاقة تأثير وتأثر من البيئة السليمة والمستدامة على التمتع بحقوق الإنسان انطلاقا من فكرة مفادها أن حماية وتعزيز البيئة الصحية هي ضرورة لا غنى عنها من أجل حماية حقوق الإنسان مما يعني وجود علاقة قائمة بين حماية البيئة من جهة والتمتع بحقوق الإنسان من جهة أخرى، وفي الواقع أن التسليم بهذه حقيقة يدفعنا لا محالة للتساؤل فيما إذا كان الترابط بين حقوق الإنسان والبيئة السليمة التي تعد بمثابة عاملا أساسيا للتمتع بحقوق الإنسان المكرسة في المواثيق والصكوك الدولية يحظى بقبول وتأييد من المجتمع الدولي؟ وإن كان الأمر كذلك فكيف يمكن للبيئة السليمة أن تؤثر على التمتع بحقوق الإنسان؟ وهل هذا التأثير يطال كافة حقوق الإنسان؟

للإجابة عن هذه الأسئلة سنحاول التطرق لمسألة الاعتراف الدولي باعتبار البيئة السليمة كشرط للتمتع بحقوق الإنسان **(أولا)**، ثم إبراز مظاهر وجوانب تأثير المخاطر البيئية على التمتع بحقوق الإنسان **(ثانيا)**

أولا: الاعتراف الدولي بالبيئة السليمة كشرط للتمتع بحقوق الإنسان

أدرك المجتمع الدولي منذ عقود صلات الترابط بين البيئة وحقوق الإنسان، وهذا ما تم التعبير عنه بداية من خلال العديد من الإعلانات والمؤتمرات الذي تمت تحت إشراف منظمة الأمم المتحدة، وقد ترجم المجتمع الدولي فكرة الترابط بين حقوق الإنسان والبيئة أيضا من خلال تقنينها صراحة في العديد من اتفاقيات حقوق الإنسان، والاتفاقيات المتعلقة بالبيئة، بل وحتى في قرارات أجهزة وهيئات عالمية وإقليمية وفي دساتير الدول[1].

1- الاعتراف بالبيئة السليمة كشرط للتمتع بحقوق الإنسان في الاتفاقيات الدولية

سنحاول إبراز هذا الاعتراف أولا من خلال اتفاقيات حقوق الإنسان، ثم في إطار الاتفاقيات الدولية المعنية بالبيئة.

أ- الاعتراف البيئة السليمة كشرط للتمتع بحقوق الإنسان في اتفاقيات حقوق الإنسان

على الرغم من أن الإطار الدولي لحقوق الإنسان لم يتناول بشكل صريح ومباشر مسألة العلاقة بين حقوق الإنسان والبيئة، بل وأيضا لم يتطرق بشكل واضح إلى البيئة، كما هو الشأن مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، الاتفاقية الأوربية لحقوق الإنسان الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان، ويعود السبب في ذلك بلا شك إلى تاريخ اعتماد صكوك حقوق الإنسان، والذي كان سابقا على ظهور فكرة الترابط بين حقوق الإنسان والبيئة[2].

وإن كانت اللجان المنشئة بموجب هذه المواثيق قد فسرت لاحقا هذه المواثيق تفسيرا يعترف بالأبعاد البيئية للحقوق المشمولة بالحماية [3]، مع هذا تعترف بعض مواثيق حقوق الإنسان الأقدم المعتمدة في مجال حقوق الإنسان اعترافا ضمنيا بالصلة بين حقوق الإنسان والبيئة وبوجود أبعاد بيئية تنطوي عليها حقوق الإنسان[4]، كما في الحق في الحياة والغذاء والصحة والسكن والتملك والحياة الخاصة والحياة الأسرية،

وهو ما ينطبق على وجه الخصوص على نص المادة 12 من العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تنص بأن ((تقر الدول الأطراف في هذا العهد بحق كل إنسان في التمتع بأعلى مستوى من الصحة الجسمية والعقلية يمكن بلوغه)) وأيضا اتفاقية حقوق الطفل في المادة 24 منها التي جاء فيها: ((تعترف الدول الأطراف بحق الطفل في التمتع بأعلى مستوى صحي يمكن بلوغه (...) وتبذل الدول الأطراف قصارى جهدها لتضمن ألا يحرم أي طفل من حقه في الحصول على خدمات الرعاية الصحية هذه.

(...) وعن طريق توفير الأغذية المغذية الكافية ومياه الشرب النقية آخذة في اعتبارها أخطار تلوث البيئة ومخاطرها)).

كما نجد على الصعيد الإقليمي، اعتراف واضح بالترابط بين البيئة وحقوق الإنسان، كما هو الشأن بالنسبة للميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب، والذي يعد أول اتفاقية على المستوى الدولي تدرج الحق في البيئة في وثيقة تخص حقوق الإنسان باعتباره حق من حقوق الإنسان[5] وأيضا البرتوكول الإضافي الملحق بالاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية **(سان سلفادور)** المعتمد سنة 1988، الذي تضمن إشارة صريحة وواضحة لحق الإنسان في بيئة صحية والتي تعد شرطا للتمتع ببقية الحقوق[6].

أما الميثاق العربي لحقوق الإنسان لعام 2004، فكما يبدو من مضمون مادته 34، قد تأثر بما أعلنه مؤتمر ستوكهولم حول تأثير البيئة على إعمال حقوق الإنسان، حيث جاء في نص المادة بأن تعمل الدول الأطراف على: ((الاعتراف بحق كل فرد في المجتمع بالتمتع بأعلى مستوى

من الصحة البدنية(...) -تشمل الخطوات التي تتخذها الدول الأطراف التدابير الآتية:

(ه) توفير الغذاء الأساسي ومياه الشرب النقية لكل فرد.

(و) مكافحة عوامل التلوث البيئي وتوفير التصريف الصحي)).

وإذ نشير في هذا السياق إلى أن تاريخ اعتماد هذه المواثيق اللاحق على انعقاد مؤتمر ستوكهولم 1972 والذي أعلن صراحة ولأول مرة عن تلك العلاقة القائمة بين حقوق الإنسان و البيئة- ربما يكون سببا جوهريا لربط هذه المواثيق البيئة بحقوق الإنسان[7].

ب- الاعتراف بالبيئة السليمة كشرط للتمتع بحقوق الإنسان في الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالبيئة

تقدم اتفاقيات عديدة من اتفاقيات البيئة المتعددة الأطراف التي اعتمدت في السنوات الأخيرة الدليل على الصلة القائمة بين حماية البيئة والتمتع بحقوق الإنسان، والبعض من هذه الاتفاقيات يهدف بالأساس إلى حماية صحة الإنسان من المخاطر ذات الصلة بمختلف أشكال التلوث[8]، ونظرا للعدد الكبير من الاتفاقيات البيئية سنحاول تسليط الضوء على أهم هذه الاتفاقيات ونستهلها بداية من:

- **اتفاقية فيينا بشأن حماية طبقة الأوزون 1985**

ورد في افتتاحية ديباجة الاتفاقية ((أن الأطراف في هذه الاتفاقية إذ تدرك التأثير الضار المحتمل على الصحة البشرية وعلى البيئة من جراء حدوث تعديل في طبقة الأزون))، وتأكيدا على توجه الاتفاقية المتضمن إقرارها لمبدأ الترابط بين حقوق الإنسان والبيئة من ناحية اعتبار البيئة شرط ضروري للتمتع بحقوق الإنسان، أعادت الاتفاقية تبينها لوجود هذا الترابط في نص المادة 2 منها عندما قررت أيضا ((تتخذ الأطراف التدابير المناسبة (...) من أجل حماية الصحة البشرية والبيئة من الآثار الضارة التي تنجم أو يرجح أن تنجم عن الأنشطة البشرية التي تحدث تعديلا في طبقة الأوزون)) [9]

- **اتفاقية بازل بشأن التحكم في نقل النفايات الخطرة والتخلص منها عبر الحدود 1989**

تعترف اتفاقية بازل صراحة بوجود علاقة بين البيئة والتمتع ببعض حقوق الإنسان، ويظهر ذلك بشكل واضح من صياغة ديباجة الاتفاقية التي جاء فيها

بأن: ((أن الأطراف في الاتفاقية، إذ تدرك خطر الأضرار التي تلحق بالصحة البشرية والبيئة من جراء النفايات الخطرة والنفايات الأخرى ومن جراء نقلها عبر الحدود، وإذ تضع في اعتبارها التهديد المتزايد للصحة البشرية والبيئة نتيجة تزايد توليد النفايات الخطرة والنفايات الأخرى وتعقدها ونقلها عرب الحدود، ولهذا الغرض تضع الاتفاقية إجراء لمراقبة تنقل مثل هذه النفايات عبر الحدود وتشترط إدارتها إدارة سليمة من الناحية البيئية))[10].

- **اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ 1992**

التي تضمنت إشارات صريحة للترابط بين حقوق الإنسان والبيئة باعتبار البيئة السليمة شرط للتمتع بحقوق الإنسان من خلال التأكيد على تأثير المناخ على صحة الإنسان ورفاهه[11].

برتوكول قرطاجنة المتعلق بالسلامة الإحيائية لعام 2000

ألحق هذا البرتوكول باتفاقية التنوع البيولوجي لعام 2000 وكانت الغاية من إبرامه حماية التنوع البيولوجي وصحة الإنسان من المخاطر المحتملة، التي تشكلها الكائنات الحية المحورة نتيجة التكنولوجيا الإحيائية العصرية، حيث نجد البرتوكول يفرض على الدول الأطراف فيه بضرورة مراعاة الاعتبارات الاجتماعية والاقتصادية الناشئة عن تأثير الكائنات الحية المحورة على حفظ التنوع البيولوجي واستخدامه المستدام وبخاصة فيما يتعلق بقيمة التنوع البيولوجي بالنسبة للمجتمعات الأصلية والمحلية[12].

- **اتفاقية ستوكهولم بشأن الملوثات العضوية الثابتة لعام 2004**

من جهتها تبرز الترابط الواضح بين حقوق الإنسان والبيئة، ولهذا الغرض تسعى إلى حماية صحة الإنسان والبيئة من الأثر الضار للملوثات العضوية الثابتة، كما تبرز من جهة أخرى مدى التأثير السلبي للملوثات العضوية الثابتة على الحق في الصحة [13]، بل وتعترف أيضا بحق الجمهور في المعلومات ذات الصلة بالملوثات العضوية[14].

- **اتفاقية روتردام لعام 2004**

وضعت هذه الاتفاقية بهدف الحد من المخاطر المتصلة بالتجارة في مواد كيميائية ومبيدات خطرة معينة قصد حماية صحة الإنسان والبيئة من الضرر المحتمل، وتترجم الاتفاقية بوضوح مدى تأثير البيئة على جملة من حقوق الإنسان حيث تضع على عاتق كل دولة طرف التزام بضرورة إتاحة الفرصة المناسبة للجمهور للوصول إلى المعلومات بشأن مناولة المواد الكيماوية وإدارة الحوادث[15]، وبشأن البدائل التي هي أكثر أمانا بصحة الإنسان والبيئة من المواد الكيميائية المدرجة في المرفق الثالث بالاتفاقية[16].

زيادة على الاتفاقات المذكورة أعلاه تتضمن أيضا بعض الاتفاقيات الدولية ذات الصلة بالبيئة وحماية البيئة إشارات، وإن كانت تبدو غير مباشرة للعلاقة القائمة بين البيئة والمخاطر البيئية وبعض حقوق الإنسان، كما هو الشأن بالنسبة للاتفاقية الخاصة بحماية واستخدام مجارى المياه عبر الحدود والبحيرات الدولية والبروتوكول الخاص بالمياه والصحة (اتفاقية المياه) لسنة 1992، والتي ربطت في بعض المواضع بين حق الإنسان في المياه المأمونة وحقه في الصحة وبين المخاطر التي قد تنجر عن المياه غير المأمونة حيث جاء في سياق تعريفها للأثر العابر للحدود أي أثر سلبي كبير على البيئة ينتج عن تغير في حالة المياه العابرة للحدود بسبب النشاط البشري، وتؤدي الآثار البيئية من هذا القبيل للتأثير على صحة وسلامة الإنسان[17].

2- الاعتراف بالبيئة السليمة كشرط للتمتع بحقوق الإنسان في أعمال هيئات حقوق الإنسان

اعترفت الهيئات المنشئة بموجب معاهدات حقوق الإنسان في عدة مناسبات بعلاقة الترابط بين حماية البيئة والتمتع الفعلي بحقوق الإنسان، كما عملت على تبيان وإبراز طبيعة ومضمون العلاقة بين البعض من الحقوق الموضوعية المكرسة في اتفاقيات

حقوق الإنسان وحماية البيئة، وينعكس ذلك تحديدا في عدد من التعليقات العامة التي أصدرتها لجان حقوق الإنسان التعاقدية [18].

فاللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية و الثقافية في تعليقها رقم 4 (1991) بشأن الحق في سكن لائق قد فسرت هذا الحق باعتباره يشمل عناصر مثل إمكانية الحصول على السكن وصلاحية المنزل للسكن والموقع الملائم للسكن مما يقتضي عموما ألا يتم بناء المساكن في مواقع ملوثة بيئيا[19]. وأوضحت اللجنة أيضا الصلات بين السلامة البيئية وإعمال الحق في الغذاء الكافي ففي التعليق العام رقم 12(1999) بشأن الحق في غذاء كاف، ذكرت اللجنة أن إعمال هذا الحق يقتضي من الدولة الطرف أن تعتمد سياسات اقتصادية وبيئية واجتماعية مناسبة، وتتسم هذه السياسات بأهمية بالغة لضمان أن يكون الغذاء خالي من المواد الضارة الناجمة عن التلوث نتيجة لسوء الأوضاع الصحية البيئية[20] ومن المهم أيضا ملاحظة أن التعليق العام رقم 12 قد أشار أيضا إلى تغير المناخ وإنتاجية الأرض وغيرها من الموارد الطبيعية، وأن هذه العناصر مترابطة ترابطا لا ينفصم بالصحة البيئية للتربة والمياه[21].

كما أن اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، قد تناولت بشكل مفصل في تعليقها العام رقم 14 (2000) بشأن الحق في التمتع بأعلى مستوى من الصحة يمكن بلوغه مسألة الحق في الصحة ومحدداته الأساسية بما في ذلك البيئة النظيفة [22]، وفي التعليق العام رقم 15 لعام (2002 بشأن الحق في المياه) ربطت اللجنة على نحو صريح بين الحق في المياه والشواغل البيئية، مؤكدة على أن إمدادات المياه الكافية هي تلك التي تكون خالية من الكائنات الدقيقة والمواد الكيميائية والمخاطر الإشعاعية والتي تكون مقبولة من حيث لونها ورائحتها وطعمها بالنسبة للاستخدام الشخصي والمنزلي[23] زيادة على ما تقدم تضيف اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بأن الحق في المياه هو حق من حقوق الإنسان أيضا، يتسم بأهمية حيوية لصون الكرامة الإنسانية وإعمال حقوق الإنسان وبخاصة الحق في التمتع بمستوى معيشي ملائم والحق في الغذاء والصحة[24].

من جانبها تعترف اللجنة المعنية بالحقوق المدنية والسياسية المنشئة بموجب العهد الدول الخاص بالحقوق المدنية والسياسية بعلاقة الترابط بين حقوق الإنسان والبيئة، وإن كانت قد عبرت عن ذلك بصورة غير مباشرة في تعليقها العام رقم 23/ 1993، على نص المادة 27 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، حيث لاحظت اللجنة المعنية في إطار تفسيرها للحق في الثقافة كما هو وارد في نص المادة 27 كحق من حقوق الأقليات: ((إنما يشمل أسلوب العيش الذي يرتبط باستخدام موارد الأرض لا سيما في حالة السكان الأصليين كما يمكن أن يشمل هذا الحق أنشطة تقليدية مثل صيد السمك أو الصيد والحق في العيش في المحميات الطبيعية التي يصونها القانون)) [25].

من جهتها انتهجت اللجنة المعنية بالقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة ذات التوجه إزاء حقوق المرأة، عندما ربطت اللجنة البيئة بالحق في الصحة في ملاحظاتها الختامية على تقرير دولة رومانيا الذي عبرت، فيه اللجنة عن مخاوفها بشأن حالة البيئة، وتأثيرها على صحة المرأة [26].

كما تضمنت لجنة حقوق الطفل العديد من الملاحظات التي أصدرتها لجنة حقوق الطفل المنشئة بموجب اتفاقية حقوق الطفل مطالب بضرورة الامتثال للمادة 24 فقرة 2/ج من اتفاقية حقوق الطفل، ما يعني انتهاج اللجنة رؤية واحدة حيال مسألة تأثير البيئة على تمتع الطفل بحقوقه، ففي ملاحظاتها الختامية على تقرير مقدم من جانب دولة الأردن على سبيل المثال أوصت اللجنة بضرورة أن: ((يتخذ الأردن جميع التدابير المناسبة بما في ذلك من خلال التعاون الدولي لمنع ومكافحة الآثار الضارة للتلوث البيئي وتلوث إمدادات المياه على الأطفال)) [27].

هذا وتوسع الاعتراف بالعلاقة القائمة بين حقوق الإنسان والبيئة، إذ لم يعد الأمر يقتصر عند

هيئات حقوق الإنسان بل أيضا مختلف أجهزة الأمم المتحدة لا سيما الجمعية العامة ومجلس حقوق الإنسان وعدد من الوكالات المتخصصة في صورة منظمة الصحة العالمية ومنظمة العمل الدولية منظمة الأمم المتحدة للأغذية و الزراعة (الفاو)، ففي عام 2010 مثلا أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة بموجب القرار 292/64 على وجود علاقة التأثير بين البيئة وحقوق الإنسان معتبرة بأن مياه الشرب النظيفة والصرف الصحي ضرورية لإعمال جميع حقوق الإنسان.

وفي ذات السياق عبرت هيئات حقوق الإنسان الإقليمية من لجان ومحاكم حقوق الإنسان منشئة بموجب الاتفاقيات الإقليمية لحقوق الإنسان، في سياق ممارسة اختصاصها القضائي عند البث في الشكاوى الفردية والجماعية المعروضة عليها، عن هذه العلاقة من خلال إبراز الأبعاد البيئية التي ينطوي عليها عدد من الحقوق المشمولة بالحماية[28] كالحق في الحياة والحق في الصحة الحق في الحياة الخاصة والأسرية، الحق في التملك، وأيضا الحق في التنمية[29].

فالمحكمة الأوربية لحقوق الإنسان قد أسهمت في توضيح العلاقة بين حقوق الإنسان والبيئة وخصوصا في القضايا التي تنطوي على تلوث بيئي، فقد خلصت المحكمة مثلا إلى أن التلوث البيئي يمكن أن يؤثر على التمتع بعده حقوق مشمولة بالحماية وبخاصة الحق في الحياة والحق في الحياة الخاصة والأسرية كما خلصت المحكمة إلى أنه يقع على عاتق الدولة واجب حماية الأفراد من المخاطر البيئية[30]، من جهتها أوضحت اللجنة الأوربية للحقوق الاجتماعية، وهي اللجنة التي تتولى رصد تنفيذ الميثاق الاجتماعي الأوربي الأبعاد البيئية التي ينطوي عليها الحق في الصحة، كما أوضحت اللجنة أنه يجب على الدولة أن تتخذ جميع الخطوات الممكنة عمليا لإعمال الحق في الصحة وهذا يشتمل التنفيذ الملائم للاتفاقات البيئية الدولية[31].

وساهمت محكمة البلدان الأمريكية لحقوق الإنسان المنشئة بموجب الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان، في إرساء معايير هامة لحماية الشعوب الأصلية والقبلية فيما يتعلق بالبيئة، واعترفت المحكمة بأن للشعوب الأصلية والقبلية حق في تملك الأراضي والأقاليم التي اعتادت على العيش فيها[32]. أما اللجنة الإفريقية لحقوق الإنسان والشعوب المنشئة بموجب الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب فقد تناولت بالتفصيل أهمية الحق في التمتع ببيئة صحية المعترف به في الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب، و ركزت اللجنة الإفريقية لحقوق الإنسان والشعوب تركيزا خاص على حقوق الشعوب الأصلية والقبلية المتأثرة من جراء التدهور البيئي الناجم عن أنشطة الصناعات الاستخراجية وإبعاد هذه الشعوب قسرا عن أراضيها التقليدية[33].

3- الاعتراف بالبيئة السليمة كشرط للتمتع بحقوق الإنسان في المؤتمرات الدولية (الإعلانات الدولية)

شكلت البيئة محور اهتمام متزايد من جانب منظمة الأمم المتحدة، خاصة اعتبارا من سنة 1960 وقد ترجم هذا الاهتمام من خلال العديد من المؤتمرات المتعلقة بالبيئة والتي تمت تحت إشراف منظمة الأمم المتحدة وترتب عنها العديد من الإعلانات والقرارات ركزت فيها على العلاقة بين نوعية البيئة وتمتع الإنسان بحقوقه الأساسية، وهي القرارات والإعلانات التي أسست لظهور القانون الدولي للبيئة.

ولعل أهم مؤتمر على الإطلاق والذي يعد بمثابة لبنة القانون الدولي للبيئة[34] مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة الذي عقد بموجب قرار الجمعية العامة في الدورة رقم 23 2398 المؤرخ في 1972/12/3 في ستوكهولم في الفترة من 5 إلى 16 جوان 1972، والذي تم فيه الربط بين الحفاظ على البيئة وحقوق الإنسان والاعتراف بشكل واضح بأن عناصر البيئة هي من العوامل الأساسية لرفاه وحياة الإنسان وينص المبدأ (1) من إعلان مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة البشرية الصادر على وجود حق أساسي في الحرية والمساواة وفي ظروف معيشة ملائمة في بيئة ذات نوعية تسمح بحياة تتسم بالكرامة والرفاه[35].

وبعد أكثر من عشرين سنة عقد مؤتمر ثان في إطار منظمة الأمم المتحدة يخص البيئة البشرية ألا وهو مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية[36]، بموجب قرار الجمعية العامة 44/228 المؤرخ 20 كانون الأول/ديسمبر 1988، بريو دي جانيرو بالبرازيل في الفترة من 3 إلى 14 جوان 1992، وهو المؤتمر الذي يطلق عليه أيضا تسمية (مؤتمر ريو) أو (بقمة الأرض)، وعلى الرغم من أن مؤتمر ريو ركز جهوده على التنمية المستدامة والبيئة، لكنه بالمقابل أشار إلى فكرة الترابط بين البيئة وحقوق الإنسان ولو بصورة غير مباشرة [37]. وهي الفكرة التي تم تداولها ضمن فعاليات مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة الذي عقد أيضا بإشراف الأمم المتحدة بموجب قرار الجمعية العامة 199/55 في الفترة من 8/26 إلى غاية 9/4 / 2002 بجوهانسبورغ، (ريو+10).

وعلى الرغم من أن جهود المؤتمر انصبت على مناقشة علاقة البيئة بالتنمية المستدامة، مع هذا ربط الإعلان الخاص بالمؤتمر بين البيئة السليمة والمستدامة والتمتع بالحق في الصحة[38]، ويظهر تأكيد الربط بين حماية البيئة وحقوق الإنسان أيضا في مبادئ مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة عقد بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 197/66 في ريو دي جانيرو في الفترة 20 إلى 22 حزيران/يونيه 2012، يطلق عليه تسمية ريو+20 وقد تضمنت الوثيقة الصادرة عن المؤتمر والمعنونة **(بالمستقبل الذي نصبو إليه)** إشارة واضحة لتأثير البيئة على حياة الإنسان ورفاه[39]، وهي الفكرة ذاتها الذي انطلق منها مؤتمر الأمم المتحدة للتغيير المناخي **(قمة المناخ)** في باريس 2015 والذي عقد بهدف الوصول إلى تثبيت تركيزات الغازات الدفيئة في الغلاف الجوي عند مستوي يسمح للنظام البيئي بأن يتكيف بصورة طبيعية مع تغير المناخ وبالتالي حماية الإنسان من خطر يصل إلى النقص في الغذاء والماء، والسماح بالمضي قدما في إيجاد وخلق سبل للتنمية الاقتصادية علي النحو المستدام ولأجل ذلك اعترف المؤتمر بعلاقة الترابط بين البيئة وحقوق الإنسان وهذا ما يظهر في المبادئ الذي جاء بها هذا المؤتمر[40].

ثانيا: المخاطر البيئة وتأثيرها على التمتع بحقوق الإنسان

تؤكد العديد من الدراسات والإحصائيات والتقارير الصادرة عن أجهزة منظمة الأمم المتحدة المعنية بمسألة حقوق الإنسان والبيئة، ودراسة العلاقة بينهما على أن التدهور البيئي بمختلف أنماطه يحول دون التمتع الفعلي بالعديد من حقوق الإنسان، هذه الأخيرة الذي يتوقف إعمالها على وجود بيئة داعمة من جهة ومستدامة من جهة أخرى، وهذا ما سنحاول إبرازه في هذا الجزء من المقال.

1- المخاطر البيئية المؤثرة على حقوق الإنسان

تتعدد وتتنوع المخاطر البيئية الذي تؤثر على بيئة الإنسان، وبالتالي تنعكس على ممارسة عدة حقوق وقد تزايدت هذه المخاطر بشكل مضطرد مع تزايد التقدم العلمي والتطور التكنولوجي، مما جعل من الصعوبة بمكان حصر مجمل هذه المخاطر البيئية، الذي تنجم عن التلوث بمختلف أشكاله، مع هذا يمكننا إبراز أهم المخاطر البيئية بالنظر لتأثيراتها السلبية على التمتع بحقوق الإنسان على نحو ما أبرزته دراسات وتقارير وإحصاءات أجهزة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة وهي على النحو الآتي:

أ- تغيير المناخ

يشكل تغير المناخ إحدى أهم التهديدات والمخاطر البيئية للبشرية في القرن الحالي بسبب انعكاساته

وأضراره بالبيئة، ولأجل مجابهة هذه الظاهرة البيئية عكف المجتمع الدولي على تبني عدة اتفاقيات للحد من الآثار السلبية للظاهرة، ولعل أهمها اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ والذي حددت مضمون تغير المناخ على أنه: ((التغيير الذي يعزى بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى النشاط البشري الذي يفضي إلى تغير في تكوين الغلاف الجوي العالمي)) [41]، وتضيف ذات الاتفاقية توضيح دقيق لمفهوم الآثار الضارة لتغيير المناخ على أنها تعني: ((التغيرات التي تطرأ

على البيئة الطبيعية أو الحيوية من جراء تغير المناخ والتي لها آثار ضارة كبيرة على تكوين أو مرونة أو إنتاجية النظم الإيكولوجية الطبيعية والمسيرة أو على عمل النظم الاجتماعية و الاقتصادية أو على صحة الإنسان ورفاهه)) [42].

ويؤدي تغير المناخ للعديد من الأضرار البيئية منها زيادة تواتر الظواهر الجوية والكوارث الطبيعية الشديدة وارتفاع مستويات سطح البحر والفيضانات وموجات الحر والجفاف وانتشار أمراض المناطق المدارية والأمراض المنقولة بالنواقل[43].

ب- المخاطر البيئية الأرضية وندرة المياه وتدهور نوعيتها

تتعدد المشكلات الناجمة عن المخاطر البيئية الأرضية وتتصدر قائمة هذه المشكلات والمخاطر تدهور الأراضي وإزالة الغابات والتصحر وعادة ما تكون تأثيرات ذلك إقليمية الى حد أبعد رغم أن للتدهور الأراضي أثارا عالمية ولكل من هذه المخاطر انعكاسات مدمرة بيئيا وتأثيرات سلبية على استمرار ورفاه الإنسان. وثمة خطر هام آخر يتمثل في فقدان التنوع الإحيائي (البيولوجي) بسبب التغيرات في استخدام الأراضي وبخاصة تحويل الأنظمة الإيكولوجية الطبيعية إلى أراض زراعية الاستخدام غير المستدام للنظم الإيكولوجية والاستغلال المفرط للتنوع البيولوجي، وكذا بفعل تغير المناخ بصورة تدريجية حيث لوحظت التغيرات في توقيت الإزهار وأنماط الهجرة، فضلا عن توزع الأنواع بالفعل في أنحاء العالم ويمكن لهذه النوعية من التغيرات أن تغير في سلاسل الغذاء، وخلق تباين في إطار النظم الإيكولوجية التي طورت فيها الأنواع المتعددة فيما بينها اعتمادا متبادلا ومتزامنا، فضلا عما يتسبب فيه نقل النباتات والحيوانات والكائنات الحية - بقصد أو بدون قصد – إلى منطقة خارج نطاقاتها الجغرافية الطبيعية في حدوث أضرار كبيرة للأنواع الأصلية التي تتنافس معها على الغذاء، أن تتغذى عليها، وبالتالي نشر الأمراض والتسبب في حدوث تغيرات جينية من خلال التناسل مع الأنواع الأصلية وهو ما سيؤدي بالتالي إلى تعطيل جوانب عدة من شبكة الغذاء والبيئة المادية.

كما يسبب تراكم تلوث الفسفور والنيتروجين، الذي يسببه بشكل كبير فائض الأسمدة الزراعية المتسربة من الأراضي الزراعية ومن المجاري والنفايات السائلة الأخرى، في تراكم طحالب قادرة على الاستفادة من العناصر الغذائية المضافة. ويمكن أن تكون الطحالب نفسها سامة وتسبب خطرا على الصحة، إلا أن ضررها الأكبر على التنوع البيولوجي هو الذي يسببه عندما تحليلها للأوكسجين أو استخدامه بكميات كبيرة في المياه، مسببة بذلك **(مناطق موت)** [44].

من جهة أخرى يعد تدهور نوعية المياه وشح المياه العذبة والضغوط على المحيطات مثل انهيار مصائد الأسماك جانب آخر من جوانب المشاكل البيئية الواسعة الانتشار والتي تكون لها بالتأكيد انعكاسات محتملة على حقوق الإنسان[45].

ج- الكوارث الطبيعية

تشكل الكوارث الطبيعية المختلفة الأعاصير والعواصف الإعصارية المدارية وطوفان المد الزلزالي (تسونامي) والتوارث البركانية والهزات الأرضية والجفاف والفيضانات والانهيارات الأرضية وغيرها من الكوارث التي قد تنجم عن عمليات جيولوجية، أو حتى جراء أنشطة بشرية مثل التسبب في انبعاثات غازات الدفيئة في الجو، إحدى المظاهر البيئية التي تؤثر لا محالة على بعض حقوق الإنسان لا سيما في ظل التزايد المستمر لهذه الكوارث الطبيعية، وتفيد إحدى إحصائيات برنامج الأمم المتحدة للبيئة على سبيل المثال إلى أنه قد حدث منذ عام 2000 ما يزيد عن 2500 كارثة طبيعية في شتى أنحاء العالم[46].

2- مظاهر تأثير البيئة على التمتع بحقوق الإنسان

إن للأضرار البيئية أبعاد سلبية على حقوق الإنسان إما بصورة مباشرة على نحو يحد من قدرة الفرد أو المجتمع على التمتع بحق معين مكفول له، أو بصورة غير مباشرة حيث يولد الشعور بأن البيئة الرديئة ستؤثر على قدرة الفرد أو المجتمع على تجسيد حقوق الإنسان عموما، أو تعرقل قدرة الحكومة على حماية وإعمال حقوق مواطنيها، وبهذا المعنى يمكن

القول بأن البيئة تعد بحق شرط مسبق للتمتع بحقوق الإنسان بما في ذلك الحق في الحياة، والحق في الغذاء الكافي، والحق في الصحة، والحق في السكن الملائم والحق في تقرير المصير، الحق في المياه المأمونة والصرف الصحي، وأن النتيجة الطبيعية لهذا النهج هي أن تدهور البيئة يمكن أن تصل إلى حد انتهاك حقوق الإنسان بموجب القانون الدولي.

أ- تأثير المخاطر البيئية على الحق في الحياة

تنطوي المخاطر البيئية المختلفة على عدد من التأثيرات المباشرة وغير المباشرة على الحق في الحياة كزيادة عدد الوفيات والأمراض والإصابات الناجمة عن موجات الحر والفيضانات والعواصف والجفاف وبالمثل يؤثر تغير المناخ على الحق في الحياة من خلال زيادة في الجوع وسوء التغذية وفي حالات الإصابة بأمراض القلب والتنفسية والوفيات المتصلة بالأوزون على سطح الأرض، وتفيد التقديرات المتصلة بتأثير تغير المناخ بأن مخاطر الأعاصير المدارية التي تمس 120 مليون شخص سنوي قد أودت بحياة 250,000 شخص خلال الفترة ما بين 1985 و 2000 [47].

ب- تأثير المخاطر البيئية على الحق في الصحة

هناك إجماع دولي عام على أن الحق في الصحة الذي ويتوقف التمتع به على توافر جملة أمور منها الخدمات الصحية الجيدة وظروف العمل الآمنة والسكن اللائق والغذاء والمياه والصرف الصحي والبيئة الصحية[48]، عرضة مباشرة للمخاطر البيئية في جوانبه ومكوناته المختلف، فحسب منظمة الصحة العالمية فإن تزايد درجات الحرارة وشدتها بفعل تغير المناخ أدت الى تزايد حالات الوفاة لا سيما بالنسبة للأشخاص الذين تتجاوز أعمارهم 60 سنة[49]، ناهيك عما تفرزه من أمراض التنفس والقلب والأوعية الدموية التي تشكل خطر على صحة الأشخاص العاملين في العراء أو في ظروف غير مهيأة بصورة فعالة من الناحية المناخية.

وتشمل المخاطر الصحية المتصلة بالبيئة المهنية ضربات الشمس التي تتطلب العلاج السريري كما يعزى لتلوث الهواء أثار ترتبط بأمراض القلب والأوعية الدموية والأمراض التنفسية والتوحد، كما قد تؤدي المخاطر البيئية الناجمة عن الكوارث الطبيعية الى مخاطر على صحة الإنسان كالإعاقة وانتقال الأمراض المعدية والالتهابات وفقدان الدخل والمحاصيل كما يمكن أن تلحق أضرارا بمرافق المياه والصرف الصحي[50].

زيادة على ما تقدم تسهم المخاطر البيئية في التأثير على الحق في الصحة من خلال الإضرار بالحق في التغذية الذي يشكل إحدى جوانب الحق في الصحة بسبب التغيرات في المحاصيل، وفقدان سبل العيش وزيادة حالات الفقر وانخفاض فرص الحصول على الغذاء والماء، وحسب تقديرات البنك الدولي الأخيرة فإن ارتفاع درجات الحرارة وشدتها مؤخرا من شأنه أن يعرض ما بين 100 مليون و400 مليون شخص إضافي لخطر الجوع، هذا ولا يقتصر الضرر الناجم عن نقص التغذية في المجاعة فحسب بل وأيضا في زيادة معدلات الاعتلال جراء أمراض مثل الإسهال والالتهاب الرئوي والملاريا والحصبة أما عن الصحة العقلية فإن مظاهر تأثير المخاطر البيئية تبرز وحسب ما توصلت إليه العديد من الأبحاث والدراسات الطبية والعلمية في ظهور حالات التوتر والاضطراب والاكتئاب أو الصدمات نتيجة الكوارث الطبيعية خاصة[51].

وحددت لجان عمل مختلفة، من بينها مجلس حقوق الإنسان واللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومقررون خاصون، واللجنة الأفريقية، واللجنة الأوروبية للحقوق الاجتماعية، عددا من الأخطار البيئية التي تهدد الحق في التمتع بأعلى مستوى ممكن من الصحة البدنية والعقلية، ومن الأمثلة على ذلك التخلص من النفايات السمية بطريقة غير سليمة، والتعرض للأشعة والمواد الكيميائية الضارة[52] والتلوث النفطي، وتلوث المياه على نطاق واسع[53].

ج- تأثير المخاطر البيئية على الحق في مستوى معيشي ملائم

يتضمن الحق في مستوى معيشي ملائم عناصر متعددة تتحدد في: الحق في السكن الملائم، الحق في الغذاء الكافي، والحق في المياه[54]، واستنادا لهذه

العناصر سنحاول إبراز مدى تأثير المخاطر البيئية على كل حق من هذه الحقوق على حدة.

1- الحق في السكن الملائم

يعرف الحق في السكن اللائق المكرس في العديد من مواثيق حقوق الإنسان بأنه: ((حق المرء في أن يعيش في مكان ما في امن وسلام وكرامة)) وتشمل عناصر هذا الحق الرئيسية أمن حيازة الأراضي والجماعة من الطرد التعسفي وتوافر الخدمات والمرافق و البنى الأساسية وإتاحتها بتكاليف مقبولة وتهيئة المساكن وتيسير الوصول إليها وكفالة ملائمتها من حيث الموقع والجوانب الثقافية[55] .

ويعتبر الحق في السكن أيضا من حقوق الإنسان الأكثر عرضة للتأثيرات السلبية للمخاطر البيئية فلارتفاع مستوى المستوطنات المحلية، ويشكل نقص موارد الرزق الناجم جزء منه عن تغيير المناخ دافعا رئيسيا لزيادة الهجرة من الأرياف إلى المدن، ما يدفع بالكثيرين لتنقل إلى أحياء حضرية فقيرة ومستوطنات عشوائية يضطرون فيها في أحيان كثيرة الى بناء مساكن في مناطق خطرة، وتفيد التقديرات بأن مليار شخص يعيشون اليوم بالفعل في أحياء حضرية فقيرة على سفوح جبلية هشة أو ضفاف نهرية مهددة بالفيضان حيث يتعرضون بشدة للأحداث المناخية القاسية، وفي هذا السياق بينت المقررة الخاصة المعنية بالسكن اللائق كعنصر من العناصر المكونة للحق في مستوى معيشي مناسب وبالحق في عدم التميز في هذا السياق كيف أن هذا الحق مهدد نتيجة تغير المناخ[56].

2- الحق في الغذاء الكافي

كما تمتد التأثيرات السلبية للمخاطر البيئية لتطال أيضا الحق في الغذاء الكافي باعتباره حقا معترف به للإنسان يشمل في تفسير اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في تعلقها العام رقم 12/ 1999: **((توفر الغذاء بكمية ونوعية تكفيان لتلبية الاحتياجات التغذوية للأفراد وخلو الغذاء من المواد الضارة وكونه مقبولا في سياق ثقافي معين وإمكانية الحصول على الغذاء بطرق تتسم بالاستدامة ولا تعطل التمتع بحقوق الإنسان الأخرى))** [57].

فبالنسبة لتأثير الاحتباس الحراري على الحق في الغذاء يمكننا القول أنه، إذ وعلى الرغم من أن توقعات تفيد بأن تغير المناخ قد يؤدي الى زيادة القدرة على إنتاج الغذاء بين خطوط العرض الوسطى والعليا بالاقتران مع زيادة في متوسط درجات حرارة عالمية تتراوح بين 1 و3 درجات مئوية غير أن إنتاجية المحاصيل يتوقع أن تنخفض في خطوط العرض الدنيا مما يزيد خطر الجوع وانعدام الأمن الغذائي في المناطق الفقيرة من العالم، وتفيد التقديرات الواردة في تقرير التنمية البشرية لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي المعنون ب **(ما وراء الندرة: القوة والفقر وأزمة المياه العالمية)** لعام 2006 إلى أن 600 مليون شخص إضافي سيواجهون سوء التغذية بسبب تغير المناخ.

إضافة إلى ذلك، حددت مصادر عديدة بعض الأخطار البيئية التي تهدد الحق في مستوى معيشي لائق، على سبيل المثال أشارت اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية إلى الاستخدام غير السليم لمبيدات الآفات بوصفه خطراً يهدد الحق في الغذاء، في حين خلص المقرر الخاص المعني بالحق في الغذاء إلى أن هذا الحق معرض للخطر نتيجة التلوث وفقدان الموئل[58].

3- الحق في الماء

يعد الماء عنصرا أساسيا للتمتع بحياة كريمة وعاملا حيويا لإعمال العديد من الحقوق الأخرى مثل الحق في الصحة والحياة والتمتع بمستوى معيشي لائق، ومع أن العهد الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لم يأت على ذكر هذا الحق صراحة، إلا أنه يعد ضمن فئة الضمانات الأساسية التي تعمل على تأمين مستوى معيشي كاف، نظرا إلى أنه واحد من أهم الشروط الأساسية للبقاء[59] ، كما تم الاعتراف به كحق من حقوق الإنسان قائم بذاته في عدد من الاتفاقيات الدولية المعنية بحقوق الإنسان، كاتفاقية القضاء على جميع أشكال التميز ضد المرأة[60] واتفاقية حقوق الطفل[61].

ويشمل مفهوم الماء في تفسير اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في تعليقها العام رقم 2002/15 ((حريات وحقوقاً في آن مع. وتتضمن الحريات الحق في مواصلة الاستفادة من الإمدادات الموجودة للمياه اللازمة لإعمال الحق في الماء، والحق في عدم التعرض للتدخل، مثل الحق في عدم التعرض لوقف تسعفي لإمدادات المياه أو تلوثها، وبالمقابل، تتضمن الحقوق الحق في نظام للإمدادات بالمياه وإدارتها يتيح التكافؤ في الفرص أمام الناس للتمتع بالحق في الماء)) [62]، ويفهم من تفسير اللجنة هذا أن الحق في الحياة إنما يتطلب: التوافر- الجودة- إمكانية الوصول.

أما عن المخاطر البيئية المحدقة بالحق في المياه فهي عديدة، كتأثير تغير المناخ على الحق الإنسان في الوصول إلى المياه الآمنة، ذلك أن فقدان الكتل الجليدية وتقلص الغطاء الثلجي بشكل متزايد يؤثر سلبا على توافر المياه لما يزيد عن 6/1 من سكان العالم الذين يتزودون بالمياه المنسابة من ذوبان الثلوج في السلاسل الجبلية وستؤثر بلا شك أحوال الطقس القاسية، مثل الجفاف والفيضانات أيضا على الإمدادات بالمياه، وهكذا سيفاقم تغير المناخ الضغوط القائمة على الوارد المائية وسيعقد مشكلة الوصول الى ماء الشرب المأمون كحق من حقوق الإنسان الذي يحرم منه حاليا ما يقدر بنحو 1،1 مليار شخص في العالم مما يشكل سببا رئيسيا من أسباب الاعتلال والمرض[63].

خاتمـة

في الأخير نخلص للقول بأن بروز الحركة البيئية الحديثة منذ أواخر ستينات ، كان لها بالغ الأثر ليس على خلق وعي دولي بقضايا البيئة فحسب، بل استشعرت المجتمع الدولي لتأثيراتها على حقوق الإنسان بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وهي النتيجة التي أدت في نهاية المطاف لاعتراف دولي بوجود علاقة محورية بين التمتع بحقوق الإنسان و حماية البيئة، وهي علاقة ترتكز في جوهرها على مبدأ اعتبار البيئة السليمة شرطا مسبقا للتمتع بحقوق الإنسان، وما ترتب عن هذا الاعتراف من **نتائج تم التوصل إليها نوجزها في الآتي:**

- وجود اتفاق دولي باعتبار البيئة السليمة والآمنة والمستدامة شرطا لازما للتمتع بحقوق الإنسان وقد ترجم هذا الإجماع الدولي في مواد العديد من الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان العالمية منها والإقليمية وتلك المتعلقة بالبيئة، والتي عكفت جميعها على إبراز جوانب البعد البيئي على حقوق الإنسان كما يجد هذا الإجماع صداه في العديد من الأحكام والقرارات الصادرة عن هيئات حقوق الإنسان والمؤتمرات الدولية، والتي بدورها عملت على توضيح الصلات بين حقوق الإنسان والبيئة، وتوفير الإرشادات والتوجيهات للدول.

-أن البيئة غير السليمة أو غير الصحية وعلى الرغم من أنها تشكل عائقا يحول دون التمتع بحقوق الإنسان المدنية منها والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وبل وحتى الحقوق الجماعية التي تعرف بحقوق الجيل الثالث. غير أن صدى تأثيرها يتزايد بالنسبة لحقوق معينة بذاتها وهي: الحق في الحياة الحق في مستوى معيشي ملائم (بما فيها الحق في الغذاء، الحق في المأوى، الحق في المياه) الحق في الصحة الحقوق الثقافية للأقليات.

-أن هناك عددا من المخاطر البيئية التي من شأنها أن تعيق تمتع الإنسان بحقوقه، وأن هذه المخاطر يصعب التنبؤ بها وحصرها أمام موجات التقدم العلمي والتطور التكنولوجي الهائل.

-إن ترابط حقوق الإنسان والبيئة واعتبار الأخيرة شرطا وعاملا جوهريا في التمتع بحقوق الإنسان، فكما من شأنه أن يساهم على تهيئة الجو الملائم لممارسة تلك الحقوق، غير أنه في ذات الوقت له انعكاس ايجابي على البيئة، ذلك أن استشعار الدول بضرورة إعمال حقوق الإنسان وعدم انتهاكها يدفعها بشكل غير مباشر لئن تكون أكثر حرصا على حماية البيئة، وعليه إن صح القول فإن العلاقة بين البيئة وحقوق الإنسان هنا علاقة تأثير وتأثر متبادل.

- أن الاعتراف باعتبار البيئة السليمة شرطا مسبق للتمتع بحقوق الإنسان، لا يعدو مجرد اعتراف وفقط بل هو اعتراف يحمل في مضمونه التزام على عاتق الدول

جماعة وفرادى بضرورة العمل على اتخاذ التدابير اللازمة لدرء المخاطر البيئية التي قد تحول التمتع الفعلي بحقوق الإنسان.

- كما أنه لا يمكن الحديث حقيقة عن صدى اعتراف المجتمع الدولي باعتبار البيئة السلمية شرطا للتمتع بحقوق الإنسان، في ظل غياب اتفاقية دولية ملزمة تعترف بالحق في البيئة السليمة كحق من حقوق الإنسان، ذلك أن وجود اتفاقية ذات طابع ملزم من شأنه أن يجعل ممارسة حقوق الإنسان انطلاقا من بيئة صحية سليمة وآمنة التزاما على عاتق الدول.

- على الرغم من أن العديد من اتفاقيات حقوق الإنسان وإلى جانب العديد من الاتفاقيات والمعاهدات البيئية، غالبا ما تؤكد على الربط بين حماية البيئة واستدامتها من جهة وبين التمتع بحقوق الإنسان غير أن هذا الاعتراف يفتقر لآلية وأطر تجسيدها على أرض الواقع، وهذا ما يجعل التأييد الدولي للاعتراف باعتبار البيئة السليمة شرطا للتمتع بحقوق الإنسان اعترافا نظريا غير مجدي.

وبالتالي فإن الأمر يعوزه اتخاذ جملة من الإجراءات والتدابيريتم تضمينها في المقترحات الآتية:

- تقنين الحق في البيئة النظيفة كحق من حقوق الإنسان ضمن اتفاقية دولية بشأن الحق في البيئة تفرض التزامات على الدول عاتق الدول لتجسيده على أرض الواقع، لا سيما آليات تعمل على رصد مدى احترام هذا الحق.

- إن تحقيق الاعتراف الدولي باعتبار البيئة السليمة والمستدامة شرطا للتمتع بحقوق الإنسان نتائج واقعية يتوقف بالدرجة الأولى أيضا على ضمان الحقوق الإجرائية البيئية والتي تتحدد أساسا في نشر المعلومات البيئية الموثوقة والكافية وتعميمها على الجمهور، وكذا مشاركة الجمهور في اتخاذ القرارات في مجال البيئة وفي تبني السياسات البيئية وتنفيذها، باعتبار حقوقهم في تماس مباشر مع الأضرار والمشكلات البيئية، وهذا يتحقق بتطبيق ما ورد على وجه الخصوص في اتفاقية أرهوس لعام 1998.

- كما يمكن للالتزامات المفروضة على عاتق الدول بموجب اتفاقيات حقوق الإنسان والمتضمنة احترام تلك الحقوق المدنية والسياسية، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحتى الجماعية، أن تسهم إلى حد ما في تجسيد فعلي لعلاقة الترابط بين البيئة والتمتع بحقوق الإنسان، لا سيما في ظل عدم وجود اتفاقية دولية ملزمة تخص الحق في البيئة كحق من حقوق الإنسان.

وفي الواقع أن الوصول إلى النتائج المرجوة من إقرار المجتمع الدولي بوجود ترابط جوهري بين البيئة وحقوق الإنسان، لكون الأخيرة لا يمكن أن يتم إعمالها إلا من خلال بيئة سليمة ومستدامة، يتطلب تضافر الجهود الدولية لا سيما وأن الضرر البيئي اليوم في ظل التزايد التكنولوجي بات عابرا للحدود.

الهوامش:

[1] ـ مجلس حقوق الإنسان، تقرير حول تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان المدنية و السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بما فيها الحق في التنمية-دراسة تحليلية بشأن العلاقة بين حقوق الإنسان والبيئة، المؤرخ في 2011/12/16، A-HRC-19-34_ar › Session19 › https://www.ohchr.orgص 7، على الموقع التالي:

[2]ـ تقرير مجلس حقوق الإنسان:(**بشأن العلاقة بين تغيير المناخ وحقوق الإنسان)**. الدورة 10.البند 2 المؤرخ في 2009/1/15A/HRC/10/61، ص 7.

[3]ـ مجلس حقوق الإنسان، تقرير حول تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان المدنية و السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بما فيها الحق في التنمية، المرجع السابق، نفس الصفحة.

[4]ـ مجلس حقوق الإنسان، تقرير حول تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان المدنية و السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بما فيها الحق في التنمية، المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[5]ـ تنص المادة 24 من الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب لسنة 1981 أن: **((لكل الشعوب الحق في بيئة مرضية وشاملة وملائمة لتنميتها))**

[6]ـتنص المادة 11 من البرتوكول سان سلفادور لسنة 1988، الملحق بالاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان على أن: **((- .لكل شخص الحق في العيش في بيئة صحية والحصول على الخدمات العامة الأساسية**

تعمل الدول الأطراف على تشجيع حماية والمحافظة على وتحسين البيئة.)) -

[7]ـ تقرير مجلس حقوق الإنسان:(**بشأن العلاقة بين تغيير المناخ وحقوق الإنسان)**، مرجع سابق، ص 7.

[8]ـ تقرير الأمين العام: العلم والبيئة **(حقوق الإنسان والبيئة كجزء من التنمية المستدامة)**. البند 17/د. الدورة 61-E/CN.4/2005/96المجلس الاقتصادي والاجتماعي، المؤرخ في 2005/1/19، ص 8.

[9]ـ اعتمدت في مؤتمر فيينا المنعقد سنة 1985، ودخلت حيز النفاذ سنة 1988.

[10]ـ تقرير الأمين العام: العلم والبيئة **(حقوق الإنسان والبيئة كجزء من التنمية المستدامة)**، مرجع سابق، ص 9.

[11]ـ تنص المادة الأولى الفقرة 1 من الاتفاقية على ما يلي: **((الآثار الضارة لتغير المناخ يعني التغيرات التي تطرأ على البيئة الطبيعية أو الحيوية من جراء تغير المناخ والتي لها آثار ضارة كبيرة على تكوين أو مرونة أو إنتاجية النظم الاقتصادية أو على صحة الإنسان و رفاهه.)) و الإيكولوجية الطبيعية والمسيرة أو على عمل النظم الاجتماعية**

[12]ـ أنظر المادة 26 من البرتوكول.

[13]ـ المادة 10 من الاتفاقية.

[14]ـ أنظر المادة 9 من الاتفاقية.

[15]ـ أنظر المادة 15 فقرة 2 من الاتفاقية.

[16]ـ تقرير الأمين العام: العلم والبيئة **(حقوق الإنسان والبيئة كجزء من التنمية المستدامة)**. البند 17/د. الدورة 61-E/CN.4/2005/96المجلس الاقتصادي والاجتماعي، المؤرخ في 2005/1/19، ص 8.

[17]ـ أنظر المادة 2/1 من الاتفاقية.

[18]ـ تقرير الأمين العام: العلم والبيئة **(حقوق الإنسان والبيئة كجزء من التنمية المستدامة)**، مرجع سابق، ص 5.

[19]ـ التعليق العام رقم 4/ 1991: الحق في السكن الملائم (المادة 1/11 من العهد الدولي)، اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. الدورة 6. الفقرة 7، متاح على الرابط التالي:

http://hrlibrary.umn.edu/arabic/cescr-gc4.html

[20]ـ التعليق العام رقم 12/ 1999: الحق في الغذاء الكافي (المادة 12 من العهد الدولي)، اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. الدورة 20. الفقرة 8، متاح على الرابط التالي:

http://hrlibrary.umn.edu/arabic/cescr-gc12.html

[21]- التعليق العام رقم 12/ 1999، مرجع سابق، الفقرة 7.

[22]- التعليق العام رقم 14/ 2000 (المادة 12 من العهد الدولي) : الحق في التمتع بأعلى مستوى من الصحة يمكن بلوغه اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. الدورة 22. الفقرة 11، متاح على الرابط التالي:

http://hrlibrary.umn.edu/arabic/cescr-gc14.html

[23]- التعليق العام رقم 15/ 2002: الحق في الماء (المادة 11 و12 من العهد الدولي) اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. الدورة 29. الفقرة 12/ب، متاح على الرابط التالي:

http://hrlibrary.umn.edu/arabic/cescr-gc15.html

[24]- التعليق العام رقم 15/ 2002، مرجع سابق، الفقرة 2-3.

[25]- التعليق العام رقم 23/ 1993 (المادة 27 من العهد الدولي) اللجنة المعنية بالحقوق المدنية والسياسية : الحق في الحياة الدورة 48. الفقرة 7، متاح على الرابط التالي:

http://hrlibrary.umn.edu/arabic/hrc-gc23.html

[26]- الملاحظات الختامية لجنة القضاء على التمييز ضد المرأة على التقرير الدوري الموحد الرابع والخامس لرومانيا. الدورة الجلسة 481-482 المعقودتين في 2000/6/23. الفقرة 314، متاح على الرابط التالي:

http://hrlibrary.umn.edu/arabic/ROM-CEDAW2000.html

[27]- لجنة حقوق الطفل، النظر في تقارير الدول الأطراف بموجب المادة 44 من الاتفاقية. الملاحظات الختامية –الأردن. الدورة 43، المعقودة في 2006/11/1، ص 17. الفقرة (70)، متاح على الرابط التالي:

http://hrlibrary.umn.edu/arabic/CRC180.pdf

[28]- مجلس حقوق الإنسان، تقرير حول تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان المدنية و السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بما فيها الحق في التنمية، مرجع سابق، ص 9.

[29]- مجلس حقوق الإنسان، تقرير حول تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان المدنية والسياسية و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بما فيها الحق في التنمية، المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[30]- تقرير الأمين العام: العلم والبيئة **(حقوق الإنسان والبيئة كجزء من التنمية المستدامة)**، مرجع سابق، ص ص 12-13.

[31]- مجلس حقوق الإنسان، تقرير حول تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان المدنية و السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بما فيها الحق في التنمية، مرجع سابق، ص 11.

[32]- مجلس حقوق الإنسان، تقرير حول تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان المدنية و السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بما فيها الحق في التنمية، مرجع سابق، ص 9.

[33]- مجلس حقوق الإنسان، تقرير حول تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان المدنية و السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بما فيها الحق في التنمية، مرجع سابق، ص 10.

[34]- **الحسين شكراني**: من مؤتمر ستوكهولم 1972 إلى ريو +20 لعام 2012- مدخل الى تقييم السياسات البيئية العالمية مجلة بحوث اقتصادية عربية، العددان 63-64/ 2013، ص 149.

[35]- **وليد زرقان**: القانون الدولي للبيئة، محاضرات ألقيت على طلبة السنة الأولى ماستر مهني، تخصص قانون البيئة/ كلية الحقوق والعلوم السياسية-جامعة محمد الأمين دباغين. سطيف 2، السنة الجامعية 2016-2017، ص 10.

(36)- **أزهار صبر كاظم**: حقوق الإنسان البيئية، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، الجزء 3.ع 31. 2018 ص 464.

(37)- جاء في البند الأول من إعلان مؤتمر ريو 1992 أنه: ((يقع البشر في صميم الاهتمامات المتعلقة بالتنمية المستدامة، ويحق لهم أن يحيوا حياة صحية ومنتجة في وئام مع الطبيعة))

(38)- جاء في البند 7/ و من إعلان المؤتمر أن: ((توفير الخدمات الصحية الأساسية للجميع وتخفيض حدة المخاطر الصحية البيئية، مع مراعاة الاحتياجات الخاصة للأطفال والصلات القائمة بين الفقر والصحة والبيئة))

(39)- تضمن البند 90 من المؤتمر ما يلي: ((ونؤكد ضرورة مواصلة استعراض حالة بيئة الأرض وتأثيرها في رفاه الإنسان بشكل منتظم ...))

(40)- ورد في المبدأ الأول من الإعلان أن: ((للأجيال القادمة الحق في العيش في بيئة سليمة صالحة، ولذلك فحماية أطراف الاتفاقية للبيئة هو أمر منصف لتلك الأجيال.))

(41)- المادة 1/2 من الاتفاقية.

(42)- المادة 1/1 من الاتفاقية.

(43)- تقرير مجلس حقوق الإنسان: (تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بما في ذلك الحق في التنمية-دراسة تحليلية بشأن العلاقة بين تغير المناخ وحق كل إنسان في التمتع بأعلى مستوى ممكن من الصحة البدنية والعقلية-). الدورة 32.البند (2). (3)، المؤرخ في 2016/3/6، ص 4.

(44)- مجلس حقوق الإنسان، تقرير حول تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان المدنية و السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بما فيها الحق في التنمية-دراسة تحليلية بشأن العلاقة بين حقوق الإنسان والبيئة، مرجع سابق، ص 6.

(45)- مجلس حقوق الإنسان، تقرير حول تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان المدنية و السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بما فيها الحق في التنمية-دراسة تحليلية بشأن العلاقة بين حقوق الإنسان والبيئة، المرجع نفسه، ص 7.

(46)- أنظر تقرير منظمة الأمم المتحدة في السنة الدولية للتنوع البيولوجي على الموقع التالي:
https://www.un.org/ar/events/biodiversity2010/loss.shtml

(47)- تقرير مجلس حقوق الإنسان:**(بشأن العلاقة بين تغير المناخ وحقوق الإنسان)**. الدورة 10، مرجع سابق، ص 8.

(48)- أنظر التعليق العام رقم 14 (2000)، مرجع سابق، الفقرة 3.

(49)- تقرير مجلس حقوق الإنسان: (تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بما في ذلك الحق في التنمية-دراسة تحليلية بشأن العلاقة بين تغير المناخ وحق كل إنسان في التمتع بأعلى مستوى ممكن من الصحة البدنية والعقلية-)، مرجع سابق، ص 6.

(50)- تقرير مجلس حقوق الإنسان: (تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بما في ذلك الحق في التنمية-دراسة تحليلية بشأن العلاقة بين تغير المناخ وحق كل إنسان في التمتع بأعلى مستوى ممكن من الصحة البدنية والعقلية-)، مرجع سابق، ص ص 7-8.

(51)- تقرير مجلس حقوق الإنسان: (تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بما في ذلك الحق في التنمية-دراسة تحليلية بشأن العلاقة بين تغير المناخ وحق كل إنسان في التمتع بأعلى مستوى ممكن من الصحة البدنية والعقلية-)، مرجع سابق، ص ص 9-10.

(52)- أنظر التعليق العام رقم 14 (2000)، مرجع سابق، الفقرة 15.

(53)- تقرير الخبير المستقل المعني بمسألة التزامات حقوق الإنسان المتعلقة بالتمتع ببيئة آمنة ونظيفة وصحية مستدامة A/HRC/25/43. البند 3، المؤرخ في 2013/12/30، ص 8. 25مجلس حقوق الإنسان. الدورة

(54)- أنظر نص المادة 11 من العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية.

[55]- أنظر التعليق العام رقم 4/ 1991، مرجع سابق، الفقرة 8.

[56]- تقرير مجلس حقوق الإنسان:**(بشأن العلاقة بين تغيير المناخ وحقوق الإنسان)**. الدورة 10 مرجع سابق، ص 12

[57]- أنظر التعليق العام رقم 12/ 1999، مرجع سابق، الفقرة 8.

[58]- تقرير الخبير المستقل المعني بمسألة التزامات حقوق الإنسان المتعلقة بالتمتع ببيئة آمنة ونظيفة وصحية مستدامة ، ص 25.9مجلس حقوق الإنسان. الدورة

[59]- أنظر التعليق العام رقم 15/ 2002، مرجع سابق، الفقرة 2.

[60]- تنص الفقرة 2 من المادة 14 على أن: ((تكفل الدول الأطراف للمرأة الحق في "التمتع بظروف معيشية ملائمة، ولا سيما فيما يتعلق بالإمداد بالماء))

[61]- جاء في نص الفقرة 2 من المادة 24 من الاتفاقية أنه على((الدول الأطراف بمكافحة الأمراض وسوء التغذية "عن طريق توفير الأغذية المغذية الكافية ومياه الشرب النقية))

[62]- أنظر التعليق العام رقم 15/ 2002، مرجع سابق، الفقرة 11.

[63]- تقرير مجلس حقوق الإنسان:**(بشأن العلاقة بين تغيير المناخ وحقوق الإنسان)**. الدورة 10 مرجع سابق، ص 10.

المجلة الجزائرية للعلوم – سلسلة ب
آداب وعلوم الإنسانية
ISSN : 2661-7064
http://univ-eltarf.dz/fr/

حقوق الإنسان أثناء حالة الطوارئ الصحية بين الممارسة والتعليق
(جائحة كورونا نموذجا)

الدكتورة: جندلي وريدة
جامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة

ملخص

تعتبر حقوق الإنسان من المواضيع التي حظيت باهتمام بالغ من طرف الدول سواء في الحالات العادية أو الحالات الاستثنائية، وتعتبر جائحة كرونا (كوفيد-19) من حالات الطوارئ الصحية التي أدى انتشارها إلى اتخاذ التدابير اللازمة لمكافحة هذا الفيروس وحماية الصحة العامة، غير أن التدابير والإجراءات المتخذة في حالة الطوارئ الصحية تسمح بتعليق بعض الحقوق، الأمر الذي يؤدي إلى عدم تمتع المواطن بها، ويكون تعليق هذه الحقوق بشروط نصت عليها المواثيق الدولية والدساتير الوطنية، مع الأخذ بعين الاعتبار بعض الحقوق الأساسية غير القابلة للانتقاص والتي لا يجوز تقييدها مهما كانت الظروف.

الكلمات المفتاحية: حقوق الإنسان، الطوارئ الصحية، كورونا فيروس، تعليق، الحقوق الأساسية.

Résumé

Les droits de l'homme figurent parmi les sujets qui ont reçu une grande attention des pays, que ce soit dans des cas ordinaires ou exceptionnels, et la pandémie de Corona (Covid-19) est une urgence sanitaire dont la propagation a conduit à prendre les mesures nécessaires pour lutter contre ce virus et protéger la santé publique, mais les mesures prises en cas d'urgence sanitaire permettent la suspension de certains droits, ce qui conduit à ce que le citoyen n'en jouisse pas, et la suspension de ces droits se fera dans les conditions prévues par les pactes internationaux et les constitutions nationales, en tenant compte de certains droits fondamentaux qui ne font pas l'objet de dérogation et qui ne peuvent en aucun cas être restreints.

Mots-clés :Droits de l'homme, urgences sanitaires, virus Corona, suspension , droits fondamentaux

مقدمة

تهدف جميع الدول إلى حماية حقوق الإنسان في الظروف العادية أو الاستثنائية على السواء غير أن سلطة هيئات الضبط الإداري تتسع في حالة الظروف غير العادية التي تطرأ على الدول من خلال تمكينها من اتخاذ إجراءات و تدابير مشددة لمواجهة الظروف الاستثنائية، ومما لاشك فيه أن تفشي الأوبئة ينطوي على مخاطر تهدد حياة الإنسان وصحته واستقراره، الأمر الذي يستدعي تدخل الدول من خلال تطبيق "حالة طوارئ صحية" و سن القوانين التي تسمح لها باتخاذ تدابير استثنائية لمواجهة انتشار الفيروس وتهدف إلى حماية صحتهم وحياتهم ، إلا أن هذه القوانين تؤدي لا محالة إلى تقييد بعض الحقوق التي يتمتع بها المواطنون في الظروف العادية وخاصة حقهم في التنقل وما يترتب عليه من حقوق أخرى كالحق في العمل مثلا.

ونتيجة لتفشي فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19) أعلنت أغلب الدول حالة طوارئ صحية تهدف إلى فرض تدابير وإجراءات في محاولة لاحتواء هذه الجائحة العالمية.

بناء عليه ظهرت عدة إشكاليات من أهمها إشكالية حماية حقوق الإنسان أثناء تفشي الأوبئة وفقا لما نصت عليه التشريعات الداخلية والمواثيق الدولية، **فهل يجوز تقييد هذه الحقوق أو انتهاك البعض منها بحجة أن الحالات استثنائية تقتضي التحلل من حمايتها؟ أم أنه يجب حماية بعض حقوق الإنسان وحظر تقييدها حتى في الحالات الاستثنائية ومنها حالة انتشار فيروس كورونا؟**

للإجابة على هذه الإشكالية نتبع الخطوات التالية:

أولا: تعليق حقوق الإنسان أثناء حالات الطوارئ الصحية

1- مفهوم حقوق الإنسان

2- مفهوم حالة الطوارئ الصحية

3- جواز تعليق حقوق الإنسان أثناء حالات الطوارئ الصحية

ثانيا: نطاق تعليق حقوق الإنسان أثناء حالة الطوارئ الصحية

1- القيود الواردة على تعليق حقوق الإنسان أثناء حالة الطوارئ الصحية

2- استبعاد الحقوق غير قابلة للانتقاص من نطاق التعليق أثناء حالات الطوارئ الصحية

أولا: تعليق حقوق الإنسان أثناء حالات الطوارئ الصحية

مما لا شك فيه أن بعض الحقوق يتم تقييدها أثناء حالة الطوارئ بشروط وضوابط يحددها القانون إلا أن بعض الحقوق تتمتع بحصانة من الحظر والمنع حتى في الحالات الاستثنائية، الأمر الذي يستدعي الوقوف على عدة مفاهيم تتعلق بحقوق الإنسان، حالة الطوارئ الصحية، و جائحة كورونا (كوفيد-19).

1- مفهوم حقوق الإنسان

يطلق على الحقوق مسميات مختلفة، ففي عصر ازدهار المذهب الفردي أطلق عليها اسم الحقوق الفردية باعتبارها مقررة لصالح الفرد يتمتع بمعزل عن تدخل الدولة، وأطلق عليها اسم الحقوق المدنية باعتبار أن الفرد الذي يتمتع بها عضو في جماعة مدنية منضمة هي الدولة.[1]

فحقوق الإنسان هي الحقوق المتأصلة بطبيعة كل إنسان والتي لا يمكن بدونها أن نعيش كبشر والتي تضمن الحياة الكريمة والاحترام والحماية للكرامة الإنسانية المتأصلة والقيمة الذاتية لكل إنسان ويستند هذا المفهوم إلى مرتكزات ثلاثة تتمثل في الآتية: الإنسان وما ينطوي عليه من جسد وفكر وكرامة هو المنتفع بالحقوق- الحقوق محددة وذوات نوعية تحكمها مجموعة من المعايير تستخدم في تصنيفها- الشمولية والعالمية للحقوق حيث يراعى في تحقيقها وإعمالها تجاوز الحدود الوطنية والإقليمية.[2]

وقد قسمت الحقوق عدة تقسيمات، فالبعض قسمها من زاوية المنتفع بالحقوق إلى حقوق فردية وحقوق جماعية، والبعض الآخر قسمها من زاوية نوعية الحقوق إلى حقوق مدنية وسياسية، وأخرى اقتصادية واجتماعية وثقافيه.[3]

وتتمثل **حقوق الإنسان المدنية والسياسية** في الحقوق التي يقررها القانون لحماية الفرد من جهة ولتمكينه من القيام بأعمال معينة من جهة كالحق في الحياة والحرية وفي أمان الفرد على نفسه، الحق في التنقل، الحق في الاجتماع وتكوين الجمعيات ...إلخ، بينما تتضمن **حقوق الإنسان الاقتصادية والاجتماعية والثقافية** الحقوق ذات المضمون الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، ومن أهم هذه الحقوق يمكن الإشارة إلى الحق في العمل والضمان الاجتماعي، الحق في الملكية، الحق في التعليم...إلخ بالإضافة إلى الحقوق التضامنية كالحق في السلم، الحق في بيئة نظيفة ...إلخ[4].

2- مفهوم حالة الطوارئ الصحية

يقتضي التطرق لمفهوم حالة الطوارئ الصحية تعريف حالة الطوارئ بصفة عامة من منطلق أن حالة الطوارئ أشمل من حالة الطوارئ الصحية، ثم الوقوف عند حالة الطوارئ الصحية على وجه الخصوص، و التعرف على شروط إعلانها.

أ- تعريف حالة الطوارئ

تعددت تعريفات حالة الطوارئ تبعا لاختلاف الزاوية التي ينظر منها إلى هذه الحالة ، حيث تُعد حالة الطوارئ من أهم الحالات الاستثنائية، لكونها تعطي للسلطة التنفيذية في البلد الكثير من الصلاحيات مما يمكنها من تعليق عدد كبير من حقوق الإنسان، وقد عرف القانون الدولي حالة الطوارئ من خلال التعريف الذي قدمته المحكمة الأوربية واللجنة الأوربية لحقوق الإنسان في قضية ***لاولس*** بأنها موقف ينطو على أزمة أو حالة استثنائية على الحياة تؤثر على جميع أفراد الشعب وليس فقط على جماعات معينة وتشكل تهديدا على الحياة المنظمة للمجتمع الذي تتكون منه الدولة.[5]

وباعتبار حالة الطوارئ إحدى الحالات الواردة ضمن نظرية الظروف الاستثنائية، أجازها القانون الدولي لحقوق الإنسان وفق شروط معينة، لمواجهة الأخطار الحالة و الجسيمة التي تواجهها الدولة بموجبها يحق للسلطة التنفيذية تجميد الأحكام الدستورية والتشريعية العادية بشكل مؤقت، وتقييد حقوق الأفراد، باستثناء بعضا منها .[6]

كما تعرف حالة الطوارئ بصفة عامة بأنها نظام استثنائي شرطي مبرر بفكرة الخطر المحيط بالكيان الوطني، و تعرف أيضا بأنها تدبير قانوني مخصص لحماية كل أو بعض أجزاء البلاد ضد الأخطار الناجمة عن العدوان المسلح .[7]

أما التعريف الذي وضعته اللجنة الدولية للصليب الأحمر فيتمثل في أن الظروف الاستثنائية هذه تشمل إلى جانب ما تقدم ذكره من نوازل الطبيعة: حالات انتشار الأوبئة والأمراض المعدية والمجاعات والكوارث الطبيعية تشكل ظروفا استثنائية بالمعنى الوارد في المادة 1/4 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية.[8]

ب- **حالة الطوارئ الصحية**: تعتبر حالة الطوارئ الصحية بمثابة إعلان رسمي بأزمة صحية من جانب الدولة المتضررة منها، أي أنها بمثابة تدبير لحدث استثنائي يشكل خطرا على الصحة العمومية للدولة المعنية، وذلك من خلال ظهور بعض الأوبئة الصحية الخطيرة بشكل فُجائي لم يكن في الحسبان ولم يكن متوقعا، وأن تكون من النوع الذي يستلزم إجراءات فورية استعجالية للوقاية عبر تبني تدابير وإجراءات مؤقتة تتخذها السلطات العمومية الوطنية بما يضمن إبقاء الوباء أو الجائحة تحت السيطرة.[9]

وتعرف **حالات طوارئ الصحة العامة**[10] محل الاهتمام الدولي بأنها حدث استثنائي يشكل خطر على الصحة العامة للدول من خلال انتشار المرض بينها ، وقد يتطلب استجابة دولية مُنسَّقة.كما تعرف "حالة طوارئ صحية عامة تثير قلقا دوليا" في اللوائح الصحية الدولية (2005) على أنها: "حدث غير عادي يشكل خطرا

على الصحة العامة بالنسبة للدول الأخرى من خلال الانتشار الدولي للمرض، وبما يتطلب استجابة دولية منسقة."

ويتضمن هذا التعريف حدوث وضع صحي خطير أو مفاجئ أو غير عادي أو غير متوقع، يحمل تداعيات على الصحة العامة خارج الحدود الوطنية للدولة المتأثرة. ويتطلب إجراءات دولية فورية. ويؤدي الإعلان عن حالة طوارئ صحية عالمية إلى تقديم توصيات إلى جميع البلدان تهدف إلى منع انتشار المرض عبر الحدود أو الحد منه.[11].

وبالاطلاع على اللوائح الصحية الدولية لسنة 2005[12]، نجدها تتضمن ما يعرف بـ" **حالة الطوارئ الصحية العمومية التي تسبب قلقا دوليا**"، والمعروفة اختصارا بـ(**PHEIC**) ، هو بمثابة إقرار من جانب منظمة الصحة العالمية بوجود جائحة صحية من المحتمل أن يكون لها امتداد دولي وقد تتسبب في كارثة صحية دولية، وحالة الطوارئ الصحية العمومية التي تسبب قلقا دوليا تعلنها **لجنة الطوارئ** (**COMMITTEE EMERGENCY**) المنصوص عليها في الفصل الثاني من اللوائح الصحية الدولية 2005.[13]

ووفقا **للقواعد المنظمة للصحة العامة الصادرة عام 2005** [14]، فهناك شبه إلزام للدول يقضي بالاستجابة الفورية لإعلان حالة "الطوارئ الصحية" باعتبارها تدبيرا وقائيا واحترازيا يساعد الدولة المتضررة من محاصرة وتطويق وباء معين بالشكل الذي يحمي المجتمع الدولي بصفة عامة من تفشي كل عدوى تشكل خطرا على الصحة الدولية ناتجة عن فيروس أو جائحة عابرة للحدود[15].

ت- شروط إعلان حالة الطوارئ الصحية

لا يجوز للدولة أن تفرض قيودا على حقوق الإنسان دون سند من القانون، كما لا يمكن فرض أي التزام قانوني على الأفراد إلا إذا أجاز التشريع ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة.[16]

وقد ورد في **الفقرة الثانية من التعليق العام رقم 29** على المادة 4 من العهد الدولي (عدم التقيد بأحكام العهد أثناء حالات الطوارئ): -ويجب أن تكون تدابير عدم التقيد بأحكام العهد ذات طابع استثنائي ومؤقت. وقبل أن تقرر الدولة اللجوء إلى المادة 4، يجب أن يتوفر شرطان جوهريان هما: أن يكون الوضع بمثابة حالة طوارئ عامة تهدد حياة الأمة وأن تكون الدولة الطرف قد أعلنت رسمياً حالة الطوارئ. والشرط الأخير أساسي للحفاظ على مبدأي المشروعية وسيادة القانون في الأوقات التي تمس الحاجة إليهما.

ويتعين على الدول- عند إعلانها حالة طوارئ تترتب عليها آثار يمكن أن تستتبع عدم التقيد بأي حكم من أحكام العهد- أن تتصرف في حدود أحكام قانونها الدستوري وغيرها من الأحكام المنظمة لإعلان الطوارئ ولممارسة السلطات الاستثنائية، وتتمثل مهمة اللجنة في رصد ما إذا كانت القوانين المعنية تمكن من الامتثال للمادة 4 وتكفله. ولكي يتسنى للجنة تأدية مهمتها، ينبغي للدول الأطراف في العهد أن تُضمِّن تقاريرها المقدمة بموجب المادة 40 معلومات كافية ودقيقة عن قوانينها وممارساتها الخاصة باستخدام السلطات الاستثنائية[17].

لذلك أكدت اللجنة المعنية بحقوق الإنسان التابعة للأمم بشأن ما يتعلق باستجابة الحكومة التي تقيّد حقوق الإنسان من أجل أسباب الصحة العامة أو الطوارئ الوطنية، على أنّ أيّ تدابير تتخذ لحماية السكان، ويكون من شأنها الحدّ من حقوق الناس ، يجب أن تكون قانونية؛ وضرورية؛ ومتناسبة. كما يجب أن تكون حالات الطوارئ محدودة المدة زمنيا.[18]

في هذا الإطار أوضح عدد من خبراء الأمم المتّحدة في مجال حقوق الإنسان[19]بتاريخ 16-03-2020 أن إعلان حالة الطوارئ في مختلف البلدان، لأسباب صحية، يتّبع توجهات واضحة من القانون الدولي. وأكدوا على وجوب استخدام صلاحيات استثنائية عند الإعلان عنها صراحة وإبلاغ هيئات المعاهدات ذات الصلة حين تؤدّي إلى تقويض الحقوق الأساسية بما في ذلك الحركة والحياة الأسرية والتجمع، فتُمْسِي محدودة إلى أقصى الدرجات.

كما شدد الخبراء على عدم استخدام حالة الطوارئ المعلنة بسبب تفشي فيروس كورونا[20] كعذر

لاستهداف مجموعات أو أقليات أو أفراد معينين. ولا يجب أبدًا أن تشكّل غطاء لعمل قمعي بحجّة حماية الصحة، أو أن تُستخدم لعرقلة عمل المدافعين عن حقوق الإنسان. و يجب أن تُعتَمَد القيود المفروضة للتصدّي للفيروس على أساس أهداف الصحة العامة المشروعة[21]".

3- جواز تعليق حقوق الإنسان أثناء حالات الطوارئ الصحية

تؤثر حالة الطوارئ الصحية بشكل سلبي على ممارسة حقوق الإنسان ، حيث تقيد حركة التنقل ويمنع الأفراد من السفر ومن مغادرة البلد تفرض القيود على المعاملات التجارية وغيرها من الحقوق التي يتمتع بها المواطن في الحالات العادية، ويجد تعطيل حقوق الإنسان أثناء حالة الطوارئ الصحية أساسه في المواثيق الدولية .

حيث أكدت **المادة الرابعة من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية**[22] على إمكانية تعطيل حقوق الإنسان أثناء حالات الطوارئ كما يلي:" في حالات الطوارئ الاستثنائية التي تهدد حياة الأمة والمعلن قيامها رسميا، يجوز للدول الأطراف في هذا العهد أن تتخذ، في أضيق الحدود التي يتطلبها الوضع، تدابير لا تتقيد بالالتزامات المترتبة عليها بمقتضى هذا العهد، شريطة عدم منافاة هذه التدابير للالتزامات الأخرى المترتبة عليها بمقتضى القانون الدولي وعدم انطوائها على تمييز يكون مبرره الوحيد هو العرق أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الأصل الاجتماعي..."

وقد نصت **المادة 15 من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان**[23]على " في وقت الحرب أو الطوارئ العامة الأخرى التي تهدد حياة الأمة، يجوز لأي طرف سام متعاقد أن يتخذ تدابير تخالف التزاماته الموضحة بالاتفاقية في أضيق حدود تحتمها مقتضيات الحال، وبشرط ألا تتعارض هذه التدابير مع التزاماته الأخرى في إطار القانون الدولي ...".

كما نصت الفقرة الأولى من **المادة 27 من الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان**[24] على أنه :" يمكن للدولة الطرف، في أوقات الحرب أو الخطر العام أو سواهما من الحالات الطارئة التي تهدد استقلال الدولة أو أمنها، أن تتخذ إجراءات تحد من التزاماتها بموجب الاتفاقية الحالية، ولكن فقط بالقدر وخلال المدة اللذين تقتضيهما ضرورات الوضع الطارئ، شريطة ألا تتعارض تلك الإجراءات مع التزاماتها الأخرى بمقتضى القانون الدولي وألا تنطوي على تمييز بسبب العرق، أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الأصل الاجتماعي.

وفي هذا السياق أيضا نصت **المادة الرابعة من الميثاق العربي لحقوق الإنسان** على:" في حالات الطوارئ الاستثنائية التي تهدد حياة الأمة والمُعلن قيامها رسمياً يجوز للدول الأطراف في هذا الميثاق أن تتخذ في أضيق الحدود التي يتطلبها الوضع تدابير لا تتقيد فيها بالالتزامات المترتبة عليها بمقتضى هذا الميثاق، بشرط ألا تتنافى هذه التدابير مع الالتزامات الأخرى المترتبة عليها بمقتضى القانون الدولي وألا تنطوي على تمييز يكون سببه الوحيد هو العرق أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الأصل الاجتماعي."[25]

وبطبيعة الحال لا يجوز لدولة طرف أن تعطل المادة الرابعة من العهد إلا لفترة تواجه فيها فعلا "حالة طوارئ عامة تهدد حياة الأمة." ولذلك لا يمكن لتشريعات الطوارئ أن تظل سارية لمدة طويلة لتصبح هي القاعدة الراسخة وليست الاستثناء[26].

ويتضح من خلال النصوص السابقة أن حالة الطوارئ الصحية تعتبر إحدى حالات الطوارئ التي تهدد حياة الدولة وأمنها واستقرارها في جميع مناحي الحياة ، والتي استباحت تقييد بعض حقوق الإنسان بشرط عدم تعارض تلك الإجراءات مع التزاماتها الأخرى بمقتضى القانون الدولي، مع التزام الدول بشروط إعلان حالة الطوارئ، كما نلاحظ أن المادة الرابعة من الميثاق العربي لحقوق الإنسان جاءت مطابقة تماما لنص المادة الرابعة من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية.

ثانيا: نطاق تعليق حقوق الإنسان أثناء حالة الطوارئ الصحية

نظرا لأهمية حقوق الإنسان أثناء حالة الطوارئ الصحية و من أجل حمايتها من أي انتهاك قد تتعرض له وجب وضع ضوابط و قيود على تعليق هذه الحقوق، مع الأخذ بعين الاعتبار بعض الحقوق غير قابلة للانتقاص.

1- القيود الواردة على تعليق حقوق الإنسان أثناء حالة الطوارئ الصحية

إذا كانت حالة الطوارئ الصحية تستلزم فرض القيود على تعليق بعض الحقوق ، فإن هذه القيود لا تخرج عن نطاق التناسب بين الخطر الذي يهدد المواطنين والإجراءات المفروضة على حقوق الإنسان بالإضافة إلى فعالية الإجراءات المتخذة في درء هذا الخطر.

أ- أن تكون الإجراءات المتخذة أثناء الظروف الطارئة محدودة بقدر ما تفرضها الضرورة المُلحة.

يكمن الهدف من الإجراءات والتدابير المتخذة في تفادي تهديد النظام العام تهديدا حقيقيا، أو حالة استعجال ففي هذه الحالة يكون الإجراء مشروعاً و ضروريا.[27] إذ يمكن أن تمُرُ الدولة بحالات طارئة تتأثر فيها حقوق الأفراد، مما يستوجب اتخاذ تدابير و إجراءات أكثر صرامة لمواجهة هذه الظروف، والتي تعتبر في الظروف العادية خروجا عن مبدأ المشروعية [28]، لكنها تعتبر مشروعة في ظل الظروف الاستثنائية بهدف المحافظة على النظام العام[29].

وفي حال قيام دولة معينة بإعلان حالة الطوارئ ، فهذا يعني منح صلاحيّاتٍ استثنائيّةٍ للسلطاتِ الإداريّة، من شأنها أن تقيد حقوق الأفراد، كالحق في حريّة التّجمع والتّظاهر، الحق في التنقّل؛ وغيره[30].

وعليه يجب أن يظل منع الحقوق **إجراء استثنائيا** ، فالحظر المطلق غير جائز لأنه يعادل إلغاء الحق أو تحريمه، و الحظر الذي يمكن السماح بممارسته هو ذلك **الحظر النسبي** الذي يتحدد بمكان معين أو بوقت معين.[31]

وقد نصت **المادة الثانية من المرسوم التنفيذي رقم 20-69** المتعلق بتدابير الوقاية من انتشار وباء فيروس كورونا (كوفيد 19) ومكافحته[32] على أن:" تطبق التدابير موضوع هذا المرسوم، على كافة التراب الوطني **لمدة أربعة عشر (14) يوما**. ويمكن رفع هذه التدابير أو تمديدها، عند الاقتضاء، حسب الأشكال نفسها."

فحق المواطن في التنقل مثلا محمي بموجب **الدستور الجزائري** وفقا **للمادة 55** منه والتي تنص على أن :" -يحِق لكل مواطن يتمتع بحقوقه المدنية والسياسية، أن يختار بحرية موطن إقامته، وأن يتنقل عبر التراب الوطني. - حق الدخول إلى التراب الوطني والخروج منه مضمون له.-لا يمكن الأمر بأي تقييد لهذه الحقوق إلا لمدة محددة وبموجب قرار مبرر من السلطة القضائية."

ورغم أن الدستور كفل حرية التنقل داخل وخارج التراب الوطني، إلا أن الحالات الاستثنائية تقيد هذه الحرية من خلال منح السلطات المكلفة بإدارة و تسيير حالة الطوارئ سلطة تحديد ومنع مرور السيارات والأشخاص في أماكن معينة و أوقات معينة ويتضح دلك من خلال تقييد الحق في التنقل أثناء انتشار جائحة كورونا فيروس، بموجب **المادة الثالثة من المرسوم رقم: 20-69 المتعلق بتدابير الوقاية من انتشار وباء كورونا(كوفيد-19)** والتي تنص على أن:" تعلق نشاطات نقل الأشخاص الآتي ذكرها خلال الفترة المذكورة في المادة 2 أعلاه – : الخدمات الجوية للنقل العمومي للمسافرين على الشبكة الداخلية –النقل البري في كل الاتجاهات : الحضري وشبه الحضري وبين البلديات وبين الولايات، نقل المسافرين بالسكك الحديدية، النقل الموجه : المترو، والترامواي، والنقل بالمصاعد الهوائية، النقل الجماعي بسيارات الأجرة. يستثنى من هذا الإجراء نشاط نقل المستخدمين." ويتضح من خلال هذه المادة أن حرية التنقل للأشخاص تم تعليقها في فترة انتشار فيروس كورونا وليس منعها بصورة مطلقة، حيث حددت المادة شبكات النقل المحظورة على سبيل الحصر و استثنت من هذا المنع نشاط نقل المستخدمين، من جهة ثانية حددت مدة الحجر المنزلي ب 14 يوما قابلة للتمديد.

وعليه فإن الإدارة تملك **سلطة تنظيمية لا سلطة تحريم ومنع** ممارسة الحقوق المقررة والمضمونة في المواثيق الدولية والدساتير الوطنية.[33]

وهو الأمر الذي أكدت عليه **المادة الرابعة** من **المرسوم رقم: 20-69 المتعلق بتدابير الوقاية من انتشار وباء كورونا** كما يلي:" دون المساس بأحكام المادة 3 أعلاه، يتولى الوزير المكلف بالنقل والوالي المختص إقليميا، كل فيما يخصه، تنظيم نقل الأشخاص من أجل ضمان استمرارية الخدمة العمومية والحفاظ على النشاطات الحيوية في – : المصالح المستثناة من أحكام هذا المرسوم، المحددة في المادة 7 أدناه – : المؤسسات والإدارات العمومية، – الهيئات الاقتصادية والمصالح المالية .ومهما يكن، يجب أن يتم تنظيم النقل في ظل التقيد الصارم بمقتضيات الوقاية من انتشار فيروس كورونا (كوفيد – 19) المقررة من طرف المصالح المختصة للصحة العمومية."

كما جاء في المادة الثالثة من **المرسوم التنفيذي رقم 20-70 يحدد الوقاية من انتشار وباء فيروس كورونا(كوفيد- 19) ومكافحته:**" يمكن أن يكون الحجر المنزلي كليا أو جزئيا، ولفترات محددة حسب الوضعية الوبائية للولاية و/أو البلدية المعنية.:"

بينما نصت **المادة الرابعة من نفس المرسوم التنفيذي رقم 20-70** على :" يتمثل الحجر المنزلي الكلي في إلزام الأشخاص بعدم مغادرة منازلهم أو أماكن إقامتهم، خلال الفترة المعنية، ما عدا في الحالات المنصوص عليها في هذا المرسوم. ويتمثل الحجر المنزلي الجزئي في إلزام الأشخاص بعدم مغادرة منازلهم أو أماكن إقامتهم خلال الفترة و/أو الفترات الزمنية المقررة من طرف السلطات العمومية."

وفي هذا السياق أيضا أكدت **المادة السادسة** من **المرسوم التنفيذي رقم 20-70 يحدد الوقاية من انتشار وباء فيروس كورونا(كوفيد - 19) ومكافحته** على أنه :" في ظل احترام تدابير الوقاية من انتشار وباء فيروس كورونا (كوفيد – 19) التي اتخذتها السلطات الصحية، يمكن الترخيص للأشخاص بالتنقل، على سبيل الاستثناء، للدواعي الآتية – : لقضاء احتياجات التموين من المتاجر المرخص لها –لقضاء احتياجات التموين بجوار المنزل، –لضرورات العلاج الملحة، – لممارسة نشاط مهني مرخص به .تحدد كيفيات تسليم الرخصة من طرف اللجنة الولائية المكلفة بتنسيق النشاط القطاعي للوقاية من وباء فيروس كورونا (كوفيد - 19 ،) ومكافحته، المذكورة في المادة 7 أدناه....."[34] ، غير أن الحظر أو المنع **المطلق** للحق في الظروف غير الاعتيادية أو الاستثنائية غير جائز ، فالأصل أن السلطة تنظيمية لا سلطة حظر ومنع شامل.[35]

بناء على ما سبق يتضح أن الحظر المطلق للحقوق والحريات غير وارد حتى في الظروف الاستثنائية وهو ما يمكن استنتاجه من خلال المراسيم التنفيذية السابقة في إطار الوقاية من انتشار فيروس كورونا المستجد(كوفيد19)، حيث أن حق التنقل ، حق العمل ، حرية ممارسة التجارة ، حرية ممارسة العبادة في المساجد ...إلخ تم منعها لفترات محددة وفي ولايات معينة، كما أن الحجر المنزلي تختلف مدته من ولاية إلى أخرى تبعا لجسامة انتشار الوباء.

ب- أن تكون الإجراءات والتدابير المتخذة ذات فعالية في درء الخطر

يكون الإجراء المتخذ من طرف الدولة غير لازم إذا كان غير قادر على إبعاد الخطر وفي هذه الحالة يكون غير مشروع، كما يجب أن يكون الإجراء متناسبا بين تعكير صفو الأمن الذي تريد الدولة تفاديه بإجراءاتها و بين الحقوق التي تمسها تلك الإجراءات.[36]

وبسبب انتشار فيروس كورونا (كوفيد19) فإن **المرسوم التنفيذي رقم 20-69 المتعلق بالوقاية من انتشار وباء كورونا** يهدف من خلال هذه التدابير إلى منع احتكاك المواطنين في أماكن العمل والفضاءات العامة عن طريق التباعد الاجتماعي كتدبير للوقاية من انتشار الفيروس وهذا ما جسدته المادة الأولى من هذا المرسوم.[37]

ولأن بعض الأماكن والفضاءات التي يقصدها المواطنين بأعداد غفيرة تساهم في انتشار الفيروس بنسب عالية عن طريق انتقاله من شخص لآخر، فإنه

تم غلق بعض هذه الأماكن بهدف منع انتشاء الوباء ، حيث نصت **المادة الخامسة من المرسوم رقم: 20-69 المتعلق بتدابير الوقاية من انتشار وباء كورونا** على أن:" تغلق في المدن الكبرى، خلال المدة المذكورة في المادة 2 أعلاه، محلات بيع المشروبات، ومؤسسات وفضاءات الترفيه والتسلية والعرض والمطاعم، باستثناء تلك التي تضمن خدمة التوصيل إلى المنازل . يمكن أن يتم توسيع إجراء الغلق إلى أنشطة ومدن أخرى، بموجب قرار من الوالي المختص إقليميا."

كما أن الفيروس ينتشر بسهولة بين الناس، وقد أظهرت البيانات أنه ينتشر من شخص لآخر من خلال المخالطة اللصيقة (ضمن 6 أقدام، أو 2 متر). وينتشر الفيروس عن طريق الرذاذ التنفسي المنطلق عندما يسعل المصاب بالفيروس أو يعطس أو يتحدث. يمكن استنشاق هذا الرذاذ أو دخوله في فم أو أنف شخص قريب. ويمكن أن ينتقل أيضًا إذا لمس الشخص سطحًا عليه الفيروس ثم لَمَسَ فمه أو أنفه أو عينيه[38]، لذا صدر **المرسوم التنفيذي رقم 20- 70 يحدد الوقاية من انتشار وباء فيروس كورونا(كوفيد - 19) ومكافحته**[39]، حيث جاء في **المادة الثانية** منه :" يقام في الولايات و/ أو البلديات المصرح بها من قبل السلطة الصحية الوطنية كبؤر لوباء فيروس كورونا (كوفيد - 19) نظام الحجر المنزلي .يخص الحجر المنزلي كل شخص متواجد في إقليم الولاية و/ أو البلدية المعنية . يقرر هذا الحجر من قبل الوزير الأول."

كما نصت **المادة الثانية من المرسوم التنفيذي رقم 20-72 يتضمن تمديد إجراء الحجر الجزئي المنزلي إلى بعض الولايات**" يطبق الحجر الجزئي المنزلي، ولمدة عشرة٠ أيام قابلة للتجديد، من الساعة السابعة مساء إلى غاية السابعة من صباح الغد، على الولايات الآتية: –باتنة، –تيزي وزو، سطيف قسنطينة، –المدية، – وهران، –بومرداس، –الوادي، –تيبازة. "

وقد **حددت المادة الثالثة من المرسوم التنفيذي رقم 20-72** بداية تطبيق تدابير الحجر الجزئي المنزلي المنصوص عليها في المرسوم التنفيذي رقم 20-70 ابتداء من يوم 28 مارس سنة 2020 على الساعة السابعة مساء.

ومن خلال استقراء النصوص السابقة يتضح أن الإجراءات والتدابير الضبطية المتخذة من طرف السلطات الجزائرية تهدف إلى السيطرة على الوباء المنتشر(فيروس كورونا كوفيد-19)، واحتوائه من خلال عزل المواطنين عن طريق الحجر المنزلي الذي يساهم في التقليل من انتشار العدوى .

1- استبعاد الحقوق غير قابلة للانتقاص من نطاق التعليق أثناء حالات الطوارئ

تستخدم عدة تعبيرات للدلالة على الحقوق غير القابلة للانتقاص مثل : الحقوق الأساسية ، الحقوق المطلقة، الحقوق ذات الحصانة، النواة الصلبة لحقوق الإنسان، مشار إليها.[40]

وقد قيدت الفقرة الأولى من المادة الرابعة من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لعام 1966 بعض الحقوق إذا توافرت شروط معينة، إلا أنها حددت في الفقرة الثانية من نفس المادة حقوقا أخرى لا يجوز المساس بها أو انتهاكها ولا حتى تقييدها تحت أي ظرف من الظروف، نظرا لارتباطها بكرامة الإنسان وآدميته.

أ- فئة الحقوق غير قابلة للانتقاص

تستخدم عدة تعبيرات للدلالة على الحقوق غير القابلة للانتقاص مثل : الحقوق الأساسية ، الحقوق المطلقة، الحقوق ذات الحصانة، النواة الصلبة لحقوق الإنسان

نصت المادة 27 من الاتفاقية الأمريكية 1969 على جملة من الحقوق غير قابلة للانتقاص كما يلي: "يمكن للدولة الطرف، في أوقات الحرب أو الخطر العام أو سواهما من الحالات الطارئة التي تهدد استقلال الدولة أو أمنها، أن تتخذ إجراءات تحد من التزاماتها بموجب الاتفاقية الحالية، ولكن فقط بالقدر وخلال المدة اللذين تقتضيهما ضرورات الوضع الطارئ، شريطة ألا تتعارض تلك الإجراءات مع التزاماتها الأخرى بمقتضى القانون الدولي وألا تنطوي على تمييز بسبب

العرق، أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الأصل الاجتماعي.

-2 إن الفقرة السابقة لا تجيز تعليق أي من المواد التالية: المادة 3 (الحق في الشخصية القانونية) المادة 4 (الحق في الحياة) المادة 5 (تحريم التعذيب) المادة 6 (تحريم الرق والعبودية)، المادة 9 (تحريم القوانين الرجعية)، المادة 12 (حرية الضمير والدين) المادة 18 (الحق في اسم)، المادة 19 (حقوق الطفل) المادة 20 (حق الجنسية)، المادة 17 (حقوق الأسرة) والمادة 23 (حق المشاركة في الحكم)، كما لا تجيز تعليق الضمانات القضائية اللازمة لحماية تلك الحقوق."

كما نصت **المادة 15 من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان 1950** على أنه: ...2- الفقرة السابقة لا تجيز مخالفة المادة الثانية، إلا فيما يتعلق بالوفيات الناتجة عن أعمال حربية مشروعة، كما لا تجيز مخالفة المواد الثالثة والرابعة (فقرة أ) والسابعة....."

وبالرجوع **للمادة الثانية من الاتفاقية الأوروبية** نجدها تؤكد على أن **حق كل إنسان في الحياة** يحميه القانون **أما المادة الثالثة من الاتفاقية الأوروبية** فتحظر إخضاع أي إنسان للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة المهينة للكرامة.بينما تحظر **المادة الرابعة فقرة أ** استرقاق أو تسخير أي إنسان، في حين أكدت **المادة السابعة** على منع إدانة أي شخص بسبب ارتكابه فعلا أو الامتناع عن فعل لم يكن يعتبر وقت وقوع الفعل أو الامتناع جريمة في القانون الوطني أو القانون الدولي. ولا يجوز توقيع عقوبات أشد من تلك المقررة وقت ارتكاب الجريمة.

كما نصت الفقرة الثانية من **المادة الرابعة من الميثاق العربي لحقوق الإنسان** على:" لا يجوز في حالات الطوارئ الاستثنائية مخالفة أحكام المواد الآتية، المادة 5 والمادة 8 والمادة 9 والمادة 10 والمادة 13 والمادة 14 فقرة "6" والمادة 15 والمادة 18 والمادة 19 والمادة 20 والمادة 22 والمادة 27 والمادة 28 والمادة 29 والمادة 30، كما لا يجوز تعليق الضمانات القضائية اللازمة لحماية تلك الحقوق.

-3على أية دولة طرف في هذا الميثاق استخدمت حق عدم التقيد أن تعلم الدول الأطراف الأخرى فوراً عن طريق الأمين العام لجامعة الدول العربية بالأحكام التي لم تتقيد بها وبالأسباب التي دفعتها إلى ذلك وعليها في التاريخ الذي تنهي فيه عدم التقيد أن تعلمها بذلك مرة أخرى وبالطريقة ذاتها."

فضلا عن ذلك فقد تطرق **العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية** لجملة من الحقوق غير قابلة للانتقاص و يتعلق الأمر بالحقوق المنصوص عليها في **المواد 6، 7، و8 بفقرتها الأولى والثانية والمواد 15،11، 16، و 18** من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية ، وهي على التوالي:

-حق الإنسان في الحياة (المادة 6 من العهد الدولي): ويعتبر الحق في الحياة من أهم حقوق الإنسان التي حرصت جميع المواثيق والصكوك الدولية على إيلائها الاهتمام الكبير، ويرتبط الحق بالرعاية الصحية بالحق في الحياة. ويعتبر الحق في الرعاية الصحية من ضمانات الحق في الحياة، ويقع ضمن أولويات الحقوق، لارتباطه الوثيق بحياة الإنسان وبممارساته وأنشطته اليومية، ولانعكاسه كذلك على الحياة ضمن الأسرة والعائلة والمجتمع.

وعلى الدول، استناداً إلى قوانينها، أن تحمي هذا الحق، إذ يكفل القانون الدولي لحقوق الإنسان لكل شخص الحق في أعلى مستوى من الصحة يمكن بلوغه، ويُلزِم الدول باتخاذ تدابير لمنع تهديد الصحة العامة، وتقديم الرعاية الطبية لمن يحتاجها. كما يقر القانون الدولي لحقوق الإنسان، في الأوضاع الاستثنائية والتهديدات الخطيرة للصحة العامة وحالات الطوارئ العامة، كالحروب والكوارث الطبيعية والأوبئة.. تقييد وتعليق بعض الحقوق لحماية حق آخر أسمى وهو الحق في الحياة. فالحق في التنقل والحق في التجمع إذا كانت ممارستهما تهدد الحق في الحياة يتم تعليق ممارستهما [41].

-الحق في عدم الخضوع للتعذيب ولا المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو الحاطة بالكرامة (المادة 7).

-الحق في عدم الخضوع للاسترقاق والعبودية (المادة 8 ف1و2).

-الحق في عدم سجن أي إنسان لمجرد عجزه عن الوفاء بالتزام تعاقدي (المادة11).

-الحق في عدم إدانة أي شخص بأية جريمة بسبب فعل أو امتناع عن فعل لما يشكل جريمة بمقتضى القانون الوطني أو الدولي. وعدم جواز فرض أية عقوبة تكون أشد من تلك التي كانت سارية المفعول في الوقت الذي ارتكبت فيه الجريمة (عدم رجعية القوانين) (المادة 15).

-حق الإنسان في الاعتراف له بالشخصية القانونية (المادة 16).

-حق الإنسان في حرية الفكر والوجدان والدين (المادة18).

وقد أعربت اللجنة في مناسبات عديدة عن قلقلها إزاء الحقوق التي لا يجوز تقييدها وفقاً للفقرة 2 من المادة 4، ذلك إما لأنه لم يتم التقيد بها أو لوجود خطر عدم التقيد بها بسبب أوجه القصور في النظام القانوني للدولة الطرف.[42]

وبالإضافة إلى ما جاء في هذه المواد فإن تطور حقوق الإنسان وازدياد أهميتها يفترض المزيد من الحماية واعتبار حقوق أخرى غير قابلة للانتقاص أيضا وحقوق أخرى يجب أن تخضع لضمانات أكثر في حالة الضرورة الناتجة عن حالة الطوارئ [43].

وباستقراء نصوص المواد المذكورة أعلاه، يتبين أن الحقوق المعنية تجسد في مجملها القيم الإنسانية العليا وتتناول الإنسان أينما وُجد دون أي تمييز بين المواطنين، الأمر الذي يبرر عدم جواز انتهاكها ويجعلها غير قابلة للانتقاص تحت أي ظرف من الظروف.

ب-مسوغات استبعاد الحقوق غير القابلة للانتقاص من نطاق التعليق أثناء حالات الطوارئ الصحية

اعتمد المشرع الدولي في انتقاء قوائم الحقوق والحريات ذوات الحصانة على منهج توفيقي أُسِسَ على الترجيح بين اعتبارات متعددة، وبناء على الاسترشاد بمعايير ثلاثة هي:

المعيار الأول : يتعلق بمدى أهمية حماية الحق في حد ذاته أثناء وجود الظروف الاستثنائية فهذه الأهمية ترجع إما لسمو القيم أو المبادئ التي يحتويها ذلك الحق، أو لتزايد احتمالات تعرضه للانتهاكات في هذه الظروف أكثر من غيره.

وفي هذا الإطار نص الدستور الجزائري لعام 2016 ضمن **المادة 40: منه على:"** تضمن الدّولة عدم انتهاك حُرمة الإنسان. ويُحظَر أيّ عنف بدنيّ أو معنويّ أو أيّ مساس بالكرامة. المعاملة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة يقمعها القانون."

كما نصت المادة 41: يعاقب القانون على المخالفات المرتكَبة ضدّ الحقوق والحرّيّات، وعلى كلّ ما يمسّ سلامة الإنسان البدنيّة والمعنويّة.

ويتضح من ذلك أن حق الإنسان في السلامة البدنية والمعنوية وفي الكرامة يعتبر من الحقوق غير قابلة للانتقاص وفقا للمادة 7 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية، ذلك أنه في حالة الطوارئ الصحية تكون هده الحقوق أكثر عرضة للانتهاك من غيرها من جهة ولارتباط هده الحقوق بكرامة الإنسان وحياته من جهة أخرى.

المعيار الثاني : يتعلق بمدى فاعلية ذلك الحق في حماية غيره من الحقوق والحريات الأساسية أثناء الظروف الاستثنائية، والمنظور إليها من الناحية العملية.

فالقانون الدولي لحقوق الإنسان يُقر في الأوضاع الاستثنائية والتهديدات الخطيرة للصحة العامة كالكوارث الطبيعية والأوبئة تقييد وتعليق بعض الحقوق لحماية حق آخر أسمى وهو الحق في الحياة. فالحق في التنقل والحق في التجمع إذا كانت ممارستهما تهدد الحق في الحياة يتم تعليق ممارستهما [44].وهو الأمر الذي سعى إلى تحقيقه **المرسوم التنفيذي رقم 20-102 المتضمن تمديد إجراء الحجر الجزئي المنزلي المتخذ في إطار الوقاية من انتشار وباء فيروس كورونا (كوفيد – 19) ومكافحته وتعديل أوقاته.**[45] ضمن **المادة الثانية** منه والتي نصت على تمديد إجراء الحجر الجزئي المنزلي لمدة خمسة عشر يوما، ابتداء من 30 أفريل 2020 وذلك عبر كامل ولايات الوطن، كما وضحت المادة الثالثة منه أن أوقات إجراء الحجر الجزئي المنزلي تم تعديلها ابتداء من 24 أفريل 2020،

حيث أصبح الحجر الجزئي منزلي يطبق من الساعة السابعة مساء إلى غاية الساعة السابعة من صباح الغد على كامل ولايات الوطن، باستثناء الولايات التالية: –بجاية، –تلمسان، –تيزي وزو، –الجزائر، –سطيف –المدية، –وهران، –تيبازة، –عين الدفلى والتي يطبق فيها الحجر الجزئي المنزلي من الساعة الخامسة مساء إلى غاية الساعة السابعة من صباح الغد، بينما يطبق الحجر الجزئي المنزلي من الساعة الثانية بعد الزوال إلى غاية الساعة السابعة من صباح الغد على ولاية البليدة [46].

وباستقراء هذه المواد يتضح أن التدابير والإجراءات الضبطية في ظل جائحة كورونا تتمثل في الحجر المنزلي الذي يطال بالدرجة الأولى الحق في العمل، إذ أن تقييد الحق في التنقل والالتزام بالحجر المنزلي يؤدي إلى تعطيل حق المواطن في ممارسة عمله خاصة بالنسبة للعمال الأجراء ومستأجري المحلات التجارية لدى الخواص.

ومن جهة ثانية يتضح من خلال هذه المواد أن تقييد الحق في التنقل يكون تبعا لجسامة انتشار الفيروس والقصد من وراء ذلك هو حماية الحق في الصحة والسلامة الجسدية وهو بدوره يحمي الحق في الحياة والدي يعتبر أساس الحقوق وأسماها على الإطلاق.

المعيار الثالث : يتعلق بمدى إمكانية تحمل الدولة للأعباء التي تفرضها متطلبات كفالة الحق أثناء الظروف الاستثنائية، مقارنة بالنتائج التي يمكن أن تترتب عن ذلك فيما لو ترك ذلك الحق لسلطة الدولة التقديرية في إيقافه أو تعطيل ممارسته.[47]

في هذا السياق نصت **المادة 66 من دستور 2016** على أن:" الرعاية الصحية حق للمواطنين تتكفل الدولة بالوقاية من الأمراض الوبائية والمعدية ومكافحتها، تسهر الدولة على توفير شروط العلاج للأشخاص المعوزين."

فالنص على حصانة الحق في الحياة وفي الحماية الجسدية ومنع الرق والعبودية، وحرية الفكر والمعتقد أثناء تلك الظروف الاستثنائية، و ترجيح المشرع الدولي لحماية هذه الحقوق والحريات نظرا لأنها تجسد قيما إنسانية عليا لدى الجنس البشري ، كما أن على حصانة قاعدة عدم جواز تطبيق القوانين الجنائية بأثر رجعي، يمثل وسيلة فعالة لحماية الحق في الحياة، والحق في الحرية الشخصية.[48]

غير أن التركيز على الحقوق ذوات الحصانة لا يعني البتة الانتقاص من قيمة باقي حقوق الإنسان ولا السماح بانتهاكها لأن حقوق الإنسان تبقى دائما كل لا يتجزأ وإنما العبرة في التمييز بينها يكمن في الشروط أو الضوابط التي تقيد بعض الحقوق دون غيرها.[49]

خاتمة

تعتبر حالة الطوارئ الصحية إحدى الحالات الاستثنائية التي تهدد حياة المواطنين واستقرار الدول في جميع المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، إذ أن تعرض الدول لجائحة كورونا (كوفيد-19) يؤثر سلبا على ممارسة حقوق الإنسان ، نتيجة لفرض تدابير وإجراءات من شأنها أن تعطل تمتع الأفراد بهذه الحقوق، فأغلب الدول التي أعلنت حالة الطوارئ الصحية فرضت قيودا متعددة على جملة من الحقوق في سبيل السعي إلى احتواء هذا الفيروس وحماية حق المواطنين في الحياة باعتباره أسمى الحقوق على الإطلاق، وفي المقابل لم تتمكن هذه الدول رغم حالة الطوارئ الصحية المعلنة أن تنتهك حقوقا أخرى ضمن ما يعرف بالحقوق الأساسية أو الحقوق غير قابلة للانتقاص.

بناء عليه نتوصل إلى نتائج متعددة يتمثل أهمها في:

- دفع انتشار فيروس كورونا (كوفيد19) دول العالم إلى إعلان حالة الطوارئ الصحية باعتماد إجراءات وتدابير قصد مكافحة الفيروس واحتواءه.
- تؤكد مواثيق حقوق الإنسان بأن القيود التي تُفرَض على بعض الحقوق في حالة الطوارئ الصحية يُمكِن تبريرها بموجب القانون، و بشرط توافر الضرورة الملحة مع التقيد بفترة زمنية محددة.

- تؤدي حالة الطوارئ الصحية إلى جواز تقييد وتعطيل ممارسة المواطنين لبعض حقوق الإنسان كلاحق في التنقل والالتزام بالحجر المنزلي لمواجهة هذه الجائحة والحدّ من انتشارها .
- توجد بعض حقوق الإنسان لا يمكن تعطيلها أثناء حالة الطوارئ الصحية بموجب للمواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان ويأتي في صدارة هذه الحقوق الحق في الحياة الذي يرتبط بمجموعة أخرى من الحقوق غير قابلة للانتقاص.
- تفشي فيروس كورونا(كوفيد-19)، أصبح يشكل خطرا على الإنسانية جمعاء ويهدد الحق في السلامة الجسدية و الحق في الحياة الذي يشكل أهم الحقوق .

ويترتب على النتائج المتوصل إليها جملة من الاقتراحات نذكر أهمها:

- إلزامية تنفيذ التدابير والإجراءات الضبطية قصد حماية الصحة العامة من جائحة كورونا (كوفيد-19).
- ضرورة استمرار هذه الإجراءات إلى حين انتهاء المخاطر المتعلقة بجائحة كورونا فقط .
- تعزيز آليات حماية حقوق الإنسان غير قابلة للانتقاص وتجريم المساس بها أو تعطيلها مع ضرورة مساءلة منتهكي هذا النوع من الحقوق أثناء جائحة كورونا(كوفيد-19).

الهوامش

[1] رقية المصدق: الحريات العامة وحقوق الإنسان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى ،1999 ص ص 14،15.

[2] المركز الوطني لحقوق الإنسان: دليل التدريب على الحقوق المدنية والسياسية لطلاب الجامعات، الطبعة الثانية، 2006 ص29.

[3] أحمد عبد المالك سويلم أبو دارابي: الظروف الاستثنائية وأُثارها على الحقوق والحريات العامة في فلسطين،رسالة ماجستير، دراسات تحليلية مقارنة، كلية الشريعة والقانون، جامعة إسلامية، غزة، فلسطين، 2017، ص 39.

[4] أنظر : الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948، العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية 1966، والعهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لعام 1966.

[5] تولين عبد الرزاق زين: حماية الحريات العامة في ظل حالة الطوارئ ، دراسة مقارنة، مجلة جامعة البعث، المجلد 39 العدد 30 ، حمص، سوريا، 2017، ص55.

[6] خالد الشرقاوي السموني : التأصيل الدستوري و القانوني لحالة الطوارئ الصحية، متاح على الموقع: https://ladepeche24.com/

[7] عمر سعد الله: معجم في القانون المعاصر، الطبعة الأولى، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2005، ص161

[8] نبيل مصطفى إبراهيم:الدفاع المدني وحماية حقوق الإنسان، الندوة العلمية حول قيم الحماية المدنية في المناهج التعليمية الأمنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، العربية السعودية،2008، ص ص 12، 13.

[9] عبد الغني السرار: الفرق بين حالة الطوارئ الصحية وحالة الاستثناء والحصار، متاح على الموقع: https://ladepeche24.com/، تاريخ الإطلاع: 27-05-2020، الساعة: 22:55.

[10] أعلنت منظمة الصحة العالمية يوم 11 مارس 2020 عن تحول فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19) إلى "جائحة عالمية"، وقد سبق للمنظمة وأن أعلنت في 30 جانفي من نفس السنة أن تفشي هذا الفيروس يشكل حالة طوارئ صحية تثير قلقا دوليا،أنظر: عماد بوسكوك: أزمة كورونا وإشكالية احترام حقوق الإنسان في ظل حالة الطوارئ الصحية بالمغرب متاح على الموقع: https://m.al3omk.com/533377.html، تاريخ الإطلاع: 27-05-2020، الساعة: 23:30

[11] حالات طوارئ الصحة العامة محل الاهتمام الدولي: متاح على الموقع: https://www.marefa.org/، تاريخ الإطلاع: 28-05-2020، الساعة: 22:30.

[12] اعتمدتها جمعية الصحة العالمية في دورتها 58، المنعقدة بتاريخ 23 ماي 2005.

[13] عبد الغني السرار: الفرق بين حالة الطوارئ الصحية وحالة الاستثناء والحصار، متاح على الموقع: https://ladepeche24.com/، تاريخ الإطلاع: 27-05-2020، الساعة: 22:55.

[14] اللوائح الصحية الدولية 2005، منظمة الصحة العالمية، الطبعة الثالثة، متاح على الموقع: https://apps.who.int/ تاريخ الإطلاع 28-05-2020، الساعة: 23:45.

[15] عبد الغني السرار: الفرق بين حالة الطوارئ الصحية وحالتي الاستثناء والحصار: متاح على الموقع: https://ladepeche24.com/،، متاح على الموقع: https://ladepeche24.com/، تاريخ الإطلاع: 27-05-2020، الساعة: 22:55.

[16] إياد خلف محمد جويعد، إيمان عبيد كريم: الحماية التشريعية للحريات العامة ، متاح على الموقع: www.iasj.net ص ص 5،6.

[17] أنظر التعليق العام رقم 29: المادة 4 (عدم التقيد بأحكام العهد أثناء حالات الطوارئ): وثيقة الأمم المتحدة HRI/GEN/1/Rev.8، وقد اعتمد هذا التعليق في جلسة اللجنة رقم 1950 المعقودة في 24 تموز/يوليه 2001. اللجنة المعنية بحقوق الإنسان ، الدورة الثانية والسبعون (2001)، مكتبة حقوق الإنسان،جامعة منيسوتا.

[18] جميل عودة إبراهيم: حظر التجوال وأثره على حقوق الإنسان: متاح على الموقع: https://annabaa.org/، تاريخ الإطلاع 29-05-2020، الساعة: 17:55.

[19] الخبراء هم: *المقررة الخاصة المعنية بتعزيز وحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية في سياق مكافحة الإرهاب، **السيدة فيونولا د. آي أولاين**؛ المقررة الخاصة المعنية بحالات الإعدام خارج القضاء أو بإجراءات موجزة أو تعسفًا، **السيدة أنييس كالامارد**؛ المقرر الخاص المعني بتعزيز وحماية الحق في حرية الرأي والتعبير، **السيد ديفيد كاي** المقرر الخاص المعني بحالة المدافعين عن حقوق الإنسان، **السيد ميشيل فورست**؛ المقرر الخاص المعني بالحق في حرية التجمع السلمي وتكوين الجمعيات، **السيد كليمنت نيااليتوسي فول**؛ المقرر الخاص المعني بالحق في الصحة البدنية والعقلية، **السيد دانيوس براس**؛ المقررة الخاصة المعنية بالحق في التعليم... وآخرون، للمزيد أنظر:* فيروس كورونا المستجدّ: على الدول ألاّ تستغلّ تدابير الطوارئ لقمع حقوق الإنسان *متاح على الموقع:* https://www.ohchr.org/

[20] كوفيد -19 هو مرض معدٍ يسببّه فيروس كورونا المستجد الذي اكتُشف أوّل مرة في ديسمبر 2019. فيروسات كورونا هي عائلة فيروسية تُسبب التهابات تنفسية. حتى الآن لا يوجد لقاح للوقاية من فيروس كورونا، وليس هناك دواء لعلاج المرض الناتج عنه، باستثناء التعامل مع أعراضه. وبحلول منتصف مارس 2020، أعلنت أكثر من 150 دولة أنها سجّلت حالات إصابة بفيروس كورونا، وأفادت منظمة الصحة العالمية أن عدد الحالات تجاوز 200ألف عالميا. كما توفي أكثر من 7 آلاف شخص، والأرقام مستمرة في الارتفاع بوتيرة مُفزِعة، أنظر: الأبعاد الحقوقية في الاستجابة لفيروس كورونا المستجد: متاح على الموقع: https://www.hrw.org/، تاريخ الاطلاع: 29-5-2020، الساعة: 17:55.

[21] فيروس كورونا المستجدّ: على الدول ألاّ تستغلّ تدابير الطوارئ لقمع حقوق الإنسان، *متاح على الموقع:* https://www.ohchr.org/

[22] اعتمد وعرض للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 2200 ألف (د-21) المؤرخ في 16 ديسمبر 1966 تاريخ بدء النفاذ: 23 مارس 1976، وفقا لأحكام المادة 49.

[23] اتفاقية حماية حقوق الإنسان في نطاق مجلس أوروبا ، روما في 4 نوفمبر 1950.

[24] أعد النص في إطار منظمة الدول الأمريكية بتاريخ 22-11-1969 في سان خوسيه.

[25] اعتمد من قبل القمة العربية السادسة عشرة التي استضافتها تونس في 23-5-2004.

[26] الفصل السادس عشر، إقامة العدل أثناء حالات الطوارئ : حقوق الإنسان في مجال إقامة العدل، دليل بشأن حقوق الإنسان خاص بالقضاة والمدعين العامين والمحامين: متاح على الموقع: https://www.ohchr.org/، ص 742. تاريخ الإطلاع : 28-05-2020، الساعة: 20:41.

[27] مريم عروس :النظام القانوني للحريات العامة في الجزائر، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في القانون، كلية الحقوق والعلوم الإدارية، بن عكنون، الجزائر، 1999 ، ص ص64 ،65 .

[28] خرشي إلهام: محاضرات في الضبط الإداري ،كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 أجيزت من طرف المجلس العلمي للكلية بموجب محضر رقم 288-2016، مؤرخ في 26 سبتمبر 2016، ص ص 103،104 ، متاح على الموقع dspace.univ.setif2.dz، تاريخ الإطلاع: 25-5-2020، الساعة : 12:34.

[29] لزرق حيثي: أثر سلطة التشريع على الحريات العامة و ضماناتها ،أطروحة دكتوراه في القانون العام ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان، 2014/2013 ، ص 127.

[30] جميل عودة إبراهيم: حظر التجوال وأثره على حقوق الإنسان: متاح على الموقع: https://annabaa.org/، تاريخ الإطلاع 29-05-2020، الساعة: 17:55.

[31] محارب سعود حربي الفضلي : الضبط الإداري وأثره في الحريات العامة ، رسالة ماجستير في القانون العام ، جامعة الشرق الأوسط ،2015 ، ص 112

[32] مرسوم تنفيذي رقم 20-69 مؤرخ في 26 رجب عام 1441 الموافق ل21 مارس 2020 يتعلق بتدابير الوقاية من انتشار وباء فيروس كورونا (كوفيد 19) ومكافحته، الجريدة الرسمية رقم 15 الصادرة بتاريخ 21 مارس 2020.

[33] مريم عروس ، مرجع سابق ، ص 64.

[34] مرسوم تنفيذي رقم 20-70 مؤرخ في 29 رجب عام 1441 الموافق ل 24 مارس سنة 2020 ، يحدد تدابير تكميلية للوقاية من انتشار وباء فيروس كورونا(كوفيد – 19) ومكافحته، الجريدة الرسمية رقم 16 الصادرة بتاريخ : 24 مارس سنة 2020.

[35] محمد محمد مصطفى الوكيل : حالة الطوارئ وسلطات الضبط الإداري، دراسة مقارنة ، رسالة دكتوراه في الحقوق كلية الحقوق جامعة عين شمس ، د.س.ن، ص129.

[36] علاء الحسيني : مقال حول الحدود الدستورية للسلطة التشريعية في تنظيم الحقوق و الحريات العامة ، نقلا عن الرابط http://adminights.org/news459، بتاريخ 2019/06/02 ،الساعة 17.40

[37] تنص المادة الأولى من المرسوم 20-69 المتعلق بالوقاية من انتشار وباء كورونا على أن:" يهدف هذا المرسوم إلى تحديد تدابير التباعد الاجتماعي الموجهة للوقاية من انتشار وباء فيروس كورونا (كوفيد – 19) ومكافحته. ترمي هذه التدابير إلى الحّد، بصفة استثنائية، من الاحتكاك الجسدي بين المواطنين في الفضاءات العمومية وفي أماكن العمل."

[38] مرض فيروس كورونا المستجد: متاح على الموقع: https://www.mayoclinic.org/، تاريخ الإطلاع : 27-05-2020، الساعة: 16:41.

[39] المرسوم التنفيذي رقم 20-72 المؤرخ في 3 شعبان عام 1441 الموافق ل:28 مارس 2020 يتضمن تمديد إجراء الحجر الجزئي المنزلي إلى بعض الولايات، الجريدة الرسمية رقم 17 ، الصادرة بتاريخ 28 مارس 2020.

[40] لفقير بولنوار: دور الحقوق غير قابلة للانتقاص في تعزيز الحماية الدولية لحقوق الإنسان، مجلة آفاق للعلوم ، جامعة الجلفة،العدد السادس، 2017، ص 254.

[41] عائشة المري : كورونا وحق الحياة ، متاح على الموقع: https://www.alittihad.ae/، تاريخ الإطلاع: 26-05-2020، الساعة: 22:23.

[42] أنظر التعليق العام رقم 29: المادة 4 (عدم التقيد بأحكام العهد أثناء حالات الطوارئ): وثيقة الأمم المتحدة HRI/GEN/1/Rev.8، مرجع سابق.

[43] أنظر في هذا الاتجاه: أكرم حسام فرحات، مرجع سابق، ص ص 71-73.

[44] عائشة المري : كورونا وحق الحياة، متاح على الموقع: https://www.alittihad.ae/، تاريخ الإطلاع: 26-05-2020، الساعة: 22:23.

[45] المرسوم التنفيذي رقم 20-102 المؤرخ في 29 شعبان 1441 الموافق ل 23 أفريل 2020 يتضمن تمديد إجراء الحجر الجزئي المنزلي المتخذ في إطار الوقاية من انتشار وباء فيروس كورونا (كوفيد – 19) ومكافحته، وتعديل أوقاته الجريدة الرسمية رقم 24 الصادرة بتاريخ 26 أفريل 2020.

[46] أنظر المواد 4،5،6 من المرسوم التنفيذي رقم 20-102 المتضمن تمديد إجراءات الحجر الجزئي المنزلي المتخذ في إطار الوقاية من انتشار وباء فيروس كورونا (كوفيد – 19) ومكافحته.

[47] نبيل مصطفى إبراهيم: الدفاع المدني وحماية حقوق الإنسان، الندوة العلمية حول قيم الحماية المدنية في المناهج التعليمية الأمنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، العربية السعودية،2008، ص 17.

[48] نبيل مصطفى إبراهيم: المرجع نفسه، ص 17.

[49] إعلان وبرنامج عمل فيينا الصادر عن المؤتمر الدولي لحقوق الإنسان المعقود في فينا خلال الفترة من 14 إلى 25 جوان 1993.

المجلة الجزائرية للعلوم – سلسلة ب
آداب وعلوم الإنسانية
ISSN : 2661-7064
http://univ-eltarf.dz/fr/

مرجعيات الحركة الطلابية الجزائرية وظروف نشأتها خلال حرب التحرير

Les Références du Mouvement Etudiants Algérien et les Circonstances de sa création pendant la Guerre de Libération.

الأستاذة: حورية كيحل/ الأستاذة: إيمان قماص
- جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة/ جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

ملخص:

جاءت هذه الورقة البحثية الموسومة بـ "مرجعيات الحركة الطلابية الجزائرية وظروف نشأتها خلال حرب التحرير" لمعالجة بعض القضايا ذات الصلة متمثلة في؛ المثقفين الجزائريين وميلاد التنظيمات الطلابية الجزائرية من حيث المفهوم والمكونات الفكرية وظروف نشأتها، وقد حاولنا من خلالها ابراز مراهنات المدرسة الفرنسية وأطروحاتها في تكوين جيل فرانكفوني متشبع بالمبادئ اللائيكية وميالا لخدمة السياسة الفرنسية. بالإضافة إلى المكونات الفكرية والإيديولوجية للطلبة المعربين في المؤسسات والجامعات العربية والإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الطلبة، الحركة الطلابية الجزائرية.

Résumé:

Ce document de recherche « Les références du mouvement étudiants algérien et les circonstances de sa création pendant la guerre de libération » visé à traiter quelque problème connexes sont ; les intellectuelles algériens et la naissance des organisations étudiantes algériennes en termes de concept et les enjeux intellectuelles, ainsi que les conditions de leur naissance, à travers lequel nous avons essayé de mettre en évidence le pari scolaire français et ses propositions pour formes une générations francophone imprégnée des principes laïque au service de la politique française. Outre les étudiants arabisants et leurs composantes idéologiques, et intellectuelles dans les différents institutions et universités arabes et islamiques.

Les mots clé: les Etudiants, Mouvement des Etudiants Algérien.

مقدمـــــة

لعل الدارس لتطور القضية الجزائرية ما بين 1900و1960 يجدها تكاد لا تشير إلى إسهام الفعاليات الشبانية في تفعيل الحدث التاريخي والنهوض بما هو راكد، وبالخصوص مساهمة التنظيمات الطلابية والممثلة في توظيف العقل والفكر في إنجاز ذلك التحول الهام في تطور الجزائر الإيجابي بعد أن تفهمت العقلية الجزائرية خبايا الحركة الاستعمارية التي كثيرا ما لجأت إلى توظيف العنف في إسكات الصوت الجزائري بل ونفي أصحابه إلى الخارج، و برغم كل ذلك فقد راهن جموع الطلبة على حتمية التغيير، وفضلوا تسيطر برنامج عمل جديد بغية إجهاض معاول الهدم الاستعمارية التي سخرتها الإدارة الاستعمارية لتحقيق أسطورة الجزائر فرنسية.

والحقيقة أن هناك إشكالية وتساؤل جوهري ما يزال يطرح نفسه أمامنا حتى اليوم وتتمثل فيما يلي: **ما هي المرجعيات الحقيقية للتكوين الطلابي الجزائري وما حيثيات وظروف نشـأته؟**

وجاءت هذه الورقة البحثية لمعالجة بعض القضايا كالمثقفين الجزائريين وميلاد التنظيمات الطلابية من حيث المفهوم والمكونات الفكرية وظروف ميلاد التنظيمات الطلابية وقد حاولت من خلاله إبراز مراهنات المدرسة الفرنسية وطروحاتها في تكوين جيل جديد فرانكفوني متشبع بالمبادئ اللائيكية أقل ما يقال عنه أنه كان ميالا لخدمة السياسة الاستعمارية، بالإضافة إلى المكونات الفكرية والأيديولوجية للطلبة المعربين في المؤسسات والجامعات العربية والإسلام

<u>أولا- مفهوم الحركـة الطلابيـــة</u>

لعل التعريف الشائع لمعنى الطلاب هو ذلك الشخص الذي يلتحق بالمؤسسة الثقافية لمزاولة الدراسة سواء في المدرسة النظامية أو الكتاتيب القرآنية أو الزوايا و نحوها ، وعادة ما تقرن كلمة الطلبة بصفة الحركية والمسؤولية و الفضيلة و نحوها من الصفات الحميدة ، ومن تم فقد عرف البعض معنى الطلاب بقوله" : فالطلاب كلمة مريعة المعاني فيها الإيجاد والتملك و البطولة ، فالإيجاد و معناه الإبداع قوة إنسانية تكمن في قلب كل طالب وطالبة وتحب الانفلات من مرقدها الخفي لتصبح فعلا حقيقيا يمشي و يتحرك في كل اتجاه و يزرع بذور العطاء، وهذا الإبداع الأولي صفة من صفات الطلاب ... لكن فعل الإبداع أولا والترقية ثانيا لا يستطيعهما غير بطل مغامر لا يهاب ماضيا ولا مستقبلا، فالبطولة صفة ثالثة تلزم الطلاب وفعلها مبدعا ومسؤولا، ولابد من الصفة الرابعة وهي الإبطال والإبطال بمعنى الإلغاء والتحويل والتغيير هكذا أفهم معنى الطلبة ".. **(1)**

والحقيقة أن كلمة الطلبة تقرن دائما بالجامعة في مفهومنا الحاضر، هذه المؤسسة العلمية الراقية التي كانت ولا تزال تلهم الشباب الباحث بعناصر التمكين العلمي والمعرفي، وهي الروح الجامعية التي تتكفل بالتواصل.

الخلاف بين أبناء الأسرة الجامعية وأبناء الوطن وقد أشار أحد الباحثين بمكانة الجامعة في تكوين الطلاب بقوله :الروح الجامعية هي تواصل خلاف بين أبناء الجسم الجامعي وأبناء الجسم الوطني يجعل من الجامعة الرائدة الأولى إلى وعي القضايا الوطنية وفهم المعضلات الإنسانية، والروح الجامعية هي إخوة صادقة بين الأساتذة والطلاب قوامها التعاطف، التصادق والتصارح. وتنشأ بين الأستاذ والطالب عفوية وطوعية علاقة الهادي بالمهتدي أو صلة الإمام بالمريد "...**(2)**.

ولعل من الخطأ الشائع الذي ما يزال سائدا حتى اليوم بين الأوساط الجزائرية المثقفة، أن مفهوم النشاط الطلابي يقصد به ذلك التنظيم التي اقتصر على قلة من الطلبة الجزائريين الذين أسعفتهم الظروف للالتحاق بالمعاهد الفرنسية وجامعة الجزائر وبدأ نشاطهم زمنيا عشية بداية الحرب العالمية الأولى . وهذا المفهوم نجده يعتمد أساسا على مبدأ الطلبة الحصول الاعتماد الرسمي من الإدارة الاستعمارية لتشكيل تنظيمات طلابية أو نقابات، وإذا كان هذا الرأي يستند على الترجيح الأوفر فإن فترة ما قبل 1900 لم تعرف بعد التشكيلات والتنظيمات سواء الاجتماعية أو

السياسية إلا البعض القليل الذي كان على رأسها الفرنسيون.

وهناك رأي آخر تتداوله بعض الألسن عند ذكرى حلول كل 19 ماي من كل سنة ومرده أن العمل الطلابي يعود أساسا إلى الإعلان عن ميلاد الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، والذي أصبح تحت لواء الثورة التحريرية وإعلانه عن الإضراب العام سنة 1956، والحقيقة أن العمل الطلابي في الجزائر قد لازم دراسة الطلبة حتى خلال القرن التاسع عشر، ولم يكن وليد بداية القرن الماضي مثل ما جسدته التنظيمات الطلابية التي امتازت بها الجزائر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

ولعل الدارس لتاريخ الجزائر الثقافي يجدها تزخر بزخم هام من الفعاليات الفكرية، على المستوى الوطني والمتمثلة في المؤسسات الفكرية والزوايا والكتاتيب القرآنية والمساجد والمدارس الحرة والتي يعود لها الفضل الكبير في المقاومة الفكرية، والصمود أمام سياسة المسخ الاستعمارية من جهة، ومن جهة أخرى تشبعها بالمبادئ الدينية والخلقية، وإشهار السلاح في وجه التوسع الاستعماري، واتضح ذلك في زعماء المقاومة الشعبية الذين كانوا يمثلون الطرق الصوفية والزوايا.

وهناك جالية طلابية لا يمكن تجاهلها في دراستنا هذه وهي الهجرات الجزائرية الكثيرة التي رفضت العيش تحت نظام وعلم السلطة الفرنسية، وكان العديد من أبناء هذه الهجرات قد التحق بحلق العلم وتكون تكوينا دينيا ووطنيا، هذا ناهيك على الهجرات الطلابية المنظمة باتجاه جامع الزيتونة بتونس وجامعة القرويين بالمغرب أو الأزهر الشريف أو بلاد الحجاز والشام، وحتى إلى تركيا مقر الخلافة الإسلامية.

وإذا كان تعليم الطلبة الجزائريين وقتئذ لم يخضع لتنظيمات محددة؛ فإن ذلك لا يعني أن تكوينهم وثقافتهم كان خاليا من الروح الوطنية الرافضة للمد الاستعماري وتواجده في الجزائر.

ومن المعلوم أن العمل الطلابي هو الذي أنجب ميلاد تيارات الحركة الوطنية الجزائرية المنظمة منذ الإعلان الرسمي نجم شمال إفريقيا في مارس 1926 بباريس(3)، ولم تكن شريحة الطلبة المتواجدة في فرنسا بعيدة عن ميلاد النجم خلال فترة نشاط الأمير خالد(4).

وبرغم جهود الطلبة التي كانت في خدمة قضايا الجزائر وأرست مقاومة فكرية صامدة ضد الغزو الاستعماري، فإن خصوصيات المرحلة وظروفها لم يؤول إلى عملية التنظيم وتكوين خلايا موحدة لمحاربة فرنسا .ولعل خصوصيات الحياة الطلابية في المعاهد والجامعات الحديثة هي التي أكسبتهم نوع من التنظيم، والبحث عن وسائل جديدة، لأن يوميات الطالب في المدارس الحديثة أهلته أكثر مما كان عليه سابقا للخوض في مثل هذه المسائل الخاصة بمحيطه اليومي؛ باعتبار أن حياته أصبحت تختلف كثيرا عن حياة العامة من الناس.

وهذا لا يعني من جهة أخرى أن الطلبة الجزائريين كانوا يعيشون في عزلة تامة عن محيطهم الاجتماعي وقضايا وطنهم، فالحياة الجامعية هي بمثابة مرحلة عابرة يمر من خلالها الطالب، وقد يجدها مليئة بالأحداث والمفاهيم والقيم والجوانب العلمية والتحصيلية، ومن تم فهي تميز حياته الخاصة التي لم يألفها في السابق، بل تكون منه النموذج الخاص، وبرغم ذلك كله، فإن الحياة الجامعية بسبب بعالم مغلق كما يتصورها البعض، بل لها خصوصيات يفتقر إليها العالم الآخر، وبذلك تعد محطة هامة لبناء المفاهيم و القيم ،و ذلك ما يفتقر إليه العالم الآخر.

وإذا كانت الفئة الطلابية في الجزائر لا تختلف إلى حد ما عما كانت عليه الفئات الطلابية الأخرى سواء في أوروبا أو العالم العربي والإسلامي، فإن الشيء الذي يميزها عن غيرها هو خضوعها للسيطرة الاستعمارية، وافتقارها إلى أدنى الشروط الموضوعية للعمل والدراسة.

وقد نتج عن ذلك بروز شريحتين بين صفوف الطلبة بحسب التقسيم الاجتماعي السائد وقتئذ إذ تمثل الفئة القليلة طلبة النخبة التي ساعفها الحظ في مزاولة الدراسة النظامية بالمدارس الابتدائية و الإعدادية أو بالمعاهد العليا والجامعات أو أوروبا و بالخصوص في باريس أما الفئة الثانية فتمثل عامة الشعب الجزائري و التي كان نصيبها من التعليم بين جدران الزوايا و

الكتاتيب القرآنية و المدارس الحرة التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين أو حزب الشعب الجزائري، وهذه المجموعة تمثل أكثرية الطلبة و لكن استفاد منها العدد القليل جدا من التكوين بالجامعات و المعاهد العربية والإسلامية .ومن تم فإن مصطلح التربية قد عرفها البعض بكونها جماعة متميزة لها من الإمكانات ما ترجع إليه العامة، وهي التي بلغت الحد الأعلى أو الرقم القياسي في مجال النشاط، وهذه الجماعة هي التي تملك مراكز التفوق والسمو في المجتمع وهي الأقلية الفعالة والمسؤولة التي هيأت لخدمة الأكثرية بطريقة مقيمة اجتماعيا، وهي التي تأدي الوظائف الراقية في المجتمع.(5)

والشيء المؤكد أيضا أن حالة الطلبة الجزائريين كانت أكثر سوءا من وضعية طلبة المعمرين، لذلك فلا غرابة أن نجد هذا الفارق سيساهم بقسط كبير في تكوين مناخ سوف تنشأ فيه جملة من مطالب الطلبة سواء منهم الأجانب أو الجزائريين، وهي أشبه ما يكون بالعمل النقابي داخل لجان الأحياء الجامعية بدعوى إصلاح شؤونهم المادية والاجتماعية، وقد تحول ذلك العمل النقابي مرحليا إلى تكوين جمعيات طلابية قادت على عاتقها النضال الطلابي داخل المؤسسات الجامعية.

ثانيا-<u>مرجعيات التكوين الطلابي في المدارس الفرنسية</u>

لقد عرفت الجزائر مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تحولات ثقافية هامة بعد الأزمة العميقة التي عرفتها المشهد الثقافي الجزائري بعد انهيار النظام التربوي والديني انهيارا جزئيا بعد إقامة نظام تربوي استعماري يقوم على تجهيل جماعي وتحول جزئي محافظ وبروز هش لعناصر قضاء ثقافي جديد.

إن المثقفين الجدد الذين برزوا من الساحة الثقافية، خلال هذه الفترة برغم عددهم المحدود فهم العوامل المحركة لميلاد هذا النمط الثقافي الجديد، ولو أنهم كانوا منقسمين إلى توجهات متعددة بتنازعهم الغرب الذي يفرض نفسه بنجاحه المادي، والفكر العربي الإسلامي الذي ظل يجتذبهم لتواصل حقيقي وكان لهذه الأنتلجنسيا البرعمية الاستحقاق التاريخي لإطلاق فكرة عامة على المجتمع الجزائري .(6)

وحسب دراسة كولونا فإن عدد الطلبة الذين كانوا يقصدون جامع الأزهر فاق بكثير عدد الطلبة الذين كانوا يدرسون في مدرسة الجزائر، وحتى عدد الطلبة الذين يقصدون الجامعات الإسلامية فاق بكثير عدد الطلبة الذين يتوجهون لاستكمال دراستهم في فرنسا. (7)

وإذا كانت سياسة القضاء على الأمة الجزائرية عسكريا قد استعصت على الاستعمار الفرنسي نظرا لأسلوب الاستماتة الذي استعمله الجزائريون والذي لم يكن في الحسبان، فإن سياسة التغريب اللغوي وتهديم التحصينات الذاتية وتجريد الجزائريين من مقومات الشخصية الوطنية وإدماجهم في كينونة المجتمع الفرنسي روحا وثقافة وفكرا نبحث إلى حد كبيرا وخصوصا مع بعض الفئات الجزائرية قبل بروز ملامح النهضة الوطنية الجزائرية خلال العشرية الأولى من القرن الماضي.

و لعل الدارس للأنتلجنسيا الجزائرية خلال القرن الماضي يجدها مقسمة في تكوينها الفكري ومشاربها الأيديولوجية إلى قسمين أساسين ،أولها هو التيار الطلابي الذي شرب من تشبع بالمبادئ الغربية ،و تعلم اللغة الفرنسية ،و تأثر بمبادئ الثورة الفرنسية، والقسم الثاني يمثله التيار الطلابي المعرب الذي نهل من العلوم الدينية و تشبع بالمبادئ الإسلامية و تقرى على الحضارة العربية ولذلك فلا غرابة من أن نجد أن الانتماء الفكري ينعكس أساسا على التنظيمات الطلابية التي عرفتها الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين مع مطلع النهضة الجزائرية وبداية العمل السياسي المنظم.

والظاهر أن الاختلاف في منابع التكوين الفكري والمحيط الجغرافي، وحتى الانتماء العائلي قد ترك فعلته على مسار تطور الحياة الطلابية، بل دفعتها أحيانا إلى الجنوح نحو الصراع وحتى التآكل الذاتي، وبذلك من الاختلاف في الطروحات والمناهج وكان الاختلاف في المبادئ وسع من الهوة بين أجنحة الأنتليجانسيا حول

قضايا الفكر ولعل ذلك ما وضحه المستشرق الفرنسي أغو ستين بيرك في كتاباته حول النخبة في شمال إفريقيا سنة 1946 بقوله ":إنهم هنا يفكرون ليس من أجل التفكير وإنما ضد بعضهم البعض ".**(8)**

ولعل المتتبع لأنتليجانسيا الجزائر مع بداية القرن يجد أن حدة الصراع قد طفت حتى السطح حتى بين الأوساط التي تخرجت من المدرسة الفرنسية وأصبحت تفقد مصداقيتها عند القاعدة العريضة من الجزائريين لأن السلطة الفرنسية نجحت في استمالتها وبذلك تتحول طبقة الأنتليجانسيا المفرنسة أشد خطرا على المجتمع من الفرنسيين أنفسهم وتحول جهدها الفكري إلى صراع البيانات وصناديق الانتخابات والامتيازات وتعطل بذلك النمو السياسي للجزائريين خلال تلك الفترة، وأصبح التخندق في صف المصالح الذاتية.

وبعد نهاية الحرب العلمية الأولى برزت ملامح الانشطار بين صفوف هذه الكتلة ودخلت فيما بينها إلى حرب التهم والبيانات، وخير مثال على ذلك كتابات الأمير خالد على صفحات جريدة الأقدام ضد أولئك المارقين سياسيا والذين قبلوا بالتوظيف على حساب الطبقة العريضة من الجزائريين.

لذلك فلا غرابة أن نجد الإدارة الفرنسية تتفطن في وقت مبكر إلى محاربة أفكار الأمير، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك وقامت بغلق بعض المؤسسات التعليمية الحرة بعد أن رأت فيها خطرا يهددها رغم حداثة نشأتها وخير مثال على ذلك المدرسة الحرة التي تأسست في تلمسان سنة 1920، وقد غلقتها بعد زيارة الأمير خالد للمنطقة وتخوفها من نشاطه .

ولقد شملت سياسة التعليم الفرنسية في الجزائر شريحة معينة من أبناء الجزائريين دون غيرهم من السواد الأعظم ممن رفضوا التعايش مع طبيعة الاستعمار ونفروا من مؤسساته التعليمية .وأما عن الشريحة التي أسعفها الحظ النهل من المدرسة الفرنسية ذلك أن مرده إلى جملة من المعطيات منها:

1- <u>المقـــوم الاجتمـــاعي</u>

يعد من العوامل الكفيلة في إيجاد أسباب الحصول على مقعد في التعليم بالمدارس الفرنسية، ولو أن ذلك يندرج في صلب السياسة السيكولوجية لغسل عقول الجزائريين، و تربية الناشئة على قبول الوجود الفرنسي في الجزائر عملت السلطة على اقتفاء أثر العائلات الأهلية التي كانت تمثل الأعيان خلال التواجد العثماني في الجزائر، أو التي أوجدتها هي في نطاق تفكيك المجتمع و إيجاد كيانات أسرية جديدة مدعمة ماديا و معنويا و عملت سلطة الاحتلال على تكوين جيل من المتفرنسين ونخبة من أبناء هذه العائلات الأهلية وفق نموذج المدرسة الفرنسية**(9)**، التي أهلتهم بالتدرج للانتقال إلى المجتمع الغربي باعتبار أن المدرسة تسهم في نقل التلميذ أو الطالب من كونه طفلا يعتمد على

أسرته بصورة كلية إلى مواطن يكتسب المعرفة والقدرة التي تساعده على القيام بالمهارات بصورة تدريجية، أي نقل الطالب من نموذج الأسرة إلى نموذج المجتمع بعد إعداده لتقبل مطالب الحياة وفق ما أكتسبه من مفاهيم وخبرات بغية الاندماج في المحيط الجديد .

وهكذا مكنت الإدارة الاستعمارية لنفسها من خلال تغريب هؤلاء النخب المنتمين لهذه العائلات الأهلية وألحقتم إلى قطاعاتها الإدارية والعسكرية والاقتصادية، واستطاعت أن تكون منها محاور أساسية تلتجئ إليها عند الحاجة عبر مناطق عديدة من الجزائر سواء في المدن أو التجمعات الحضرية أو القرى وحتى المداشر ونحوها من تواجد الجزائريين.

كما أعطت لهذه العائلات صلاحيات معينة جعلت منها همزة وصل بينها وبين باقي الجزائريين، وجعلت من فصائل هذه العائلات قياد وباشاغات ومترجمين وإداريين وعسكريين، ومنحتهم الرتب والنياشين جزاء نوعية الخدمات التي يقدمونها لها.

والدارس لهذه العائلات من الوجهة التاريخية يجد بعضها كان معروفا قبل الاحتلال والبعض الآخر مكنته فرنسا فيما بعد وجعلت منهم مترجمين، ومن هذه عائلة بن قانة بمنطقة الزاب، وعائلة بوضربة وحمدان خوجة بالعاصمة، وعائلة فرعون ببلاد القبائل، وبن الفقون بقسنطينة وعائلة ابن بريهمات بالعاصمة وعائلة ابن داود في وهران، وغيرهم من العائلات التي تجنس بعض

أفرادها بالجنسية الفرنسية التي مقتها رجال الإصلاح ونددوا ضد الذين قبلوا بها.

وكانت مهمة هذه العائلات أشبه ما يكون بالخدم والمعين للاستعمار، وقد أثبتت بعض الدراسات في هذا المجال أن 431 قائدا أو باشاغا من مجموع 721 كانوا يشتغلون هذا المنصب سنة 1937 ولم تكن لديهم ثروة ولا مال مع بداية الاحتلال، وقد تولد عن زوال المدرسة التقليدية وبروز المدرسة المخضرمة (1848_1880) بحسب تقسيم سعد الله بروز الجيل الأول من الجزائريين خلال عهد الستينيات من القرن 19 ممن يسمون بدعاة الفرنسة وينادون بقابلية التعايش مع الفرنسيين. مع العلم أن هناك من يرى أن السلم الاجتماعي لم يكن لوحده الدافع السياسي للاندماج ولعل ذلك ما أشار إليه الكاتب لوترنو حول دراسته لعائلة فرحات عباس وقال :أنها لم تفضل إرسال ابنها إلى فرنسا وفضلت إدخاله إلى جامعة الجزائر بعد إتمامه لأداء الخدمة العسكرية سنة1923 لقد أصبحت الازدواجية اللغوية بادية لدى جيل نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وتمثلت في خريجي المدارس الشرعية الثلاث و في بعض خريجي كلية الآداب و ما عرفته جريدة المبشر الرسمية التي استمرت إلى 1927 وتطورت مع إدارة جديدة ومحررين جدد، وكانت الغيرة الوطنية غائبة عند معظم الذين تلقوا تعليما مزدوجا في العهد الفرنسي، وكانت جهود معظم الذين تعلموا الفرنسية كلها قد انصبت على الترجمة و النقل من الفرنسية إلى العربية.

2- المقــوم اللغـــوي

تلعب اللغة دورا فعالا في حياة الفرد إذ تعتبر الركيزة الأولى التي يعتمد عليها في عملية الاتصال بالعالم الخارجي حيث لا تقاليد ولا ثقافة ولا اتصالات إلا بوجود اللغة تمكننا من تدوين معارفنا وتعليمها للأجيال القادمة كما تسمح لنا ببناء علاقات اجتماعية مختلفة ولا يمكن أن تتصور وجود تقاليد وثقافات بانعدام اللغة كما تعتبر اللغة ميكانيزما من ميكانيزمات التكيف والتوافق الاجتماعي.

وقد أشار إلى ذلك بن باديس في منهجيته الاصطلاحية وركز على أهمية المكونات المكتسبة، فالمرء يعرف من سبحات وجهه وفلتات لسانه وكثيرًا ما تدل :«تأثر عن الحياة الاجتماعية بقوله كلماته على مهنته أو فكرته أو عقيدته، كما تدل هيئته أو لبسته أو شمائله وما يباشره المرء تنطبع به نفسه ويصطبغ به خياله فيجري على لسانه في تشبيهاته وتمثيلاته وفنون قوله" **(10)**.

سلوك الفرد وتفكيره لا يمكن أن يكون في غياب اللغة لأن الإنسان لا يعيش وحيدا في هذا العالم الاجتماعي، إذ تعتبر اللغة هي الوسيط بينه وبين مجتمعه، ومن تم فهي الوسيلة الفاعلة في نموه الشخصي، وقد دلت العديد من الدراسات اللغوية والنفسية والتربوية على عامل اللغة في

اكتساب الشخصية، لأن هناك علاقة وطيدة بين اللغة والفكر فاللغة تقدم للفكر تعاريف جاهزة وتصف الأشياء بخصائصها حتى لا تتداخل مع غيرها فهي تساعد المفكر في عمله إذ تزوده بصيغ وتعابير معروفة وتضع تحت تصرفاته أساليب مدروسة .

وكان التعليم الفرنسي في الأساس يهدف إلى خدمة الجالية الفرنسية، وكانت الثانويات والكليات إنما أنشأت للأوروبيين وقلما يدخلها غيرهم، وكان التعليم يعطى باللغة الفرنسية ولا يعطى باللغة العربية في بلاد شعبها عربي لأن هدف الإدارة الفرنسية هو إحداث الذبذبة العقلية ومسخ الهوية العربية الإسلامية.

ولعل الشيء المؤكد أن إلزامية تعلم أبناء الجزائريين باللغة الفرنسية هو إرساء لبناء مجتمع جزائري جديد مكون من هجين لغوي يتدرج في نموه النفسي من قابلية تبني اللغة الفرنسية حتى تصبح لغة رسمية وبالمقابل التخلي عن اللغة الأم وهي العربية باعتبارها غير مدرسة وغير موظفة.

وبالتالي فهي لغة غير مرغوب فيها ويضحي هذا السلوك اللغوي مبعثه الرغبة في عقد علاقة اجتماعية ويمثل ذلك السلوك بمهد المتكلم للأخذ في الحديث الأساسي ويستدرج السامع إليه لجذبه والتأثير عليه وترك البصمات على شخصيته .

وقد اعتمد الوجود الفرنسي في الجزائر على عنصر اللغة في تمكين بقائه، وأعلن الفرنسيون منذ البداية على لسان قادتهم أن هدفهم هو تمدين الجزائريين المتوحشين وإن لهم رسالة حضارية يؤدونها .وبذلك سخرت الإدارة الاستعمارية الإمكانات الكفيلة لتعليم اللغة الفرنسية للجزائريين حتى تكون منهم نخبا مميزة ناطقة بلغتها ومقلدة ومنفذة لأوامرها وخادمة لحضارتها، وبذلك تتمكن من إحلال النظم الفرنسية محل النظم الإسلامية القائمة، وجعل اللغة الفرنسية هي لغة السيادة والوصول إلى نقطة الاندماج حتى يصير المجتمع الجزائري مجتمعا مفرنسا. ومن تم تصبح اللغة العربية لغة ميتة عاجزة على أن تصبح لغة عصر وحضارة وينتهي أمرها كما وقع للغة اللاتينية والإغريقية.

واحتوى البيان الفرنسي الذي وزع على الجزائريين عشية الاحتلال على العديد من المغالطات التي أوهمت بها فرنسا

الجزائريين، منها ادعائها أن قدومها سوف يمدن الجزائريين ويكسب لهم الرخاء ويزيلا عنهم بطش الأتراك.

وقد عمل الفرنسيون على تلقين اللغة الفرنسية كي تكون نواة بؤرة التوتر ومصدر الفتنة اللغوية بين الجزائريين وحتى يقول أصحابها المناداة بالاندماج والاستغراب في الوقت المناسب، والظاهر أن الفرضية الفرنسية لم تثمر في وقتها، لأن جيل الثلاثينيات من القرن التاسع عشر لم يؤول إلى ذلك المصب، وأن الأصوات الجزائرية لم تصرخ بتقليد الفرنسيين إلا في الستينات من القرن التاسع عشر، أي بعد جيل من الاحتلال.برغم بروز نفر قليل من الجزائريين من دعا إلى الأخذ بالتمدن الفرنسي. ولو أنها ظلت أصواتا خافتة وكانت أصواتهم لا تخرج عن الدعوة إلى العلم وإلى تعلم الفرنسية وهناك من العلماء المسلمين الجزائريين من دعا إلى هذا التوجه حتى قبل الاحتلال.

3- المقـــوم التراثـــي

لقد رصدت المدرسة الفرنسية في برامجها التعليمية، معالم أساسية و هامة تعد هي بمثابة المرجعية الأساسية لنمو الأفكار و تغذيتها للمتمدرسين، و ركزت بالدرجة الأولى على توصيل تراثها وتقديمه في قوالب مغرية للجزائريين، و جعلت من حضارتها و تاريخها مكسبا أساسيا لابد من الأخذ به، و عمقت من هذه المفاهيم في برامجها التكوينية حتى تغرس مفاهيم التفوق الفرنسي في نفوس الطلبة الجزائريين و تضحي قناعات لديهم من الوجهة الاجتماعية باعتبار أن لغة التكوين وهي الفرنسية و من خلالها يتم تبلور الخبرات البشرية و تجارب الأمم ، وتدون التراث الثقافي كي يحتفظ به جيلا بعد جيل، ومن تم يتم تعديل الفرد من سلوكه كي يتلاءم مع المجتمع الجديد، فعندما يتعلم المرء تلك الصيغ الجديدة ويرددها في الظروف المناسبة فإنه يحاول أن يصنع سلوكه كفرد لما يقتضيه المجتمع**(10)**. وهكذا نجد أن طابع التعليم الرسمي الذي تلاه الطلبة الجزائريين سواء في الداخل أو المهجر أكسبهم تربية خاصة ونوعا من الديموقراطية المستوحاة من فلاسفة القرن الثامن عشر ومبادئ الثورة الفرنسية 1789 ، وقد تلقنوا بأفكار الحرية و المساواة و العدالة وحقوق الإنسان و هذه المبادئ و الأفكار كانت منعدمة ومرفوضة من طرف السياسة الفرنسية، و لهذا فإننا نجد أن الكثير من الطلبة الجزائريين الذين اقتنعوا بهذا التكوين وتشبعوا بهذه المبادئ، وهم على مقاعد المدارس و الجامعات.

هذا في حين نجد أن مالك حداد يتأثر هو الآخر بسياسة التعليم الفرنسية بل ويناشد سياسة التعليم التي تبناها بول برنار مدير مدرسة المعلمين ببوزريعة حينما يقول": إننا نقدم لتلاميذنا من أبناء الأهالي معلومات قيمة عن عظمة فرنسا وعن قوتها العسكرية وعن تراثها الهائل**(11)**. وقد تيقن الفرنسيون أن العقبة أمامهم في المغرب العربي، وفي الجزائر هي مدى تشبث الأهالي وما عطفهم على هويتهم استعمالهم للغة العربية، في حين تذهب بعض الدراسات إلى عكس ذلك وجعلت من اللغة الفرنسية هي همزة تواصل وتعارف وتقارب بين العرب والبربر والكولون وكونت بذلك نموذجًا واحدًاكما كانت الجامعة هي بدورها ميزًا هامًا لتمرير أفكار الاستشراق وغرس ثقافة الشك في نفوس الطلبة

الجزائريين وكانت تعطي لهم دروسا تحت غطاء خدمة العربية ودراسة التراث والأثار.

4- المقــوم الدينـــي

لقد أشرنا سابقا كيف وظفت فرنسا سياسة التنصير ونشر المسيحية في خدمة سياسة سياستها الاستعمارية، وكانت ترى في إسلام الجزائريين العقدة المؤكدة في سبيل بقائها في الجزائر، وأن تنصير الأطفال وتجنس الكبار هو المعبر الأوحد لإنجاح المنظومة الاندماجية وقد ازدادت تفوقا بعدما لاحت طلائع العمل السياسي مع نهاية القرن التاسع عشر.

ولذا فلا غرابة أن نجد الآب دوفوكو يوسع من نشاط مشروعه التبشيري عشية الحرب العالمية الأولى في سنة 1912كتب إلى الدوق فيتز جيمس موضحا له خطورة المسلمين المتشبعين بالعقيدة و أن بقاء فرنسا في شمال إفريقيا مرهون بإفراغ المجتمع من إسلامه و تعويض ذلك بالمسيحية إذ يقول":إنني اعتقد بأنه إذا لم تستطع تحويل المسلمين بالتدريج عن دينهم و جعلهم على اعتناق المسيحية فإن النتيجة الحتمية هي تكون روح قومية جديدة تؤدي إلى طردنا من الإمبراطورية الاستعمارية في شمال إفريقيا...إن الروح الوطنية العربية البربرية سوف تنموا في صفوف الطبقة المثقفة التي تستعمل الإسلام كسلاح فعال لإثارة الجماهير الجاهلة في إمبراطورياتنا الفرنسية في أيامنا السود ...إن السبيل الوحيد لضمان عدم طردنا من هذه الإمبراطورية هو أن نجعل سكان البلاد فرنسيين والسبيل الوحيد لذلك هو جعلهم مسيحيين "...

وقد أفرزت مدرسة التنصير نخب لا وطنية، ببلاد المغرب العربي عموما(12) والجزائر على وجه الخصوص، وتنكروا للدين الإسلامي واللغة العربية والرصيد التراثي، واعتبرت أن المرجعية التاريخية هي عقبة أمام تطور الجزائريين، وهي عائقا أمام سياسة الدمج والاستلاء، وبذلك بعت هذه الزمرة إلى محاربة كل ماله صلة بالوطن الأم الجزائر.

وبالفعل فقد وظف الاستعمار حركة التنصير بوسائل عديدة، حتى أقلقت العديد من الجزائريين المتشبعين بالعقيدة الإسلامية والوطنية، وأصبح لزاما عليهم التصدي لهذه الظاهرة الاندماجية.

وبرغم ذلك كله فإن المنظومة الاستعمارية، سببت مناعة مقومات الشخصية التي اكتسبوها خلال مرحلة التنشئة، وخير مثال على ذلك الأمير خالد الذي ربط بين الأصالة والمعاصرة وكيف حركته السياسية و فق الظرف الزمني الذي عاصره، حتى أن مطالبه لم تكن اندماجية بل دعا إلى المساواة والحفاظ على مقومات الشخصية العربية الإسلامية، وقد كتب ابن باديس عن مكانة خالد الوطنية في كلمة تأبينه بعد وفاته 1936 بقوله :" إن الأمير خالد رجل يعتبر بقوميته ومسلم بحمل غيرة صادقة على دينه و كان صلب الرأي قوي الإيمان صريح القول دافع عن وطنه حتى فارقه و ذهب ضحية عقيدته و جهاده و دفاعه".

وكان التيار الشيوعي دوما خادما لسياسة الاندماج، وحاقدا على الدين الإسلامي ومتبنيا للأيديولوجية الاستعمارية، واعتبر أن الجزائر مرجعية الديانة الإسلامية هي التي جعلت من الجزائر أمة متخلفة، بل نجد أن الأمين العام للحزب الشيوعي موريس طوريس خلال زيارته للجزائر في فيفري 1939 أن الأمة الجزائرية هي في طور التكوين وهي خليط من العديد من الأجناس المختلفة منها البربر والعرب .

وقد غرس التيار الشيوعي مبادئ حزبه وسط المؤسسات الثقافية ونشر أفكاره التي وجدت برامجها بين العديد من الطلبة الجزائريين وخصوصا الذين درسوا في المؤسسات الفرنسية، ولذلك فلا غرابة أن نجد هذه الزمرة تعبر عن سياسة الاندماج خلال الأربعينيات.

وقد انعكست هذه الطروحات فيما بعد على التنظيمات الطلابية نفسها تيار شيوعي، وأسس تنظيم طلابي وتعاون إلى حد كبير مع الإدارة الاستعمارية، كما برزت أسماء طلابية لامعة في هذا الحقل خصوصًا بعد ظهور الأزمة البربرية سنة 1948.

ونتيجة لتشبع هذه الفئة من المثقفين الجزائريين بالمقومات السالفة الذكر، فإننا نجد أن مواقفها من قضايا الجزائر وحتى من السياسة الاستعمارية كانت

متذبذبة بين السلب و الإيجاب، بل وكانت متخاذلة في العديد من المراسلات، و قد كانت ترى أن أسلوب التعايش مع الاستعمار هو البديل عن سياسة التصادم و الرفض، و ذلك ما أوضحه جوليان بقوله":نادوا بالتآخي بين المجموعتين الجزائرية و الفرنسية، و لم يطالبوا لا بالوطنية الجزائرية و لا بالمذهب الانفصالي عن فرنسا، بل إنهم لم يعترضوا على أن تصبح الجزائر مقاطعة فرنسية حتى إن بعضهم قد ادعى بأنه ليس في القرآن ما يمنع المسلم من أن يصبح فرنسيا " **(13)**.

ولعل من بين ما أفرزته المدرسة الفرنسية التي فنحت أبوابها لبعض أبناء الأعيان الذين ارتقوا في سلمها التكويني أنه برز جيل جديد من هؤلاء الطلبة مع بداية القرن العشرين، ولكنهم اختلفوا بعض الشيء من جيل الثمانينات في القرن19، فإذا كان هذا الأخير ظل على موروثه الثقافي والديني، فإن الجيل الجديد ولد ممسوخا، لأنه فتح عينيه على كل ما هو تغريبي منذ طفولته، علمًا أن الإدارة الاستعمارية تحولت من استيطان الأرض إلى استيطان الفكر

والقيم والمبادئ، وقد تمت الدعوة إلى التجنس والاندماج مع الكيان الفرنسي ورفض الانتماء إلى الهوية العربية والإسلامية وظل على ما هي عليه برغم تطور الأحداث وقد كتب سعد الله حدد هذه الزمرة بقوله : ولكن هل يعني أن حركة الاندماج قد انتهت؟ إن الثورة قد أدت إلى جهر الشعب ....ولكن بعض العناصر ظلت مرتبطة بولاءات عديدة كالأصول العائلية العميلة، والروابط المختلطة، والثقافة الفرنسية غير الواعية.

ولا غرابة أن نجد أن هذا الطرح الاندماجي تسمر أيضا بشكل واضح في فكر فرحات عباس خلال الثلاثينات، وهو الذي نفى وجود الأمة الجزائرية ولم يجدها حتى في المقابر. مع العلم أن الرجل تطور تطورًا إيجابيًا تجاه القضية الوطنية خصوصًا بعد مشاركته في الحرب العالمية الثانية متطوعًا ولكنه شاهد بأم عينه التمييز العنصري الذي فرض على المجندين الجزائريين وفيها عاد خائبًا وغير نظرته تجاه فرنسا.

ثالثا-ظروف ميلاد التنظيمات الطلابيـــة

لعل الشيء المتعارف عليه أن الحركة الطلابية في بداية تكوينها قد تعايشت مع الحركة الطلابية الفرنسية، باعتبار أن فئة الطلبة الجزائريين الذين درسوا في الجامعات الفرنسية كانوا السابقين عن غيرهم من الطلبة الجزائريين إلى العمل الطلابي، وهناك جملة من العوامل المساعدة على ميلاد الحركة الطلابية في الجزائر يمكن إدراجها في العوامل التالية:

1- تأسيس جامعة الجزائر وتضييق الخناق على الطلبة الجزائريين

تضييق الخناق على تعليم الجزائريين وتجسد ذلك في غلق المؤسسات التعليمية والدينية وإجبارية التعليم باللغة الفرنسية بذلا من اللغة العربية التي أهملت تماما من التعليم والإدارة، هذا إضافة إلى التشكيك في مصداقيتها وتقسيمها إلى ثلاث لغات هي العربية الفصحى والعامية والعربية الحديثة، وقد وصف ذلك المسخ الثقافي توفيق المدني بقوله ":لقد ضربت فرنسا قطر الجزائر بضربات فتاكة لم يصب بمثلها أي قطر عربي آخر استعمره الفرنسيون "**(14)**.

و إذا كانت الأقلية من الجزائريين يسمح لها بالدخول إلى المدرسة بصفة الامتياز، فإن هذه الأقلية قد أبعدت مع تطور الحس الوطني، و قد أشار إلى ذلك مؤتمر المستشرقين الذي عقد في الجزائر سنة 1908 بقوله ": اعتقادا منا بأن تعليم الوطنيين في الجزائر ينطوي على محاذير حقيقية سواء في المضمار الاقتصادي أو بالنسبة للسكان الفرنسيين فإن المؤتمر قد أعرب عن رغبته في إلغاء التعليم الابتدائي لهؤلاء الوطنيين إلغاء نهائيا، مع العلم أن عدد الأطفال المقبولين للدراسة خلال هذه الفترة قد ناهز 41.000 من أصل 1.781.000ممن هم في سن الدراسة.

وقد تأسست جامعة الجزائر لإتمام المشروع الاستعماري وظهرت جذورها الأولى في حي القصبة منذ1859والمتمثلة في المدرسة التحضيرية للطب والصيدلة، ومنذ صدور قانون جول فيري في 14 ديسمبر 1879 الخاص بتطوير التعليم، وكذا إسهامات بول بير الذي أسس ثلاثة مدارس عليا في القانون

والآداب والعلوم، وأنشأت بالمرسوم المؤرخ في 30 ديسمبر1909 الذي ضم كل المدارس العليا للجامعة.

والحق أن الإجراءات التعسفية الفرنسية لتشكيل ما يسمى :بالتعليم النخبوي المفرنس، كل ذلك ولد الطلبة الجزائريين خصام الشخصية، و نمى لديهم الإحساس بروح المسؤولية وسط الضيم الاستعماري وما آل إليه من نتائج وخيمة على فئة الطلبة الذين عايشوا أحداث الجزائر وتعرفوا على أسلوب الانتخابات و تشكيل الجمعيات والأحزاب، ولو أنهم لم يرتقوا وقتها إلى مستوى التنظيم الطلابي الذي عرفوا به فيما بعد، ومن تم فقد وصفهم فرحات عباس بقوله ":فالحركة الطلابية هي هيئة ثقافية و سياسية كانت تضم الطلبة المسلمين الجزائريين و قد أسماها بجمعية الطلبة".

وكان هدف تأسيسها من الوجهة الفرنسية هو تطوير معارف واستقطاب طلبة شمال إفريقيا، ولذلك تعد من أقدم الجامعات في الوطن العربي وظلت الجامعة الوحيدة على المستوى الوطني حتى الاستقلال.

ومن هنا نصل إلى القول إن تأخير تأسيس جامعة الجزائر يعود أساسا إلى عدم وجود نسبة كافية من أبناء المعمرين ممن لهم الشروط المتوفرة للتسجيل في الجامعة، ومع ازدياد عدد الراغبين في متابعة الدراسة العليا من أبناء المستوطنين تحتم على الولاية العامة من إنشاء جامعة تتكفل هؤلاء الطلبة، وبذلك فتحت فروعا عديدة لكل حسب رغبته وهي كلية الحقوق، وكلية الطب، الصيدلة، وكلية العلوم وكلية الآداب.

والجامعة تعد قمة النظام التعليمي ولهذا فمن المتوقع منها في ضوء التقاليد وإتقان العمل أن تقوم بقيادة النظام التعليمي، كما يراد منها أن تكون الحارسة الحقيقية والباحثة عن الحقائق الجديدة، بل والمتمردة أحيانا على المعتقدات القديمة الجامدة والمحافظة على تراث المجتمع والمشكلة لشبابه والباحثة على سبل مستقبله.

وإذا كان مدير الشؤون الأهلية قد راهن على ذلك، فإن دور الجامعة عادة ما يتعدى ذلك وقد تمثل في الاطلاع على الأمم ومعرفة مقومات الحضارة وسيرورة التاريخ وازدهار الأمم وانحطاطها، وهناك دراسات أخرى في الجامعة تؤدي إلى غاية تقنية وهي الإعداد لمهنة أو عمل بل ترمي إلى تنمية قوى الأذهان وتوسيع الآفاق المعرفية وتنشئة المواهب التي تميز الإنسان المثقف، كما أن ميزة الجامعة وجود نشاطات خارج الدروس تتبلور في بعث التنوع الفكري الذي يؤول إلى تنمية ملكة الوعي الحضاري لدى الفئة المثقفة .

2- <u>هجرة الطلبة الجزائريين إلى الخارج</u>

لقد عرفت العشرية الأولى من القرن الماضي هجرة العديد من العائلات الجزائرية نحو بلاد المشرق العربي وخصوصا من منطقة تلمسان، وتذكر المصادر الفرنسية أن أكثر من 20 ألف مهاجرا تركوا الجزائر مع مطلع القرن، وهناك جملة من العوامل الصادرة لذلك منها :الجوانب الدينية والاقتصادية والسياسية، لكن أهم عامل يتمثل في صدور قانون التجنيد الإجباري سنة 1912 وما ترتب عنه من تداعيات عديدة بما فيها الهجرة نحو الخارج.

و قد شملت الهجرة عنصر الطلبة الذين أصبحوا يبحثون عن مناطق آمنة بعد عملية الطرد الداخلية ،و ظهور الهجرة نحو الخارج و قد نتج عن ذلك قلة من الطالبة الجزائريين الذين يدرسون في الجامعات و المعاهد خاصة في فرنسا، وقد تأثر هذا النفر من الطلبة بما عايشوه في الخارج، و خاصة وسط الجامعات التي كانت بمثابة خلايا للأفكار والسياسة، فالجامعة مؤسسة تتولى التعليم المهني العالي و تعني بالتثقيف الواسع الحر لإنماء الوطنية الصالحة و الوعي الحضاري، كما تقوم بالبحث و الاستكشاف لتوسع نقاط المعرفة الإنسانية ،ومن تم فإن دور الجامعة في الحياة الوطنية هو تهيئة النخبة لتغدو مصدر بعث للحياة الوطنية . وبالفعل قد أخذ العديد من الطلبة الجزائريين بأفكار التحرر وحرية التعبير والقول، وحسب رأي جوليان فإن باريس كانت مصدر إلهام وتسيس طلبة المغرب العربي، وقد أشار إلى ذلك بقوله ": وأرسل قسم من البرجوازية أبناءهم للتعليم بالمعاهد الفرنسية وإتمام دراستهم بباريس، وهناك اكتشف الطلبة للحركة الوطنية الأيديولوجية الديموقراطية

باتصالاتهم برجال السياسة الفرنسيون فأصبحت قاعدة لرغبتهم ".

وإذا كان جوليان قد جعل من باريس قبلة استقبال الطلبة الجزائريين، فإن أحد الطلبة قد أوضح في أن المشرق العربي كان هو الآخر قبلة لاحتضان جموع الطلبة، وقد كشف عن جملة من الدوافع والمتمثلة في التخلص من ربقة الاستبداد الاستعماري والفرار من الظلم والاضطهاد كما كانت هجرة الطلبة عن طريق بعثات علمية منظمة أو هجرة حرة قصد الدراسة للحفاظ على تراث الآباء والأجداد وتركيز دعائم العروبة والإسلام في الجزائر. وقد قدرت المصادر الفرنسية عدد الطلبة الذين هاجروا للدراسة بالجامعة الإسلامية سنة 1954ب 900 طالب نحو الزيتونة و 200طالب نحو القرويين بفاس و 30التحقوا بالأندلس في إسبانيا .

أما الإبراهيمي أكد بدوره مدى مساهمة الجالية المهاجرة بما فيها الطلبة في إحياء و بعث حركة النهضة و إرساء ثورة فكرية جديدة عمقت من الحس الوطني و قد عبر عن ذلك بقوله":ورجع أفراد من إخوان الذي كانوا بالمشرق مهاجرين أو طلابا للعلم و جماعة من تلامذة الأستاذ ابن باديس الذي اكملوا تعليمهم بجامع الزيتونة تنطوي نفوسهم من أساتذتهم على فكره و روحه و من جامع الزيتونة على متونه و شروحه فاستقام الصدد و انفتح السدد و تلاحق المدد و كانت من أصواتنا مسموعة ما يكون من الصيحة رجت النائم و من أعمالنا مجموعة ما يكون من الروافد انصبت في النهر فجاشت غواربه و كانت تلك بداية النهضة بجمع فروعها و الثورة الفكرية بتمام معانيها ".

3- <u>الاحتفال الفرنسي بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر</u>

لقد أدمت التحضيرات الفرنسية للاحتفال بالذكرى المئوية الجرح الجزائري من جديد، وكان استفزاز حرك مشاعر الكثير من الجزائريين باعتبار أن مظاهر هذا الاحتفال كانت ضربة جديدة للمقدسات الدينية والوطنية، بل تحد جديد كشف عن نشوة الانتصار الفرنسي من الوجهة العسكرية والدينية ورفع راية الصليب خدمة للمسيحية.**(15)**

وقد رفعت فرنسا شعارات احتفالية حاملة للحقد الدفين للشعب الجزائري منها:

انتصار الصليب على الهلال، وتشييع جنازة إسلام، ونحوها من الشعارات المعادية للحضارة العربية الإسلامية ونافية للوجود الجزائري في أرضه المشروعة، وكل ذلك بعث اليقظة الجزائرية من جديد والسعي لإحباط نوايا الاحتلال الحاقد حسب ما أشار إليه الإبراهيمي.

وكانت التحضيرات للاحتفال قد نصرت الرائد والصحف بل كانت قضية الساعة الإعلامية، وانتشر صداها بين المثقفين والطلبة ورجال السياسة ومن دون شك أن ذلك الأثر أجمع الجزائريين أكثر ما فرقهم.

وإذا كانت التحضيرات قد وسعت من ضجر الجزائريين، فإن بعض الأطراف نظرت إليها بنوع من التفاؤل، وخصوصا النخبة الليبيرالية التي آمنت إلى حد كبير بالفكر الديموقراطي و المساواة و الحرية، و رأت في الاحتفال مبعثا لتجديد الحياة لكن سرعان ما خابت آمالها فالأعيان المسلمين التابعين للإدارة) الباشاغات، القواد، المنتخبون الذين تباروا في مدح فرنسا و استفادوا من الامتيازات و اختاروا الحلول الوسطى أخذت امتيازاتهم في التلاشي لأن نية الإدارة كانت على اتمام انتصاراتها و كان ذلك واضحا في لهجة الاستفزاز التي طبعت الاحتفالات لا في الجزائر فقط، بل حتى في المؤتمر الإفخارستي الذي عقد في قرطاج بتونس ما بين 7إلى 11 مارس1930.

وفي المغرب الأقصى في 16 ماي 1930 وكان ضربة جديدة لمحاربة الديانة الإسلامية وتمجيد العرف والتقاليد وتقسيم المجتمع المغربي إلى طوائف، وقد تزامنت هذه الأحداث الثلاثة في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى وأسهمت بشكل أو بآخر في تقارب وجهات النظر بين شعوب المنطقة واعتبروها حربا صليبية ضد المقدسات الدينية والوطنية .

وقد تركت هذه الأحداث أثرها العميق في نفسية رجال الدين والثقافة وحتى رجال السياسة لدول المغرب العربي، ومن ذلك ما تجلى واضحا لدى حركة النواب الجزائريين الذين عبروا في الكثير من الأوقات على أن

الاحتفال لم يكن عادلا مقارنة بالحالة المزرية والمأساوية التي كان عليها الشعب الجزائري .

4- الشعور بالميز العنصري وبروز الفكر الوحدوي لدول المغرب العربي

لم يكن عمل وحدة دول المغرب العربي بالجديد بالنسبة لشعوب المنطقة، بل عرف مراحل الوحدة قبل ذلك وخير مثال ظهور الدولة الموحدية التي استطاعت لم الشمل ولكن الظروف المختلفة عصفت بالمنطقة، ووسع الاستعمار من وحدة الشعوب بعد أن غرس سياسة الميز والتفرقة ونحوها.

وبرغم ذلك فإن فكرة الوحدة لشعوب المعرب العربي ظل قائما وكانت الطموحات كثيرة اتضحت ملامحها أكثر من بروز النهضة وميلاد التيارات السياسية منذ العشرينيات من القرن الماضي، ولذلك انساق العمل الطلابي لتحقيق وذلك الأمل وتجسيده ميدانيا ولو أن الإدارة الفرنسية كانت بالمرصاد لكل اتصال بين منقصي المغرب العربي، وإقامة الحواجز للحيلولة دون تبادل الأفكار والتجارب، ومن تم جاء تأسيس جمعية الطلبة في فرنسا لإحباط تلك المحاولات وجمع صف طلبة المغرب العربي حول القضايا المصيرية المشتركة .

وإذا كان هناك من الطلبة من ساعفه الحظ على الوصول إلى مقاعد الجامعة سواء في جامعة الجزائر أو في الجامعات الفرنسية، فإن ذلك لا يعني من جهة أخرى حصول هذه الشريحة من المثقفين على حقوقها الكاملة في الوسط الجامعي، بل ظلت مهملة ومحتقرة ولم تنل حقوقها كاملة في ميدان الدراسة. **(16)**

ونجد أن الطابع العنصري الذي ميز الجامعة الفرنسية ومعايشة الطلبة الجزائريين لذلك الميز العنصري مقارنة مع طلبة الكولون الذي يستفيدون بكل الامتيازات المادية والمعنوية على حساب الطلبة الجزائريين الذين كانوا يخضعون لنظام خاص من حيث المعاملة والاستفادة من الحقوق كالخدمات والتكوين والترفيه والنجاح وحتى التوظيف الذي كان يشترط فيه التنازل عن الأحوال الشخصية الإسلامية، ومن تم كان الطالب الجزائري يشعر بالغربة والانطواء في المدرسة أو الجامعة الفرنسية .

وخلال الحرب العالمية الأولى ظهرت حركة نشيطة في أوروبا مكونة من الشباب القومي التونسي والجزائري، وتذكر التقارير السرية الفرنسية من خلال مراسلة للحاكم العام في الجزائر إلى وزير الداخلية المكلف بالشؤون الخارجية والحرب أن العلاقة أصبحت وطيدة بين حركة الشباب التونسي وجمعية الشباب الجزائري خصوصا في منطقة وادي ميزاب والمقيم العام الفرنسي بتونس الحركة الميزابية بكونها امتداد الحركة البلشفية، وأن التعاون الشباني الجزائري التونسي استغلهم نشاط من حركة الشيخ عبد العزيز طالب والشيخ صالح بن يحي .وقد أثمر هذا التعاون في إرسال بعثة طلابية من أثرياء.

والحق أن المنفى كان ملجأ بل متنفسا خدم أحاسيس حركة الشباب الجزائري الذي عزز من علاقاته مع الشباب التونسي في ديار الغربة وتجسد ذلك في مذكرة قدمتها هيئة جزائرية تونسية إلى مؤتمر باريس المنعقد في جانفي1919 ، وجاء في خاتمة المذكرة ":إن الشعب الجزائري التونسي يطالب باستقلاله التام ويهيب بالضمير العالمي ليغترف له بحقه تقرير مصيره بحرية ويرفع مطالبه الشرعية إلى مؤتمر الصلح الذي سيجتمع بعد أيام للنظر في خريطة العالم وإصدار مبادئ جديدة لضمان حقوق الإنسان والشعوب ". وهكذا كان هناك تأثير وتأثر وتمازج بين حركة الجزائر الفتاة وحركة الشباب التونسيين .**(17)**

وبرغم أن الجامعة الفرنسية كانت مفتوحة لفئة متميزة من الجزائريين كما أسلفنا، إلا أن الطلبة الجزائريين شعروا بذلك الحيف العنصري، وقد عبر فرحات عباس عن ذلك الوضع المأساوي الذي عايشوه بقوله ":في تلك الفترة كان الفرنسي والأوروبي هو وحده صاحب الحق في الجزائر، وكان الطلبة الأوروبيون فقط هم الذين يستطيعون أن يكونوا اتحادا عاما للطلبة، وليس للطالب الجزائري حق الاشتراك فيه "...

5- تأسيس التنظيمات الطلابية الفرنسية

ميلاد التنظيمات الطلابية العالمية في فرنسا أثناء حكم الجمهورية الثالثة، إذ برزت العديد من التشكيلات الطلابية في الجامعات الفرنسية، منها جمعية الطلبة في

كل من جامعة نانسي سنة1877، وفي جامعة بوردو سنة 1882 وباريس سنة 1884 وفي جامعة ليون وفي ليل عام1907، ومرحليا تعايشت هذه التشكيلات الطلابية وتوحدت تحت أسم الاتحاد الوطني للجمعيات الطلابية الفرنسية .

وقد أسس الاتحاد الوطني للجمعيات الطلابية الفرنسية فروعا له في الجامعات المتواجدة بالمستعمرات ومنها الجزائر وحسب بير فيلي فإن الاتحاد الوطني تحول فيما بعد إلى الاتحاد الوطني يهدف جمع شمل الطلبة إلى اختلاف توجهاتهم وتحقيق قوة فاعلة (U.N.E.F)لطلبة فرنسا للدفاع الموحد عن مصالح الطلبة .

ولذلك فمن دون شك أن الطلبة الجزائريين قد عاصروا هذه التشكيلات الطلابية سواء في فرنسا أو في جامعة الجزائر، وأخذوا عنها العمل النضالي الطلابي، إذ تذكر النشرة السنوية لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا أن عدد طلبة المغرب العربي بفرنسا ما بين 1931 و1932 بلغ حوالي 152 طالبا منهم 11 من المغرب و21من الجزائر 119 من تونس.

كما شهدت باريس ما بين6 إلى 10 أكتوبر 1908 مؤتمر شمال إفريقيا، وقد حضرته نخبة من الشباب التونسي ونحن هنا نستبعد المشاركة الجزائرية في مثل هذا اللقاء، وكان مؤتمر باريس حافزا لتنوير الرأي الأهلي لشعوب منطقة شمال إفريقيا .

6- مشاركة الشباب الجزائري في الحرب العالمية الأولى 1914-1918

مشاركة الشباب الجزائري في الحرب العالمية الأولى، ومساندة دول الحلفاء وخدمتهم ماديا ومعنويا، وتقديم ضريبة غالية في جبهات القتال ومصانع البارود والأسلحة، واحتكاكهم عن قرب بالواقع الأوروبي وما آل إليه في مجال التفكير والهيمنة والتسلط، وعندما خشيت فرنسا من ردود الفعل الجزائري المبكرة خففت الخناق على الأهالي وخاصة الشباب المتعلم، وكانت رسالتها الجديدة تتمثل في تقديم الخدمات امن وقفوا معها في المحنة وذر الرماد في أعينهم إدخال بعض التعديلات في قوانين المجالس والانتخابات النيابية 1918.

وقد أشار إلى بداية ذلك التبلور السياسي البشير الإبراهيمي بقوله ":بدأت آثار هذا التطور الفكري تظهر بجلاء على إثر انتهاء الحرب ورجوع المجندين الجزائريين إلى بلادهم وكثير منهم يحمل الأوسمة العسكرية وشهادات البطولة ويتقاض المرتبات الوافرة طول عمره وأهم من هذا كله أنه يحمل فكرة جديدة عن نفسه وعن الفرنسي زميله في الحرب وجاره في السلم وسيده الموهوم بالأمس وكان لسان الجندي الجزائري يقول لزميله الفرنسي قد عرفناكم فلا سيادة بعد اليوم وكان من آثار هذه الروح الجديدة أن ارتفعت أصوات فردية تطالب بحق الجزائر في الحياة السياسة وتسويته بالأوروبيين في الحقوق بعد أن سوت بينهما الحرب في الواجبات "....

قد أشار إلى ذلك فرحات عباس يقوله":بعد مشاركة شعبنا في الحرب العالمية الأولى سمح لطلبة الجزائريين المسلمين أن يكونوا ودادية، وإذا كانت مثل هذه الخطوة تعتبر في الظرف الراهن شيئا لا قيمة له، فإنها حينئذ كانت تعد انتصارا كبيرا له أهمية كبرى بالنظر إلى القانون الاستثنائي البائد الذي كان يرضخ تحته شعبنا الذي كان يدعى إذ ذاك باسم قانون الأهالي"....

7- مطلب العرائض وبزوغ النهضة الجزائرية

تكوين الجمعيات والمنظمات الشبانية ففي مطلع القرن الحالي عرفت الجزائر ميلاد العديد من الجمعيات والنوادي التي ساهمت بالقسط الوفير في تنمية الحس الوطني، وخاصة منه الجمعوي والطلابي، مثل الجمعية الرشيدية والتوفيقية ونادي صالح باي ونادي الجزائر، وتشكيل الفرق المسرحية والفرق الرياضية والجمعيات الدينية ونحوها وتجدد العمل بالعرائض. وتعد عريضة 1912من أهم العرائض التي قدمتها مجموعة النخبة المثقفة برئاسة الشريف بن حبيلس إلى الحكومة الفرنسية وبالرغم من الإخفاق الذي مني به المثقفون الجزائريون أنداك لم يطالبوا بالاستقلال، لكن اليأس لم يدب في نفوسهم وظل الأمل يراودهم في الوصول إلى

تحقيق جملة من الحقوق التي يتمتع بها المستوطنون، وإن يعاملوا في بلادهم وهم الشرعيون كما يعامل المستوطنون الدخلاء. **(18)** وكل ذلك لم يكن بعيدا عن شرعية الطلبة باعتبارها الفئة المتعلمة ولذلك فلا غرابة أن نجد خلال الثلاثينات ميلاد شباب المؤتمر الإسلامي سنة 1936.

وقد عالج سعد الدين بن أبي شنب تلك النهضة بنوع من الإسهاب وأشار إلى حل العوامل الداخلية والدولية المحيطة بها، بالإضافة إلى بروز تلك اليقظة في كل مظاهر الطباعة والتأليف والكتابة وتطوير مناهج التعليم وبروز الصحافة العربية وتغذية الحس الوطني وبروز اعلام إصلاحية ساهمت بالقسط الوفير في أرضية البناء الوطني بعد ميلاد الحركة السياسية خلال العشرينات من القرن الماضي .

8- <u>نمو الوعي الوطني بالمدرسة الجزائرية</u>

فقبيل اندلاع الحرب عرفت الجزائر حركة انبعاث ثقافية هامة وخصوصا خلال حكم جونار على رأس الولاية العامة في الجزائر . ومع تطور الأحداث برزت المدارس العربية الحرة، وقد تطورت هذه المدارس الحرة مع بداية الثلاثينيات وأصبحت بمثابة الوعاء الإسلامي لغرس حب الوطن وإذكاء الحس في نفوس الطلبة الجزائريين و–الحكومة الفرنسية- تعمل على ثقل اللغة العربية وتحطيم الدين الإسلامي وعلى تجهيل الأمة، والعلماء المسلمون يعملون في خط مناقض للخط الحكومي فهم يقومون بالجهود المحمودة لإحياء الدين وتطهيره من الخرافات ونشر اللغة ورفع الأمية عن الجزائر غير مبالين بالعقبات ووسائل الزجر والتنكيل "...

والظاهر أن الخناق الذي ضربته فرنسا على تعليم الجزائريين عرف طريق النور بعد صدور قانون 18 أكتوبر 1892 الذي ينص على إمكانية فت المدرسة الحرة ولو أن القانون ظل مقرونا بموافق الإدارة الاستعمارية أولا وأخيرا ومع تزايد ضغوط ومطالب رجالات الحركة الوطنية، بفتح المدارس الحرة وعجز الإدارة الاستعمارية على توفير المدارس لأبناء البلاد، واشتغال لهيب الغيرة على اللغة العربية ومقومات الأمة الجزائرية المسلمة ظل بصيص الأمل، وتجلت بوادر الحياة التعليمية. وهكذا عرفت مناطق عديدة من الوطن مع بداية القرن ميلاد مدارس قرآنية ولكنها تجنح نحو الخط العصري، وهي متأثرة إلى حد ما بتجارب البلاد العربية والإسلامية. **(19)**

ومن هنا يمكن القول إن تنامي التعليم بالمدرسة الجزائرية الوطنية فتح الآفاق أمام الشريحة العريضة من الأطفال الجزائريين، إذ يذكر المدني أنه في حدود1931، وصل عدد المدارس على الخط الجديد حوالي 300 مدرسة تستقطب قرابة 3000 تلميذ من مجموع 780 ألف ممن هم في سن الدراسة.

وبتطور الزمن أصبحت المدرسة الجزائرية أشبه ما يكون بالمشتلة التي تكون الطلبة العاملين في الحقل الخيري والاجتماعي والسياسي، وهي الوعاء الأساسي لغرس الوطنية في نفوس الطلبة الجزائريين وطلبة المغرب العربي.

ومع تطور الأحداث واتساع الإقبال على مؤسسات التعليم في المدارس والنوادي التي كانت تابعة لجمعية العلماء المسلمين وحتى حزب الشعب الجزائري وازداد الاهتمام الفرنسي بمراقبتها والتشديد عليها، وبرغم ذلك فقد ذكرت التقارير أن كل ذلك لم يقلل من عزيمة المشرفين عليها، وارتفع عددها من 22 مؤسسة سنة 1930إلى 234 سنة 1938.

ومن تم فقد أكدت العديد من الكتابات التاريخية أن قوة مرجعية نمو الوعي الوطني والديني لدى الطلبة الجزائريين تعود أساسا إلى مرحلة الثلاثينات وبالخصوص بعد انتشار مبادئ جمعية العلماء واتساع دراساتها الرافعة لشعارك "الاسلام ديننا العربية لغتنا الجزائر وطننا "والاستقلال لحق طبيعي لكل شعوب الأرض. **(20)**

9- <u>احتكاك الطلبة الجزائريين مع الطلبة الفرنسيين والمغاربة</u>

نمو وتبلور الشعور والفكر الوحدوي، في خطابات شعوب المغرب العربي نتيجة القواسم المشتركة من ضيم الاستعماري وفاعل تاريخي ولغوي وديني وحتى مصيري، وتعززت تلك الروابط خصوصا بعد موجات

الهجرة الجزائرية باتجاه تونس والمغرب هروبا من القهر الاستعماري من جهة، والنهل من المعاهد التعليمية من جهة أخرى، وبالمقابل تردد الطلبة التونسيون والمراكشيون هم أيضا على جامعة الجزائر.

تعد تونس من الأقطار التي فتحت أبوابها لاستقبال الهجرة الجزائرية سواء بغرض الإقامة أو بغرض التمدرس أو الصبور باتجاه دول أخرى، وكانت الزيتونة المحطة الهامة التي جلبت العديد من أبناء الجزائر بغية التكوين، إذ وصل عدد المهاجرين الجزائريين تونس ما يقارب 1200 مهاجر سنة 1936 وارتفع إلى 40816 ليصل سنة 1946 إلى 50000 مهاجر وكانت بلاد القبائل من أكبر المناطق التي نزح منها السكان إذ هاجر منها 7000واستقر معظمهم في العاصمة التونسية.

واستقطبت المغرب هي بدورها العديد من المهاجرين الجزائريين ومنهم الطلبة الذين التحقوا بجامعة القرويين بفاس، ففي سنة 1926 بلغ عدد المهاجرين الجزائريين 7800 مهاجرا وارتفع العدد سنة 1931 إلى11700، ليصل سنة 1936 إلى 15500 أما سنة 1947بلغ 32916، ولكن العدد انخفض سنة1951 إلى 31767مهاجرا.

10- <u>فرض سياسة التجنس على الطلبة الجزائريين</u>

طرد الطلبة الجزائريين من صفوف الطلبة الفرنسيون بدعوى أنهم غير متجنسين وأنهم لا يملكون الحقوق الفرنسية نفسها **(21)**، ومن تم فلا يحق لهم الاختلاط والبقاء والدراسة والاستفادة من الخدمات الاجتماعية كما هو الشأن لدى الطلبة المعمرين كل ذلك من قناعة تفعيل العمل الطلابي الجزائري.

وقد راهنت فرنسا على تفكيك المجتمع الجزائري من خلال إصدارها للعديد من المراسيم كمرسوم سنتوس كونسلت الصادر سنة 1865 والذي يمنح المسلمين الجزائريين حق المواطنة الفرنسية شريطة التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية، و إذا رفضوا فإنهم يبقون منذ 1926 عرفت بعض المدن المغربية بروز نشاطات جمعوية سياسية و ثقافية هامة قام بها مجموعة الطلبة كالجمعية السياسية السرية التي أسسها علال الفاسي في فاس، والجمعية الثقافية التي ترأسها المختار السوسي، والرابطة المغربية بالرباط و التي سيرها كل من أحمد بلا فريج و المكي الناصري، ومحمد القباج و محمد بنونة.

وقد سيطرت على الساحة الجامعية ظاهرة الميز العنصري وتسلط الطلبة الفرنسيين على حساب الطلبة الجزائريين وأصبح جليا ضرورة ا لتفكير في تنظيم طلابي جزائري لجمع الشمل والتصدي لردود الفعل الطلابية الفرنسية، وذلك ما كشفت عنه نشرية الطلبة الجزائريين بعد ميلاد التنظيم الطلابي بقولها ": تأسست الجمعية في شهر ديسمبر 1927 لسد حاجة أحسنها طلبة شمال إفريقيا المسلمين في ذلك العهد، إذ كانوا بالرغم من عددهم الكثير يجهلون بعضهم بعضا، ولا يجتمع الواحد منهم بأخيه إلا بفضل الصدفة، على إننا نرى الطلبة في كافة الأقطار لهم جمعيات يلتفون حولها فتلم شملهم، و تؤازر الضعفاء منهم فكيف يتسنى لنا نحن أبناء بلاد واحدة أن نبقى متفرقين"...

هكذا إذا توفرت جملة من العوامل الداخلية والخارجية ساهمت في ميلاد العمل الطلابي المنظم في الجزائر، وكانت الولادة تعد بحق بداية جديدة في تاريخ الجزائر الثقافي من جهة، ومن جهة أخرى فتح نافذة جديدة على إقحام الشريحة المثقفة في قضايا الجزائر المعاصرة وتحديد الآفاق المستقبلية للجزائر التي كانت ترزخ تحت وطأة الكابوس الاستعماري.

وبذلك دخل الطالب والمثقف الجزائري في معركة جديدة ضد سياسة الاستعمار الفرنسي، وأصبح رجل الثقافة طرفا في البحث على المعارضة الوطنية التي اتضحت معالمها بعد تأسيس الحياة السياسية المنظمة مع مطلع العشرينيات من القرن الماضي.

خاتمـــــة

مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين عرفت الجزائر نقلة نوعين في حركية البناء الفكري وبروز طبقة جديدة من جيل المثقفين الذي ورث عن أسلافه المخضرمين بعض الملامح الثقافية غير أن انتسابه إلى مرحلة جديدة أكسبته بعض النضج واليقظة المرتبطة بقضايا المجتمع والوطن ولو أن نضج

الفكرة لن يكتمل بعد وظل التكوين والمطلب يتراوحان في ظل الوجود الاستعماري والأبوة الفرنسية.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تنوعت روافد التكوين الفكري والثقافي وبرز بالمسار الثقافي رافدين أساسين في تلقين الناشئة واتضحت الازدواجية في الاهتمام بجيل ما بعد الحرب، فالاتجاه الأول رسمي، أما الاتجاه الثاني تمثل في التعليم الحر الذي أسهمت فيه الحركة الإصلاحية وكان مضمونة يرتكز أساسا على ضرورة استعادة مقومات الهوية الوطنية وتكوين جيل جزائري جديد جزائري رافض للطرح الاستعماري بعد أن تشبع بالقيم والأفكار الوطنية والدينية.

وقد نتج عن مرجعيات التكوين بروز شريحتين طلابيتين أساسيتين خلال مرحلة الثلاثينيات هما فئة الطلبة المتواجدون في الجامعات الفرنسية والأجنبية. وقد أخذوا بالمبادئ التي وجدوها في محيطهم الثقافي وحياتهم الجامعية، بل ناضل بعضهم داخل المنظمات الفرنسية، في حين تأسست فئة أخرى من المنظمات الطلابية في الجامعات العربية والإسلامية وأخذت هي الأخرى مما وجدته في محيطها الثقافي والبيداغوجي.

وبرغم الاختلاف في المشارب الدينية واللغوية وحتى الاجتماعية للنخبتين الطلابيتين فإن هناك قواسم مشتركة بينهما تمثلت في النضال والمطالبة بالحقوق والاستفادة من المحيط والتأقلم معه وخصوصا في مثل أوضاعهم البعيدة عن الوطن. وقد ساعد ذلك من تمكين النضال الطلابي وبروز تنظيمات مختلفة المشارب خصوصا بعد ميلاد الحركة السياسية الوطنية، وأصبح كل تيار سياسي يراهن على جموع الطلبة باعتبارها قوة حية في المجتمع.

قائمـــة المراجـــع

1- أسعد أحمد علي، الطلاب وإنسان المستقبل، ط1، دار الرائد العربي بيروت،1971، ص 34.

2- حسين صعب، ثورة الطلاب في العالم، ط1 ، دار العلم للملايين، بيروت،1968، ص 33.

3- محمد قناش، الحركة الاستقلالية في الجزائر، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1983، ص40 .

4- Centre Culturel Algérien, L'étoile Nord-Africaine et le Mouvement National Algérien, (Publication du centre culturel Algérien), Paris 1988, P87.

5- مصلح الصالح، الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية ط1، دار عالم الكتب المملكة السعودية،1999، ص185.

6- عبد القادر جغلول، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر-ترجمة سليم قطوس، ط 1دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت،1984، ص06.

7- Fanny Colonna, les instituteurs Algériens 1883/1939(o.p.u Alger 1975) .p32

8- صالح جديد، الانتليجانسيا الشابة والزمن نحو التحرر، جريدة رسالة الأطلس، عدد235 ، الموافق ل 5-11 أفريل1999 .

9- Maurice Paulard ; l'enseignement pour les indigènes en Algérie (3) (imprimerie administrative Alger 1910), p422.

10- رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد إصلاح التربية في الجزائر، ط4 ، المؤسسة الوطنية للكتب،1984 ، ص285 .

11- Malek Haddad, les zéros tournent en nord, (éd Maspero 1961), P45.

12- Roger le tourneau, évolution de L'Afrique au Nord Musulmane 1920-(2) 1961(Paris1962), P142.

13- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة المنجي سليم وآخرون، ط1 ، الدار التونسية للنشر والتوزيع، لجزائر،1976، ص110 .

14- أحمد توفيق المدني، الثورات الجزائرية عبر التاريخ، مجلة المعرفة، العدد6 ، نوفمبر1963، ص6 .

15- Jean Melice, le centenaire de la conquête de l'Algérie et les réformes indigène (paris 1930), P63.

16- Tayeb Belloula, Les Algériens en France leur passé leur (1) participation à la lutte de libération National leur perspectives (édition national Algériennes 1965), P28.

17- Mahfoud smati, Les élites algériennes sous la colonisation (2), Tome : 1, (édition dahlab Algérie 1998), P 231.

18- آلان سفاري، ثورة الجزائر، ترجمة نخلة كلاس، مطابع إدارة الشؤون العامة،1961، ص48.

19- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص 239.

20- Louis Mouilleseaux, histoire de l'Algérie (paris (2) 1962), P398.

21- عبد الله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية مشارب ثقافية وإيديولوجية، 1962-1871، ط2 (منشورات المتحف الوطني للمجاهد(،1995، ص38 .

المجلة الجزائرية للعلوم – سلسلة ب
آداب وعلوم الإنسانية
ISSN : 2661-7064
http://univ-eltarf.dz/fr/

Économie circulaire et écoconception : interdépendance pour le développement durable

Circular economy and eco-design: interdependence for sustainable development

Dr : KHANFAR Manaa,

université el tarf

Résumé

L'écoconception est une démarche incluse dans le concept d'économie circulaire.

Si l'écoconception tend à diminuer les impacts environnementaux d'un produit, l'économie circulaire cherche à rendre la société dans son ensemble moins polluante et plus sobre dans l'utilisation des ressources tout en poursuivant l'objectif de croissance économique et de création d'emplois.

Dans ce contexte,La mise en œuvre de l'écoconception pour l'économie circulaire implique différents types d'innovations en termes de produit et service, mais aussi de procédés, de méthodes de commercialisation (comme l'économie de la fonctionnalité), d'organisation (de gouvernance territoriale) et de communication lié à la traçabilité et à l'implication des parties prenantes, afin d'atteindre le développement durable.

Mots clés : écoconception, économie circulaire, recyclage, développement durable

Abstract

Eco-design is an approach included in the concept of circular economy.
While eco-design tends to reduce the environmental impact of a product, the circular economy seeks to make society as a whole less polluting and more resource-efficient while pursuing the goal of economic growth and creation. jobs.
In this context, the implementation of eco-design for the circular economy involves different types of innovations in terms of product and service, but also processes, marketing methods (such as the economics of functionality), organization (territorial governance) and communication related to traceability and stakeholder involvement, in order to achieve sustainable development.

Keywords: eco-design, circular economy, recycling, sustainable development.

1- Introduction

L'avenir est à l'innovation, technologique mais aussi organisationnelle, pièce essentielle de l'économie circulaire, qui a pour avantage de réduire les coûts de manière significative en mutualisant certains aspects de différents procédés industriels.

En raison de la rareté des ressources et la dégradation de l'environnement, un nouveau concept de développement mettant l'accent sur les préoccupations environnementales, appelé l'économie circulaire.

L'économie circulaire est un système plus respectueux de l'environnement qui s'oppose au système économique linéaire basé sur l'idée d'une planète offrant des réserves de ressources naturelles infinies.

Le modèle économique actuel, dit « linéaire », ne s'inscrit pas dans un développement durable.• Il est incontournable de revoir nos modes de production et de consommation pour extraire moins de ressources en amont, cesser de jeter en aval, et réduire, voire éviter les rejets à chaque étape de la chaîne de valeur.

A propos de développement durable est un concept reconnu. Les médias en parlent, il est présent dans les entreprises et le gouvernement recherche sans cessedes leviers législatifs pour le promouvoir de manière plus efficace. Nous observons que le développement durable est une amorce à la transition énergétique et que l'économie circulaire peut en être le catalyseur.

Ce concept de gestion de l'environnement, issu de l'écologie industrielle peut êtremis en œuvreà trois niveaux: région, zone industrielle et entreprise. Son objectif est de stimuler le développement économique local et ainsi la création d'emplois tout en réduisant l'impact de l'activité humaine sur l'environnement et les ressources par une coopération des acteurs locaux.

L'économie circulaire représente un mode de management innovant, générateur de développement économique et social, de création d'entreprises.Ce concept s'inscrit dans la recherche d'un développement durable et dans la nouvelle relation qui s'instaure entre l'entreprise et la société**(1)**

A propos de cela, Il n'existe aucun produit ou service « zéro impact sur l'environnement ». Tous ont, à un moment ou un autre de leur vie, des impacts sur l'environnement. N'oublions pas que certains produits, équipements ou services peuvent avoir des impacts positifs.

Tout produit demande des matières premières et de l'énergie pour être fabriqué, emballé et transporté. Il deviendra un jour un déchet. Tout produit est aussi à l'origine de rejets de substances (éventuellement dangereuses) dans l'eau, l'air ou les sols (eaux usées, gaz d'échappement, fumées, etc.).

Si on veut éviter ou réduire ces impacts sur l'environnement, il faut agir à la source, c'est-à-dire au moment de la conception du produit. Cette approche est appelée l'écoconception ou l'éco-design.

A partir de cela, nous traitons dans cet article le lien de corrélation et d'interdépendance entre l'économie circulaire (type d'économie pour le développement durable) et l'écoconception (outil de concrétisation de cette durabilité).afin d'illustrer le sentier de croissance durable via la mise en valeur de cette interaction pour promouvoir les pratiques économiquement profitable et socialement responsables.

Aperçu sur le modèle économique actuel, dit « linéaire»

Le modèle économique actuel, dit « linéaire », ne s'inscrit pas dans un développement durable. Il est incontournable de revoir nos modes de production et de consommation pour extraire moins de ressources en amont, cesser de jeter en aval, et réduire, voire éviter les rejets à chaque étape de la chaîne de valeur.

- À l'échelle mondiale, moins de 10 % des ressources extraites sont remises en circulation dans l'économie, une fois utilisées.
- Plusieurs ressources essentielles se trouvent déjà à un niveau critique sur le plan de leur disponibilité[2]

Figure (1) : Modèle économique linéaire[3]

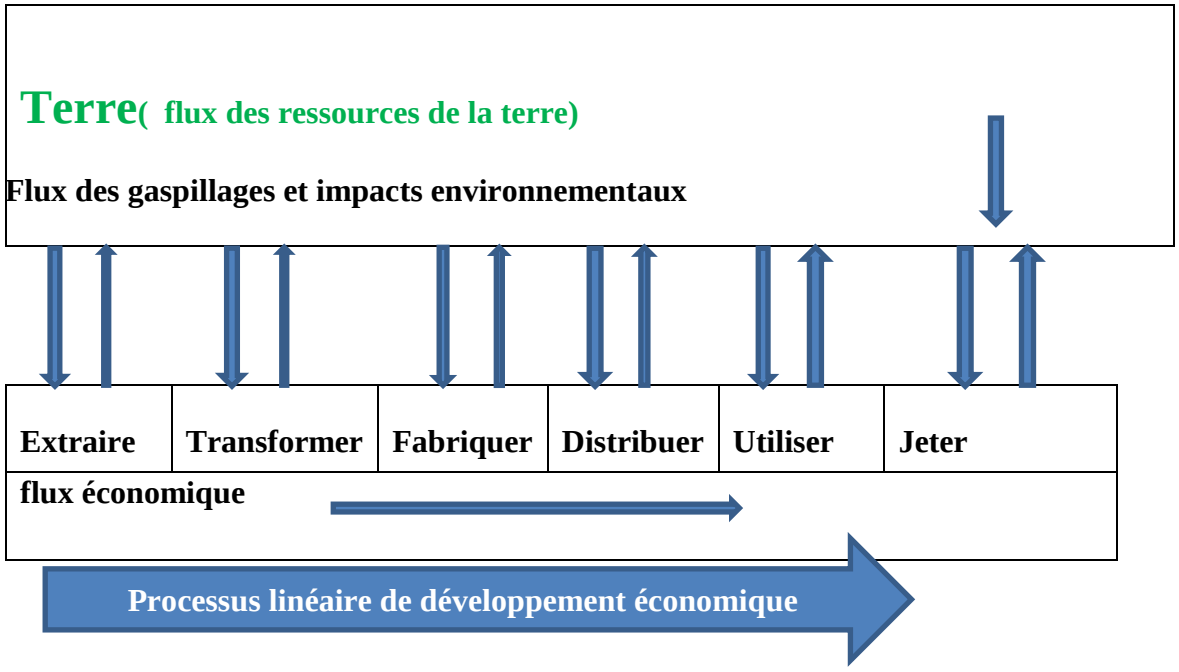

Source : Source :Jean pierre Dubé,ing 2011 .

1- Définition de l'écoconception

Toutefois, la notion de « respect de l'environnement » couvre des domaines très divers et est d'une manipulation complexe. Proposer des produits présentant de bonnes performances environnementales nécessite une démarche de conception spécifique intégrant des critères environnementaux crédibles. Il s'agit en effet d'agir dès la conception d'un produit (ou d'un service) afin de bénéficier du maximum de latitude pour minimiser ses impacts environnementaux(4)

Cette démarche se nomme l'écoconception. Les efforts à consentir dans ce cas ont des retombées qui ne sont constatées qu'à des échelles de temps et d'espace distinctes de celles de l'économie courante, rendant ces démarches strictement volontaristes. L'écoconception est de plus soumise au comportement sociologique accompagnant l'usage du produit.

- L'écoconception est une démarche de conception de produit (et de son emballage) qui doit permettre, à performances égales, de minimiser ses impacts environnementaux, tout au long de son cycle de vie, dans un processus d'amélioration continue et à coût maîtrisé. De manière pratique, l'entreprise pourra mettre en œuvre des actions de conception en intégrant la prise en compte de l'environnement. La part de la « valeur ajoutée » d'un produit liée à l'environnement progresse régulièrement(5)

- L'écoconception, un Concept international développé par le « World business Council for sustainable development (WBCSD) » à l'occasion du sommet de Rio, c'est le fruit d'une approche globale, volontaire et préventive. Elle consiste à concevoir un bien - ou un service de façon à en réduire au maximum les impacts sur l'environnement. Cette réflexion porte sur les différentes phases de la vie du produit : extraction de la matière première, fabrication, emballage, distribution, utilisation, récupération, recyclage, incinération(6)
- L'écoconception est une composante du management environnemental. Chronologiquement, la prise en compte de l'environnement s'est tout d'abord limitée à des mesures curatives : on constate une pollution, on installe un système de dépollution pour la traiter. Puis l'accent a été mis sur des mesures préventives : on constate une pollution, on met en place des mesures technologiques et organisationnelles pour l'éviter.

Dépassant le cadre strictement réglementaire, l'environnement devient une composante à part entière de la stratégie de développement des entreprises, qui s'engagent de plus en plus dans des démarches volontaires de management environnemental. Les premières actions et mesures se sont concentrées sur les consommations et les rejets de l'entreprise : on parle d'approche « organisme » (ou « site »), dont la limite se confond généralement avec les frontières de l'entreprise ou de son site de production(7)

Figure (02) : Normalisation internationale du management environnemental

	ORGANISME	PRODUIT
Mise en œuvre d'une politique environnementale	SME :lignes directrices (ISO 14004, 14061)	Prise en compte de l'environnement en conception(ISO 14062)
Démonstration	SME : spécifications(ISO14001)	Etiquetage environnemental(série ISO 14020)
Outils d'évaluation	Audit environnemental(série ISO 14010) Evaluation des performances environnementales(série ISO 14030)	Analyse de cycle de vie(série ISO 14040)

Source : http://www.oree.org/fiche de mémorisation F2/MATE.ADEME 2001 ? P2

Ce qui caractérise l'écoconception :

- Une **approche préventive**, qui se situe en amont des décisions. Elle permet la prévention ou la réduction des impacts environnementaux à la source ;
- Une **approche multicritères**, qui tient compte des impacts dans de nombreux domaines : les matières premières, l'énergie, l'eau, l'air, le sol, la biodiversité, le climat, la santé humaine, etc.
- Une **approche multi étages :** elle prend en compte les diverses étapes du cycle de vie du produit (extraction des matières premières, production, distribution, utilisation et fin de vie),
- Une **approche multi-acteurs :** une démarche d'écoconception est mise en œuvre par une entreprise ou un organisme public, mais elle implique l'ensemble des parties prenantes pour qu'elle soit réussie. Les fournisseurs, ainsi que les recycleurs, réparateurs et récupérateurs font partie intégrante du cycle de vie d'un produit ainsi que les consommateurs, acheteurs ou utilisateurs qui influencent la phase d'usage(8)
- Une **approche circulaire**, qui prend en compte toutes les étapes du cycle de vie (fabrication, distribution, utilisation, valorisation finale).
- Une **approche globale**. Pour réaliser une démarche d'écoconception, il ne suffit pas de s'intéresser à un seul problème d'environnement ou à une seule étape du cycle de vie. Il faut intégrer volontairement l'ensemble des impacts environnementaux sur tout le cycle de vie du produit(9)

Figure(3) : Les différents niveaux de l'écoconception

Niveau 1 **Amélioration de produit (biens ou services)** Amélioration environnementale progressive de produits existants, en travaillant sur un ou plusieurs composants, sans modification majeure de technologie employée.	Niveau 2 **Reconception du produit** Approfondissement et temps de développement plus important que le niveau précédent pour reconcevoir le produit. Le concept du produit reste le même et il s'agit de reconcevoir l'architecture du produit
Niveau 3 **Innovation fonctionnelle** Ce niveau implique de créer un nouveau concept de produit ou de nouvelle technologie, en changeant la façon dont la fonction du produit est remplie. Il s'agit d'une innovation de rupture.	Niveau 4 **Innovation au niveau du système produit/service** Ce quatrième niveau vise à proposer de nouvelles organisations ou de nouveaux systèmes produits/services. Ce niveau peut nécessiter des modifications sur la chaîne de valeur, des infrastructures voir un changement culturel. Le modèle économique peut être modifié en passant, par exemple, de la vente du produit à la vente d'une fonction sous forme de service.

Source : Guillaume de Bodard ; Ecoconception Guide pratique, CGPME, ADEME, p7

2- **Bénéfices et contraintes de l'écoconception**

L'écoconception est une démarche globale destinée aux entreprises et visant à l'amélioration des performances environnementales des produits, services et procédés. L'écoconception suppose une approche multicritères, et permet de concevoir différemment les produits et services en prenant en compte leurs impacts environnementaux tout au long de leur cycle de vie.

L'analyse des bénéfices de l'écoconception est articulée en deux volets :

- Une analyse stratégique et économique, mettant l'accent sur l'identification et la qualification des impacts de la démarche d'écoconception sur l'entreprise et le positionnement de son offre

- Une analyse financière, cherchant à quantifier l'impact de la démarche d'écoconception sur les ventes, les coûts de production et la rentabilité de l'entreprise.

L'analyse stratégique et économique s'attache à évaluer les impacts de la démarche d'écoconception sur différentes dimensions du positionnement stratégique de l'entreprise. Elle est formalisée par une analyse SWOT (Forces & Faiblesses, Opportunités & Menaces) appliquée à l'entreprise d'une part avant mise en place de l'écoconception, et d'autre part

après mise en place de l'écoconception, ce qui permet de mettre en évidence les impacts de l'écoconception sur le positionnement stratégique de l'entreprise.

L'analyse financière cherche à quantifier l'impact de l'écoconception sur les ventes, les coûts de production et la rentabilité de l'entreprise. On étudie donc :: --- la modification des volumes vendus et des prix de vente, dont l'articulation constitue l'impact de l'écoconception sur le chiffre d'affaires;

- l'évolution de la structure des coûts de production induite par les choix effectués dans le cadre de l'écoconception (choix de matières premières, quantités de produits utilisées);
- les dépenses réalisées pour la mise en place de l'écoconception, incluant aussi bien les coûts de projet (étude et ingénierie) (par exemple nouveaux outils de production)(10).

Figure (4) : Bénéfices et contraintes de l'écoconception

Contraintes et bénéfices en interne		**Contraintes et bénéfices externes**	
Contraintes	**Bénéfices**	**Contraintes**	**Bénéfices**
Nouvelle compétence à acquérir	Innovation et suivi des évolutions technologiques	Nécessité d'une approche rigoureuse et multicritère avec plusieurs indicateurs à prendre en compte pour identifier les problèmes majeurs	Nouveaux marchés et pérennité du marché actuel
Effort de pédagogie, de formation	Continuité dans les démarches de management environnemental (ISO 14001 et EMAS)	Orientation vers la performance environnementale (gestion d'indicateurs dans le cadre d'une démarche de progrès et d'amélioration continue)	Réponses apportées aux demandes des consommateurs et des donneurs d'ordre
Budget d'investissement	Économies possibles (matières, énergie, déchets...)et retours sur investissements	Travail sur toute la chaîne du produit (fournisseurs, donneurs d'ordre ...)	Nouveaux partenariats Avantage concurrentiel
Phase d'appropriation (3 à 5 ans)	Anticipation de la réglementation	Effort de communication	Image de marque (dynamisme, modernité)
Définition de responsabilités claires pour éviter les conflits techniques en interne entre services (ex. sécurité et environnement)	Motivation des salariés	Critiques possibles (ONG...)	Intérêt des investisseurs (rentabilité et assurances)

Source : Jacques BOUVET, L'écoconceptionpour lesmécaniciens, FIM, UIMM, , p17

A partir de cela, l'écoconception vise un système de production, d'échanges et de partage permettant le progrès social, la préservation du capital naturel et développement économique. Ce qui est corrélé avec l'objectif de l'économie circulaire pour atteindre le développement durable.

3- Qu'est- ce que l'économie circulaire ?

Le concept d'économie circulaire naît de l'idée selon laquelle un déchet peut, une fois convenablement traité, redevenir une ressource, formant ainsi une boucle dans la chaîne de production et de consommation.
Dans ce contexte, La transition vers une économie circulaire, c'est l'ensemble des transformations qui permettent de poursuivre la création de valeur pour les différents acteurs économiques (dont les consommateursfinaux), en préservant le capital naturel et en utilisant de moins en moins des ressources existant en quantité limitée.

Le concept d'économie circulaire prend ses racines dans l'observation des phénomènes physiques et des cycles naturels. Ainsi, la célèbre maxime *« rien ne se perd, rien ne se crée, tout se transforme »*, attribuée à Lavoisier, est souvent évoquée comme la meilleure synthèse du paradigme de l'économie circulaire.

L'économie circulaire vise à changer de paradigme par rapport à l'économie dite linéaire, en limitant le gaspillage des ressources et l'impact environnemental, et en augmentant l'efficacité à tous les stades de l'économie des produits.

Le concept d'économie circulaire repose donc sur **deux idées élémentaires :** la prise de conscience que ce qui est considéré comme déchet peut être réutilisé comme ressource, à l'image des processus à l'œuvre dans les cycles naturels, d'une part ; la nécessité de dissocier croissance économique et exploitation des ressources naturelles, d'autre part.

Les travaux du programme des Nations unies pour l'environnement (PNUE) et d'autres organisations montrent que par la conjonction du développement démographique, de la croissance de la consommation dans les pays développés et de l'aspiration des pays émergents à un modèle de consommation similaire, le niveau de consommation des ressources naturelles sera inacceptable avant la moitié de ce siècle. L'économie circulaire cible la gestion sobre et efficace des ressources(11)

A partir de cela,La définition de l'économie circulaire est la suivante: «La transition vers une économie circulaire appelle une consommation sobre et responsable des ressources naturelles et des matières premières primaires ainsi que, en priorité, un réemploi et une réutilisation et, à défaut, un recyclage des déchets, des matières premières secondaires et des produits. La promotion de l'écologie industrielle et de la conception écologique des produits, l'allongement de la durée du cycle de vie des produits, la prévention des déchets, des polluants et des substances toxiques, le traitement des déchets en respectant la hiérarchie des modes de traitement, la coopération entre acteurs économiques à l'échelle territoriale pertinente, le développement des valeurs d'usage et de partage et de l'information sur leurs coûts écologique, économique et social contribuent à cette nouvelle prospérité(12)»

Figure n°(05) : interaction entre écoconceptionet économie circulaire

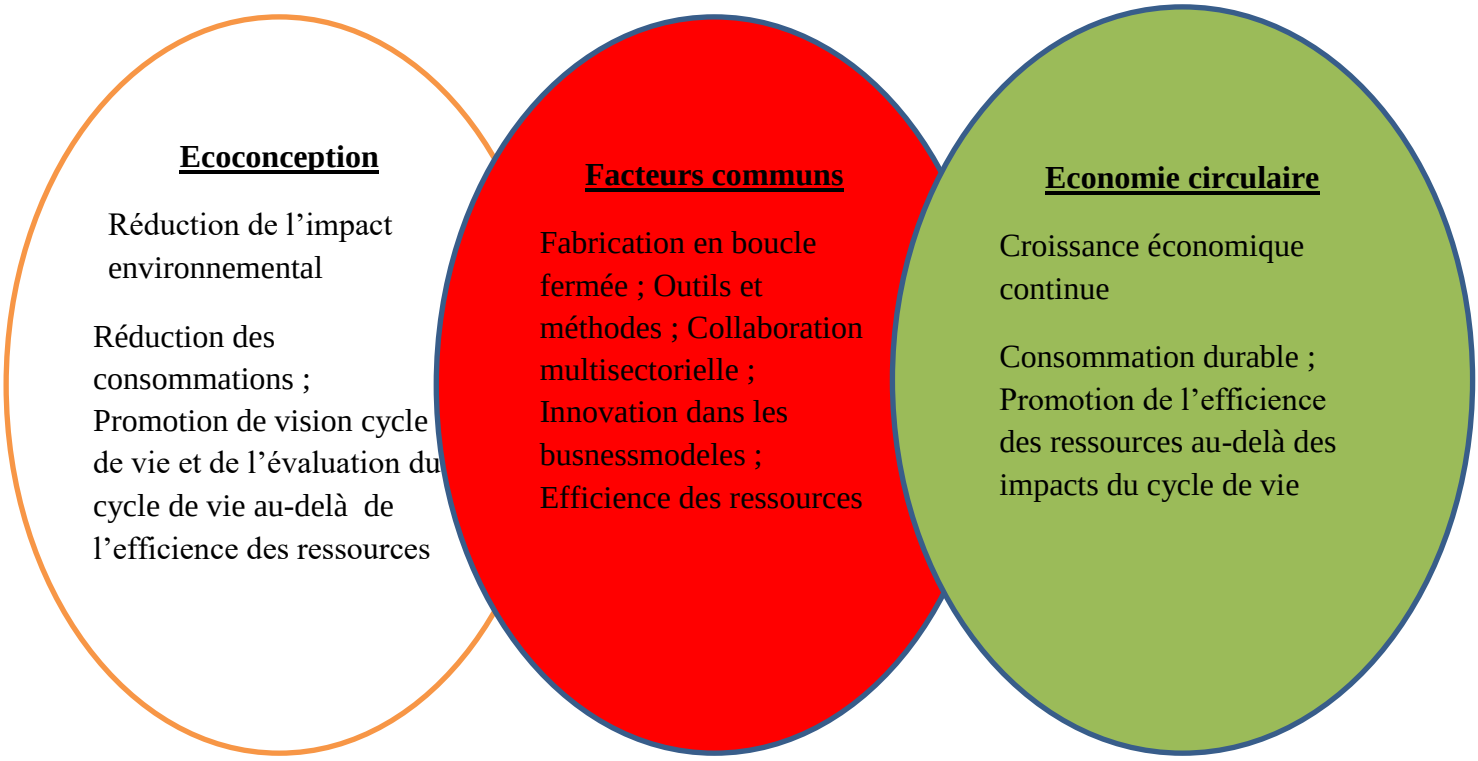

Source : Samuel Mayer ; écoconception et économie circulaire,ADEME, Pôle Ecoconception, juin 2014,p7

L'écoconception est une approche '**micro**' de la conception d'un produit et/ou d'un service. Elle ne traite pas des processus concrets de recyclage par exemple, mais elle prépare les produits et services pour qu'ils puissent être recyclable (prêt au recyclage : recyclingready). L'économie circulaire est un concept '**macro**' qui vise globalement la réduction de la consommation de ressources en fermant les boucles. Elle s'intéresse donc à la réalisation concrète de ce bouclage.

Il y a deux types assez distincts de boucles :

a- **boucles industrielles** qui traitent principalement des ressources minérales et des déchets inorganiques qui font l'objet de traitements industriels ; le déchet est traité comme une ressource.

b- B- **boucles ouvertes** sur les écosystèmes pour lesquelles les processus naturels vont effectuer le cycle.

L'écoconception dans le premier cas va viser la recyclabilité des produits et matériaux pour permettre ce recyclage, dans le second cas elle va viser la biodégradabilité des produits et matériaux et l'absence de produits toxiques.

Dans le premier cas, l'augmentation de la durée de vie est un objectif qui permet un meilleur usage des ressources, dans la seconde, les solutions qui visent l'augmentation de la durée de vie peuvent être contradictoires avec leur biocompatibilité.

Le 'bouclage final' n'est pas la seule question, il y a des 'bouclages intermédiaires' qui permettent de valoriser au mieux la matière comme l'objectif des 3R : réparation, réutilisation, recyclage(13)

4- Les objectifs à atteindre *via* le développement de l'économie circulaire

1. L'approvisionnement durable, destiné à réduire l'impact del'approvisionnement en matières premières ou à remplacer desmatières premières non-renouvelables par des matières premièresrenouvelables.
2- L'écoconception, qui permet de prendre en compte les impactsenvironnementaux sur l'ensemble du cycle de vie d'un produit etde les intégrer dès sa conception. Cela consiste par exemple àfabriquer des sacs de supermarchés biodégradables à destinationdes professionnels ou encore à concevoir des machines aisémentréparables, et en fin de vie, recyclables ou ayant un impact réduitsur l'environnement et la santé publique.
3. L'écologie industrielle et territoriale, qui consiste à mettre enplace un mode d'organisation industrielle caractérisé par unegestion optimisée des stocks et des flux de matières, de l'énergieet des services sur un même territoire.

5- L'allongement de la durée d'usage des biens, grâce au réemploi, à l'introduction dans le circuit économique des produits qui ne correspondent plus aux besoins premiers du consommateur .aussi à la réutilisation de certains déchets ou de certaines parties du déchet encore en état de fonctionnement dans l'élaboration denouveaux produits.

6- **L'économie de la fonctionnalité :**'économie de la fonctionnalité apparaît comme une voie prometteuse sur le plan du développement durable. C'est une économie tournée vers la qualité et non plus vers les volumes de biens vendus.
L'économie de la fonctionnalité offre une alternative. Elle crée de la valeur sur un mode radicalement différent du modèle dominant de production actuel.Les biens sont mis à distance de la transaction au profit du service, de la relation client et de la valeur d'usage.
Elle valorise ainsi la composante immatérielle de l'offre et l'économie des ressources.
Elle s'inscrit dans une économie circulaire, définie comme unsystème économique d'échange et de production qui, à tous les stades du cycle de vie des produits (biens et services), vise à augmenter l'efficacité de l'utilisation des ressources et à diminuer l'impact sur l'environnement tout en développant le bien être des individus(14).

7. Le recyclage consiste à réutiliser les matières issues des déchets,voire à procéder à leur valorisation énergétique. Notons cependantque si le recyclage n'est qu'une composante importante de l'économiecirculaire, il ne saurait en être l'unique : même un taux
Extraordinairement élevé de recyclage ne saurait permettre unecroissance économique durablement découplée de la consommationde ressource.

5-Les bénéfices attendus de l'économie circulaire

Les bénéfices associés au développement de l'économie circulairesont nombreux, tant en matière environnementale qu'en termes decroissance économique. Il s'agit cependant d'un processus d'innovationet de transformation des *business models,* qui, malgré unimpact globalement très positif, pourra faire des gagnants et desperdants, notamment parmi les entreprises dont la chaîne de valeursera impactée.

A- Économie de ressources

Les ressources naturelles sont largement exploitées pour la production de biens et services et parfois surexploitées, voire en situation d'épuisement à l'échelle mondiale. Certaines ont atteint un seuil critique et leur capacité de régénération est compromise.

▶ Les stocks de poissons marins sont exploités pour près de 60 % à leur niveau maximal viable et 30 % sont surexploités.

▶ Le sable est très consommé dans le secteur du bâtiment pour fabriquer du béton. Or c'est une ressource non renouvelable et les carrières en produisent de moins en moins. L'extraction du sable des rivières et des océans se développe, perturbant tout l'équilibre naturel.

▶ De nombreux métaux (cuivre, argent, zinc, nickel) pourraient être en situation de pénurie en 2030, au rythme actuel de consommation et en l'état des gisements de ressources connus aujourd'hui(15)

De très nombreuses matières premières sont soumises à des tensions importantes sur leur approvisionnement, tension dues à des stocks limités et à une explosion des besoins avec l'accroissement de la population et l'augmentation du PIB par habitant.

Le premier bénéfice de l'économie circulaire, c'est de limiter cette tension et ses effets : prix élevés, forte volatilité des cours et à terme risques de pénurie mondiaux.

D'une façon générale,, l'écologie industrielle sert l'intérêt général par la préservation de l'environnement, en réduisant les externalités négatives des entreprises ainsi que leur consommation en ressources. Les symbioses et mutualisations permettent d'agir positivement sur l'extraction et la transformation de ressources, que ce soit par des économies de matière, des quantités d'eau non consommées, des distances de transport diminuées, et des gains d'efficacité énergétique générés par la substitution de matière première ou le partage d'infrastructure.

De même, ces symbioses industrielles et mutualisations facilitent la valorisation de l'énergie, de l'eau et de la matière, dans une économie de coûts de transport, ce qui a pour conséquence d'économiser de l'énergie, de détourner des quantités d'effluents industriels des installations de traitement, de réduire la production de déchets solides non réutilisés. Au global, grâce aux activités de traitement et de valorisation, la productivité des matières est renforcée et l'on évite les rejets de polluants.

B- Evolution de l'Efficacité des Ressources

Plus de quarante ans ont passé depuis la publication du rapport «Halte à la croissance?» par le Club de Rome. Son message principal était que la combinaison de l'épuisement des ressources et de la pollution, si elle n'était pas abordée, provoquerait en fin de compte –dans les cent prochaines années –un effondrement de l'économie mondiale.

Le rapport partait de l'observation d'un accroissement rapide de l'empreinte écologique mondiale, résultant de la croissance démographique, des ressources utilisées et de la pollution générée en moyenne par personne.

Les scénarios du rapport montraient comment la croissance de la population et de l'utilisation des ressources naturelles se conjuguent pour imposer des limites à la croissance industrielle – une idée nouvelle et controversée à l'époque.

Il convient de souligner que l'objectif principal de «Halte à la croissance?» était l'impact grandissant sur les ressources physiques de la croissance économique, pas la croissance elle-même.

Le message était que l'empreinte écologique ne peut pas continuer à croître indéfiniment parce que la planète Terre est limitée physiquement.

En 1972, lorsque le rapport a été présenté, la population et l'économie du monde étaient encore probablement dans les limites de capacité de la planète.

Le rapport avertissait, cependant, que l'empreinte humaine était sur le point de dépasser les limites physiques de la planète –souvent exprimées aujourd'hui comme limites planétaires, principalement en raison de retards dans la prise de décision au niveau politique.

Il soulignait en même temps des initiatives politiques avant-gardistes pourraient être en mesure de résoudre les problèmes.

Le rapport mettait cependant en garde que les mesures techniques ne suffiraient pas. La seule solution réellement durable pour le monderequière à la fois un progrès technologique et un changement des modes de vie.

Peu de rapports sont devenus si controversés et, pas moins parmi les économistes, si fortementcritiqués.

La principale critique était centrée sur le fait que le rapport était principalement basé sur des tendances de consommation plus élevées, tout en ne prenant pas suffisamment en compte les progrès technologiques, et mécanismes de substitution et de prix.

Le débat s'apaise peu à peu. Au cours des dernières années une pile de rapports internationaux ont vu le jour, qui confirment la majorité des conclusions du rapport «Halte à la Croissance?».

Ces rapports sont issus de diverses institutions de recherche, du Secrétariat général de l'Organisation des Nations Unies, du PNUE, de la Commission européenne, de l'OCDE, mais aussi d'organisations du secteur privé. Tous ces rapports émettent de fortes mises en garde concernant l'association d'une aggravationdu changement climatique, de la surexploitation d'écosystèmes et des ressources –renouvelables comme finies –et de la pollution qui pèse lourdement sur les écosystèmes essentiels et sur la santé humaine(16)

C- Croissance économique et emplois

L'économie circulaire présente un fort potentiel de création d'emplois, en particulier dans les secteurs de l'allongement de la durée de vie des produits et de la gestion des déchets. Ces secteurs, fort demandeurs de main d'œuvre, sont en effet pour le moment sous-exploités. Cependant, il serait réducteur de ne considérer que la création de postes lorsqu'on cherche à comprendre quel impact le changement vers l'économie circulaire aura sur l'emploi.

La transition vers une économie circulaire nécessite en effet une restructuration du système productif et économique, c'est-à-dire une réallocation sectorielle des effectifs et l'adoption de nouveaux modèles d'affaire.

Il est important de prendre en compte les emplois détruits dans ce processus et d'orienter les politiques publiques afin de soutenir les secteurs dont l'activité se trouvera réduite ou contrainte d'évoluer dans la transition. Celle-ci ne pourra se faire sans une évolution et une adaptation des métiers et des filières, par la formation et le développement de nouvelles compétences.

Afin d'orienter la transition et les politiques publiques, qui doivent soutenir l'emploi, il est nécessaire de mener des études prospectives. L'évolution vers l'économie circulaire exige des innovations jusque dans les compétences maîtrisées par les entreprises: Il faut former la main d'œuvre à la restructuration du modèle productif. Alléger la pression fiscale sur les entreprises, notamment en transférant la fiscalité qui pèse sur le travail vers la consommation de ressources, permettrait de libérer le potentiel d'emplois de l'économie circulaire.

Le changement de logique économique ne pourra se faire sans porter une attention particulière à l'emploi, un enjeu au cœur de la transition(17)

Conclusion

La prise en compte de l'environnement dans la conception des produits date de plus de 30 ans et est étroitement liée au premier choc pétrolier. La formalisation des processus et méthodes de développement de produits éco-conçus, la prise de conscience collective de la dégradation des ressources naturelles ainsi que des réglementations de plus en plus strictes en matière d'environnement ont sans aucun conteste favorisé le développement et la commercialisation de produits éco-conçus.

L'écoconception s'avère aussi un levier de croissance intéressant pour les PME grâce à une plus forte créativité ainsi qu'une meilleure anticipation des besoins de leurs clients – en particulier lorsqu'elles sont sous-traitantes.

Il est clair que les impacts qualitatifs ne se traduisent pas directement en chiffre d'affaires additionnel, mais ont une influence à plus long terme. Les effets en interne sont particulièrement évidents sur la gestion des ressources humaines qui devient plus harmonieuse, grâce à l'aspectfédérateur et stimulant de la recherche et développement de produits éco-conçus.

Si l'économie circulaire apporte une réponse efficace aux problématiques de surconsommation énergétique et d'épuisement des ressources naturelles, il est essentiel de ne pas la concevoir uniquement comme une question environnementale, mais aussi comme une composante essentielle des stratégies en faveur de l'emploi et de la compétitivité. Les acteurs publics ont bien compris cet enjeu et le pouvoir de l'argument de l'emploi, qui revient régulièrement dans leur discours promouvant l'économie circulaire.

La transition vers une économie circulaire permettra le développement de secteurs innovants, porteurs d'emplois. Cependant, elle aura un impact négatif sur certains secteurs traditionnels de l'économie linéaire. Afin de mener des politiques publiques efficaces, notamment de faciliter la réallocation sectorielle des effectifs, ce double-enjeu doit être analysé. De même, les emplois nouvellement créés méritent une analyse qualitative pour mettre en évidence leurs caractéristiques spécifiques, afin que celles-ci soient prises en compte dans l'élaboration des politiques de soutien à la transition.

L'économie circulaire entraînant une restructuration complète du système économique actuel, une attention particulière doit être portée aux secteurs qui seront affectés par cette transition. Les secteurs offrant des biens durables sont également susceptibles de voir leurs ventes diminuer à mesure que les produits gagnent en durée de vie. C'est pourquoi il faut développer de nouveaux modèles d'affaire qui leur permettront de maintenir voire d'augmenter leurs revenus.

Références et bibliographie

1 - Dominique Bonet, Isabelle Petit et autres ; L'économie circulaire : quelles mesures de la performance économique, environnementale et sociale ?, HAL, revue française de gestion industrielle, vol 33n04 Décembre 2014, Submitted on 7 Jan 2018.

2 Pôle québécois de concertation sur l'économie circulaire, octobre 2016 ; l'économie linéaire, site : https://www.recyc-quebec.gouv.qc.ca/sites/default/files/documents/feuillet-economie-lineaire-circulaire.pdf

3 Jean pierre Dubé,ing 2011 : l'écoconception est un puissant outil de développement durable, site : https://coboom.co/2011/06/19/eco-conception.

4 Vincent Debusschere ; Contributions méthodologiques à l'éco-conception des convertisseurs, thèse de Doctorat Soutenue le 09 Décembre 2009, laboratoire SATIE (ENS Cachan site de Bretagne, CNRS, UMR 8029) dans le cadre de l'école Doctorale Sciences Pratiques 61, avenue du Président Wilson, 94230 Cachan Cedex (France) électromagnétiques d'énergie.

5 Jacques BOUVET, L'écoconception pour les mécaniciens, FIM, UIMM, site : https://www.graie.org, p16

6 http://www.unep.fr/shared/publications/other/DTIx0531xPA/ecoconception.pdf . Et le site http://www.oree.org/docs/produits/eco-conception, fiche de mémorisation F2/MATE.ADEME 2001 ? P2.

7 Guillaume de Bodard ; Ecoconception Guide pratique d'une démarche responsable, CGPME, ADEME, pp3-15.

8 Plusieurs façons de rendre nos produits « plus verts »:. Augmenter le contenu recyclé ; Réduire les matières toxiques ; Réduire l'emballage ; Favoriser l'approvisionnement local ; Améliorer la recyclabilité en fin de vie. Source : Carole Poirier ; Écoconception et Développement durable, Congrès A.C.V. 2011 – Lille, France , site : https://www.avnir.org/documentation/congres_avnir/diapos/atconstr/3aThomas&Betts_Poirier.pdf aussi le site : http://www.cahiers-developpement-durable.be.

9 Corinne Berneman, Paul Lanoie et autres : L'écoconception: Quels retours économiques pour l'entreprise ?, Décembre 2008, ADEME, CIRANO,HEC MONTREAL ….. , site : http://www.ecochange.net/rapportetuderetourseconomiques.pdf

10 ADEME : analyse des bénéfices économiques et financiers de l'écoconception pour les entreprises, rapport 2017,p14, site : https://www.ademe.fr/sites/default/files/assets/documents/benefice-eco-conception-2017-rapport.pdf

11 L'économie circulaire propose un ensemble de stratégies et modèles d'affaires qui permettent de réduire la quantité de ressources vierges consommées et d'optimiser leur utilisation. Ce nouveau modèle économique permet à la fois de réduire la pression sur les ressources, d'accroître le PIB, de créer des emplois locaux et de réduire significativement les émissions de gaz à effet de serre.De nombreux pays européens et asiatiques ont mis en place des lois, des objectifs et des incitatifs économiques pour faciliter la transition vers l'économie circulaire. Source : Pôle québécois de concertation sur l'économie circulaire, octobre 2016, site : https://www.recyc-quebec.gouv.qc.ca/sites/default/files/documents/feuillet-economie-lineaire-circulaire.pdf.- ADEME ; Agence de l'Environnement et de la Maîtrise de l'Énergie,Changement climatique - transition écologique, énergétique

12 Bernard PERRET ; L'économie circulaire, état des lieux et perspectives, CGEDD, N o v e m b r e 2 0 1 4, rapport n ° 0 0 9 5 4 8 - 0 6, republique française,p11.site : https://www.ladocumentationfrancaise.fr/var/storage/rapports-publics/154000005.pdf

13 - Bernard PERRET ; L'économie circulaire, état des lieux et perspectives, CGEDD, N o v e m b r e 2 0 1 4, rapport n ° 0 0 9 5 4 8 - 0 6, republique française,p11.site : https://www.ladocumentationfrancaise.fr/var/storage/rapports-publics/154000005.pdf

14 Samuel Mayer ; écoconception et économie circulaire, ADEME, Pôle Ecoconception, juin 2014,p8, site : https://www.biovalleelauragais.fr/sites/default/files/upload/bibliotheque.pdf

15 ADEME : L'économie de la fonctionnalité: de quoi parle-t-on?,site : https://www.ademe.fr/sites/files/assets/documents/economie_fonctionnalite_definition.pdf

16 ADEME : l'économie circulaire en 10 question ;vers un modèle plus vertueux pour l'homme et la planète , édition mars 2019, site : https://www.ademe.fr/sites/default/files/assets/documents/guide-pratique-economie-circulaire-10-questions.pdf

17 Antoine CURCHOD, Nicolas OTT et autres ; L'économie circulaire, ou la compétition pour les ressources Etude annuelle 2014 du Conseil Général de l'Economie, conseil general de l'économie de l'industrie, de l'energie et des théchnomogies, pp 10-58, site : https://www.economie.gouv.fr/files/files/directions_services/cge/Colloque/L_economie_circulaire_ou_la_competition_pour_les_ressources.pdf

18 Anna-Lena REBAUD ; économe circulaire et emploi : enjeux et perspectives, notes d'analyse/ nov16, , site : http://www.pourlasolidarite.eu/sites/default/files/publications/files/na-2016-emplois-eco-circulaire.pdf. et Institut Montaigne :Économie circulaire, réconcilier croissance et environnement ; rapport novembre 2016, site : https://www.institutmontaigne.org/publications/economie-circulaire-reconcilier-croissance-et-environnement

12- Bernard PERRET ; L'économie circulaire, état des lieux et perspectives, CGEDD, N o v e m b r e 2 0 1 4, rapport n ° 0 0 9 5 4 8 - 0 6, republique française,p11.site : https://www.ladocumentationfrancaise.fr/var/storage/rapports-publics/154000005.pdf

13- Samuel Mayer ; écoconception et économie circulaire, ADEME, Pôle Ecoconception, juin 2014,p8, site : https://www.biovalleelauragais.fr/sites/default/files/upload/bibliotheque.pdf

14- ADEME : L'économie de la fonctionnalité: de quoi parle-t-on?,site : https://www.ademe.fr/sites/files/assets/documents/economie_fonctionnalite_definition.pdf

15- ADEME : l'économie circulaire en 10 question ;vers un modèle plus vertueux pour l'homme et la planète , édition mars 2019, site : https://www.ademe.fr/sites/default/files/assets/documents/guide-pratique-economie-circulaire-10-questions.pdf

16- Antoine CURCHOD, Nicolas OTT et autres ; L'économie circulaire, ou la compétition pour les ressources Etude annuelle 2014 du Conseil Général de l'Economie, conseil general de l'économie de l'industrie, de l'energie et des théchnomogies, pp 10-58, site : https://www.economie.gouv.fr/files/files/directions_services/cge/Colloque/L_economie_circulaire_ou_la_competition_pour_les_ressources.pdf

17- Anna-Lena REBAUD ; économe circulaire et emploi : enjeux et perspectives, notes d'analyse/ nov16, , site : http://www.pourlasolidarite.eu/sites/default/files/publications/files/na-2016-emplois-eco-circulaire.pdf.

*Institut Montaigne :Économie circulaire, réconcilier croissance et environnement ; rapport novembre 2016, site : https://www.institutmontaigne.org/publications/economie-circulaire-reconcilier-croissance-et-environnement

المجلة الجزائرية للعلوم

Revue Algérienne des Sciences

جوان 2020

جامعة الشاذلي بن جديد
UNIVERSITE CHADLI BENDJEDID

آداب و علوم إنسانية

Lettre et Sciences Humaines

سلسلة ب

العدد الخامس

تصدرها جامعة الشاذلي بن جديد الطارف تحت إشراف الأستاذ الدكتور . عبد المليك باش خازناجي

Editée par l'Université Chadli BENDJEDID El Tarf sous le haut patronage du Pr. Dr . Abdelmalik Bach khaznadji